

مجلة

علوم الإنسان والمجتمع

مجلة دولية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة بسكرة الجزائر

العدد: 02

رجب 1433هـ / جوان 2012م

I.S.S.N :2253-0347

أنجز بمطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة

ص.ب 145 ق.ر بسكرة 07000 الجزائر

مجلة

علوم الإنسان والمجتمع

جامعة بسكرة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد 02 : رجب 1433هـ / جوان 2012م

المراسلات

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير أ.د عبد الرحمان برقوق إلى :
ص.ب 145 ق.ر. بسكرة 07000 الجزائر

الهاتف / الفاكس : 0021333501260

البريد الإلكتروني : revue.fshs@univ-biskra.dz

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

جامعة بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قواعد النشر:

- تنشر مجلة "علوم الإنسان والمجتمع" الأبحاث والدراسات العلمية والفكرية في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية وفقا للشروط التالية:
- تقدم المقالات مطبوعة على الورق في نسختين وفي حدود 15 صفحة بصفحات المجلة، مصحوبة بقرص مضغوط وفق برنامج « Microsoft Word » بالنسقين العادي و RTF.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال، اسم الباحث ورتبته العلمية المؤسسة التابع لها(قسم، كلية وجامعة)، الهاتف والفاكس، العنوان الإلكتروني وملخصين للموضوع في حدود مأتي كلمة أو ثمانية سطور أحدهما بلغة المقال والثاني بإحدى اللغتين الأخرين على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية .
- تكتب المادة العلمية العربية بخط من نوع Simlified Arabic مقاسه 12 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي Simplified Arabic 14 Gras، العناوين الفرعية Simplified Arabic 12Gras، أما الفرنسية أو الانكليزية فتقدم بخط من نوع Times New Roman مقاسه 12.

- هوامش الصفحة تكون كما يلي: أعلى 02، أسفل 02، يمين 02، يسار 02، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25، حجم الورقة مخصص (5,1623x).
- تضبط الجداول والأشكال مرقمة ومعنونة وفقا لهوامش الصفحة الأتفة الذكر، و يستحسن أن تعد بالطريقة الآلية أي بالبرامج المخصصة لها.
- يرقم التهميش والإحالات بطريقة آلية « Note de fin » على أن تعرض في نهاية المقال بالترتيب التالي: المؤلف: عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، البلد، السنة، الطبعة والصفحة.
- المقالات المرسللة إلى المجلة لا ترجع إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المقالات المنشورة في هذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.
- يحق هيئة تحرير المجلة إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- كل مقال لا تتوفر فيه هذه الشروط لا ينشر مهما كانت قيمته العلمية.
- يرسل المقال في قرص مرن مرفقا بنسختين مطبوعتين إلى عنوان الجامعة و البريد الإلكتروني على:

revue.fshs@univ-biskra.dz

المادة التي تنشرها المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

مجلة تعنى بالدراسات الاجتماعية والنفسية و الاعلامية والتاريخية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

الرئيس الشرفي للمجلة

أ.د. بلقاسم سلاطينية مدير جامعة بسكرة

رئيس التحرير

أ.د. عبد الرحمان برفوق: عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

هيئة التحرير

أ.د. عبد العالي دبله

أ.د. علي آجقو

أ.د. نور الدين زمام

أمانة التحرير

د. عبيدة صبطي

أ. حنان مالكي

تصميم الغلاف

الباحث: فؤاد شعبان

الهيئة العلمية

- 1- أ.د سلاطنية بلقاسم، جامعة بسكرة، الجزائر 2- أ.د علي آحقو، جامعة بسكرة، الجزائر
- 3- أ.د زمام نور الدين، جامعة بسكرة، الجزائر 4- أ.د عبد العالي دبله، جامعة بسكرة، الجزائر
- 5- أ.د نصر الدين جابر، جامعة بسكرة، الجزائر 6- أ.د الطاهر إبراهيمي، جامعة بسكرة، الجزائر
- 7- أ.د حسان الجيلاني، جامعة بسكرة، الجزائر 8- أ.د عبد العزيز علي الخزاعي، جامعة الأردن
- 9- أ.د حسين الخزاعي، جامعة عمان، الأردن 10- أ.د عبد الخالق يوسف الختاتنة، جامعة الأردن
- 11- أ.د عبد الكريم غريب، مؤسسة عالم التربية، المغرب 12- أ.د يعقوب الكندري، جامعة الكويت.
- 13- أ.د سالم الأبيض، المعهد العلوم الإنسانية، تونس 14- أ.د عيسى قادري، جامعة باريس 8، فرنسا
- 15- أ.د ديدوي لوساوت، جامعة باريس 8، فرنسا 16- أ.د علي قوادرية، جامعة سكيكدة، الجزائر
- 17- أ.د السعيد فكرة، جامعة باتنة، الجزائر 18- أ.د عبد العزيز العايش، جامعة خنشلة، الجزائر
- 19- أ.د دحو فغورور، جامعة وهران، الجزائر 20- أ.د عبد الحميد جفال، جامعة عنابة، الجزائر
- 21- أ.د ميلود سفاري، جامعة سطيف، الجزائر 22- أ.د الهاشمي مقراني، جامعة الجزائر 2، الجزائر
- 23- أ.د بوطبة مراد، جامعة أم البواقي، الجزائر 24- أ.د ابراهيم بلعادي، جامعة قالمة، الجزائر

المحتويات

11	كلمة هيئة التحرير	
الدراسات الاجتماعية		
15	الممارسات الأكاديمية للأستاذ الجامعي أ.د/علي غربي، أ/ سليمة حفيظي، جامعة قسنطينة، جامعة بسكرة، الجزائر.	01
35	مورفولوجية المجتمع المدني في الجزائر أ.د/ عبد الرحمان برقوق، جهيدة شاوش خوان، جامعة بسكرة، الجزائر.	02
65	المراكز والأدوار الاجتماعية ومحدداتها الثقافية في النظام الأسري العربي، د/ لزهرة العقبي جامعة بسكرة، الجزائر.	03
91	التحليل السوسيو-اقتصادي لنظام الخوصصة في الجزائر د/ عز الدين بوكربوط، جامعة الجلفة، الجزائر	04
113	عقلنة المنظمة ونظريات التنظيم د/ لطيفة طبال، جامعة البليدة، الجزائر	05
141	مفهوم التنمية في فكر مالك بن نبي أ/ العابد ميهوب، جامعة الجلفة، الجزائر.	06
الدراسات النفسية		
179	تقييم وضعيات تقويم الكفاية في السيرورة الديدانكتيكية ، دراسة	01

	ميدانية، أ/ليلي دامخي، جامعة بسكرة، الجزائر.	
203	الكشف عن بعض سمات الشخصية ، من خلال تحليل الخط اليدوي – علم الجرافولوجيا، أ/ سليمة سايجي، جامعة بسكرة، الجزائر.	02
227	رؤية ببيكوسوسيولوجية لعملية الاختيار الزواجي في المجتمع الجزائري أ/ يمينة غسيري، جامعة بسكرة، الجزائر.	03
الدراسات الأنثروبولوجية		
253	هوية الطعام و طعام الهوية أ/ عماد صولة، المعهد الوطني للتراث، تونس	01
دراسات في علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية		
285	دور الجمعيات الرياضية الجوارية في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية، لدى المراهقين (16- 18) سنة د/ كمال بوعجناق، أ/ مجيد فرنان، جامعة خميس مليانة، جامعة الجزائر 3، الجزائر.	01
315	الإستراتيجية التنظيمية للرياضة في الجزائر بين النظرية و التطبيق. أ/ سليمان بن عميروش، جامعة بسكرة، الجزائر.	02
331	النشاط الرياضي والبدني لذوي الإعاقة البدنية أ/ نجاة ساسي هادف، جامعة بسكرة، الجزائر.	03
الدراسات التاريخية		
349	تاريخ الأنساب في الأندلس خلال القرن 5هـ/ 11م، (ابن حزم وكتابه	01

	الجمهرة أنموذجاً) أ/ علي زيان، جامعة، بسكرة، الجزائر.	
المقالات باللغة الأجنبية		
3	Les « révolutions 2.0 » des facebookiens dans l'espace arabe, Dr. Daoud Djefafla UFR de Communication – Université Paris XIII	01

كلمة هيئة التحرير

حرصت الجزائر منذ استقلالها عام 1962 وحتى يومنا هذا على الاهتمام بالتعليم، وعلمت إلى الرفع من العاملين في قطاعاته. ومن هذا المنطلق سعت بكل جهودها إلى استحداث المؤسسات في مجالات التعليم المختلفة خاصة مؤسسات التعليم العالي التي توسعت فيه بشكل أفقي حتى تتيح الفرصة لأكبر عدد من الطلبة الالتحاق بتلك المؤسسات.

عليه، يسر هيئة تحرير المجلة أن تقدم للقراء والباحثين العدد الثاني من مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، وكلنا أمل في استمرار صدور هذه المجلة الفتية في مواعيدها. حيث تضمنت مجموعة متنوعة من الدراسات والبحوث الأصيلة التي تضم عصارة جهد علمي لكوكبه من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الجزائرية والعربية والأجنبية في مجالات علم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا والتاريخ والإعلام وكذا في التربية البدنية.

وأسرة المجلة تطمح من خلال هذا العدد إلى أن تضع بين أيدي المختصين والمهتمين بالدارسات الانسانية والاجتماعية أعمالا ودراسات نرى أنها ستسهم، من خلال ما تتمتع به حداثة في الطرح وعمق ومنهجية في إثراء مسيرة البحث العلمي. ونحن نشعر بالفرح والارتياح لصدور هذا العدد متزامنا مع احتفالات الشعب الجزائري بالذكرى الخمسون لاستقلال الجزائر.

وفي الختام، نتقدم بمجزيل الشكر والعرفان والتقدير لكل من أسهم في إنجاز هذا العدد من الأساتذة، والباحثين أصحاب هذه الدراسات، والشكر موصول سواء للخبراء الأفاضل الذين قاموا مشكورين بتحكيم البحوث وأعضاء هيئة التحرير أو الطاقم الإداري والتقني للمجلة.

هيئة التحرير

الدراسات الاجتماعية

الممارسات الأكاديمية للأستاذ الجامعي

الأستاذ الدكتور: علي غربي جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر

الأستاذة: سليمة حفيظي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر

الملخص:

يحتل الأستاذ الجامعي مكانة مهنية مرموقة، ويعد من بين أهم المكونات الجامعية، بل الحجر الأساسي في العملية التكوينية، إذ يعول عليه في تفعيلها تفعيلا جيدا ومنتجا، وإذا كان الجدل قائم بين وظيفتي التدريس والبحث فهو الذي من خلال تدريسه وأبحاثه ومؤلفاته وإشرافه على رسائل ومذكرات طلبته يكون لنفسه مكانة علمية مرموقة. ولهذا فإن عمله الجامعي والترقي فيه لا يعتمد على عامل الخبرة أو بناء على تقارير الرؤساء - خاصة بالنسبة للأساتذة الذين يتولون مناصب إدارية-؛ وإنما على جودة الإنتاج العلمي الذي يصدره من حيث كنهه وكيفية، والتزامه بممارسة مهامه ومسؤولياته الأكاديمية. وهذا ما سيتم تسليط الضوء عليه بمعية عناصر أخرى ذات صلة بذلك تنصدها التنمية المهنية للأستاذ.

Abstract:

The University professor is one of the most valuable professional takes. He is one of major components of such a university. Admittedly, there appeared a controversial issue what professor should focus his duty on researching or educating students. But the best way is to do well both: teaching and carrying out research as well as publishing and supervising students in their thesis and dissertations.

So, by reading and giving opinions to student's studies, -and not according to their administrative superiors -, professors are indirectly developing their researching skill, which helps them promoting to higher positions and not lag behind. Thus, they not only educate their students but also enhance their knowledge, in order to reach further in their career and keep a best academic position. So that is what this article will be focusing on, with other professional elements.

مقدمة:

يجمع التخاطب الاجتماعي العالمي المعاصر اليوم على أن التعليم الجامعي سيكون فعلا ميدانا تنافسيا بين القوى العالمية، مما جعل الأنساق التكوينية الحديثة تتأسس على تغليب المقاربات الاقتصادية المبنية على التنافسية، مفرزة بذلك اتجاهات حديثة جعلت من المنظومة التكوينية عملية استثمارية يجب أن تثنى بعائد يعادل أو يقارب قيمة الاستثمارات المعتمدة فيها، كالاستثمار في العنصر البشري، الشيء الذي جعل الجامعة اليوم ترتبط بالإنتاجية وتدخل مجال التنافسية من حيث عملية إنتاجية الأطر والكوادر البشرية الكفأة والمؤهلة تأهيلا جيدا، بما يمكن مؤسسات البلاد من تجاوز تحديات العولمة حيث التنافس على أعلى مستوى، إلى درجة اعتبرت معها الجامعة مدخلا حقيقيا لرفع تحدي المنافسة العالمية عبر الاستثمار في الإنسان، وحتى يتحقق هذا المسعى يبقى على مكونات المنظومة التكوينية الجامعية أن تتفاعل بشكل متكامل بناء على كافة المستويات التي تشكل أساسيات التكوين الجامعي الهادف.

ويأتي الأستاذ الجامعي على رأس المكونات الجامعية الأساسية باعتباره العمود الفقري في المؤسسات الجامعية وحجر أساسي في العملية التكوينية، ويعول عليه في تفعيلها تفعيلا جيدا ومنتجا، فالجامعات لا تعرف بأبنيتها وتجهيزاتها وطلبتها ومواردها فحسب، إنما بنوعية أسانذتها العاملين بها، والذين من خلال تدريسهم وأبحاثهم ومؤلفاتهم وإشرافهم يكونون لأنفسهم مكانة علمية مرموقة؛ كما أن عمل الأستاذ الجامعي والترقي فيه يختلف عن العمل في الوظائف الأخرى والترقي فيها، فهو لا يرقى في سلم الدرجة الخاص بالوظيفة مثلا أو بمرور الزمن أو بناء على تقارير الرؤساء فقط، وإنما اعتمادا على جودة الإنتاج العلمي الذي يصدر عنه من حيث كنهه وكيفه، والتزامه بممارسة مهامه ومسؤولياته الأكاديمية، وهذا ما سيتم التطرق له من خلال هذه الورقة، إضافة عناصر أخرى ذات الصلة بالتنمية المهنية للأستاذ الجامعي ومجالاتها.

1. مفهوم الأستاذ الجامعي

هناك إجماع شبه كامل حول تعريف الأستاذ الجامعي، ولهذا فسوف نقتصر على بعض التعاريف التي تناولت المفهوم وعرفت اختلافات طفيفة فيما بينها لا تمس الجوهر وإنما تقتصر على مجرد شكليات. ومن هذا المنطلق تعتمد الجامعات على مجموعة من الباحثين والدارسين، الذين لا يقتصرون على تلقين المعلومات الموجودة في الكتب للطلاب فحسب، بل يتعاونون معهم في اكتشاف الطريق الأمثل لاستخدام الأساليب العلمية بأنفسهم، وليس بالنيابة عنهم. وضمن هذا التصور جاء تعريف الأستاذ بأنه: "ذلك الشخص الذي يشترك مع طلابه في تحقيق النمو الذاتي الذي يصل إلى أعماق الشخصية ويمتد إلى أسلوب الحياة"⁽¹⁾. ويشترط في هذا الشخص الذي يشغل هذا المنصب في الجامعة أن تكون لديه مؤهلات تربوية وعلمية من بينها شهادات الدراسات العليا والدراسات المعمقة وشهادات الماجستير والدكتوراه، والتي تحوله القيام بمهام التدريس والإشراف والتأطير والبحث العلمي⁽²⁾.

يبدو أن هذا التعريف يشير إلى المؤهلات التي يتوجب على الأستاذ الجامعي أن يمتلكها ليحظى بالتعيين في الجامعة، إضافة إلى مهامه الرئيسية المتمثلة في التدريس والإشراف على الطلبة وتأطير مذكراتهم ورسائلهم العلمية سواء في مستوى التدرج أو ما بعد التدرج، ودون إغفال مهمة البحث العلمي التي تعتبر ضرورة من أجل أن يكتمل أداء الأستاذ الجامعي في مؤسسته الجامعية.

وغالبا ما يطلق مسمى عضو هيئة التدريس في كثير من الجامعات على كل من يكون عمله الأساس التدريس والبحث الأكاديمي سواء كان عمله في الجامعة كلياً أو جزئياً، شريطة أن يكون حاصلاً على درجة الدكتوراه أو ما يعادلها⁽³⁾.

وهنا نلاحظ تركيزاً خاصاً على عمل الأستاذ الجامعي من حيث كونه كلياً أو جزئياً داخل الجامعة، مما يعني وجود فئتين: الأولى، تعمل بشكل كلي

ومتفرغة للعمل الجامعي؛ أما الثانية، فلها ارتباطات مع جهات أخرى خارج الجامعة قد تكون بصيغة الاستشارة أو غيرها.

وبالمقابل، قد يضطلع الأستاذ الجامعي بوظيفة إدارية، بأن توكل له مهام في إدارة المؤسسة الجامعية، فنجدته رئيس قسم أو عميد كلية أو رئيس جامعة...، ولكن شريطة أن يكون من ذوي الرتب العلمية العالية. واللافت هنا أن الوظيفة الإدارية - غير الدائمة- قد تغطي على عمله ولكنه يظل رسميا وأساسيا مدرسا وباحثا.

2. وظائف الأستاذ الجامعي

يرتبط نجاح العملية التعليمية ارتباطا أساسيا بأساتذة الجامعة باعتباره محور هذه العملية، على الرغم من تغير دوره التقليدي من ملقن للمعرفة لطلابه إلى موجه ومرشد لهذه المعرفة. فنجاح الأستاذ في التدريس يعني إعداد الطلبة وتربيتهم تربية متكاملة روحيا وخليقا وجسميا واجتماعيا ليكونوا مواطنين صالحين قادرين على المساهمة بفعالية في تنمية مجتمعاتهم. لذلك يعد أستاذ الجامعة من أهم عناصر العملية التعليمية والتكوينية في الجامعة، بل وحجر الزاوية الأساسي في تقدم الجامعة وتحمل أعبائها، لتؤدي رسالتها العلمية والعملية في خدمة المجتمع، وتحقيق التقدم العلمي والتقني من خلال وظائفه الأساسية التي يمارسها، والمتمثلة في التدريس، البحث العلمي، الإشراف والتوجيه وخدمة المجتمع. وفيما يلي المزيد من التفاصيل:

أ. المهمة التدريسية للأستاذ الجامعي

يعد التدريس من أهم الوظائف التي ارتبطت بالتعليم الجامعي منذ نشأته، فهو نشاط يمارسه الأستاذ الجامعي بهدف تحقيق عملية التعليم. ويتم عن طريق نقل المعارف والخبرات وتنمية المهارات واكتساب القيم واكتشاف المواهب والإطلاع على كل جديد يدعمها، ويسهم في تطوير الموارد البشرية ورفع كفاءتها

وقدراتها لتهيئتها مستقبلا لتشغل نشاطات متعددة في سوق العمل. وعن فعالية التدريس، يؤكد "ينفل جونسن" أنه من المتوقع أن يربي الطلبة على ممارسة القدرة الذاتية الواعية التي لا تتلمس الدرجة العلمية كنهاية المطاف، ولا طموحا شخصيا تقف دونه كل الطموحات الأخرى؛ بل هو تدريس يرفع من مستوى إرادة الفرد لنفسه ومحيطه ومشكلات مجتمعه، كما يجب أن يكون قادرا على التحليل والبلورة والفهم⁽⁴⁾، ولن يتأتى هذا إلا عن طريق تدريس فعال.

ولكي يقوم أستاذ الجامعة بوظيفة التدريس على أكمل وجه، ينبغي أن يكون متمكنا في مجال تخصصه وواسع الإطلاع حتى يلم بأحدث النظريات والتطبيقات في مجال تخصصه. كما ينبغي عليه عرض محاضراته بطريقة واضحة ومنطقية يراعي فيها الفروق الفردية بين الطلاب، كما يجب أن يتحدث بلغة سليمة ويستخدم في شرحه ألفاظا واضحة ومحددة، مدعما إياه بأمثلة توضيحية واقعية إن أمكن.

وعليه أن يعمل على توفير مناخ ملائم لنجاح العملية التعليمية من خلال التوجيه والإرشاد والعلاقات الإنسانية، كما يجب أن يستخدم وسائل تعليمية حديثة و متنوعة أثناء تدريسه، وكذا عليه الربط بين النظري والتطبيقي في المادة التي يقدمها لطلابه. وهذا لن يأتي له إلا إذا نَوَّع في طرق التدريس التي يستخدمها بين الحوارية والمناقشة وعرض المشاريع وغيرها من الطرق الحديثة. وفي هذا السياق، يشير ادوارد شورت⁽⁵⁾ في (كتابه التربية في عالم متغير)، إلى أن المادة العلمية أقل أهمية من طريقة التدريس. وأن السؤال: كيف ندرس؟ أهم من السؤال: ماذا ندرس؟ فلم يعد يهم حفظ المعلومات واسترجاعها، بل المهم أن تعرف كيف وأين تجد المعلومات⁽⁵⁾.

ولكي يقوم الأستاذ الجامعي بوظيفته التدريسية، يتعين عليه أن يتوفر على جملة من المهارات التدريسية التي يقصد بها مجموع القدرات التي يمتلكها الأستاذ الجامعي التي تؤهله للتدريس في الجامعات بكفاءة، وتتعلق هذه القدرات بـ :

✓ مهارات التخطيط للتدريس الجامعي:

يبدأ التخطيط للتدريس بتحديد أهداف المسارات الجامعية والتخصصات التي تعد خطوة منطقية يقوم بها الأساتذة، يحددون من خلالها قائمة بنواتج التعلم التي يرغبون أن يحققها طلابهم، وهناك من يتجه إلى إشراك الطلاب في تصميم هذه الأهداف، ويبقى الهدف النهائي هو أن يجد الطلاب بكل مستوياتهم واهتماماتهم ما يهمهم ويناسبهم، وكذا لا بد وأن تكون هذه الأهداف واقعية مراعية لروح العصر والقدرات والإمكانات المتوفرة. وكخطوة ثانية بعد تحديد الأهداف، تأتي عملية تحديد الموضوعات التي سيعالجها التخصص والتي يجب أن تشمل قائمة جميع المواضيع الضرورية التي تلائم الطلبة وتحقق لديهم إشباعا معرفيا وتنمي قدراتهم العقلية والوجدانية. ثم يلي ذلك اختيار الطريقة الملائمة للتدريس سواء كانت الإلقاء أو المناقشة أو الحلقات الدراسية أو العمل المعلمي... الخ. شريطة أن تكون الطريقة المختارة هي الأنسب في تحقيق أهداف التعلم (المقياس أو المادة) المعدة سابقا. وتتويجا لكل ما سبق يستلزم التخطيط للتدريس الجامعي تحديد أساليب التقييم الملائمة.

✓ مهارات تنفيذ التدريس الجامعي:

وتعني هذه المهارات قدرة الأستاذ الجامعي على تنفيذ التدريس الجامعي وتنظيم محاضراته وإداراتها. وهنا يجب أن يكون الأستاذ الجامعي قادرا على⁽⁶⁾:

➤ أن يستهل المحاضرة باستثارة حب الاستطلاع لدى الطلبة، بعبارات أو حوار لفظي يجذبهم أو أن يطرح مفهوما مألوفا من زاوية جديدة.

➤ أن يقدم موضوع المحاضرة في شكل منظم ومتسلسل منطقيا نحو النقطة الختامية، منوعا من أساليب التدريس المستخدمة.

➤ يتناول المادة العلمية وينظمها حول الأفكار الرئيسية، دون الاستغراق في التفاصيل.

- أن يشجع التفكير النقدي- المستقل، من خلال إعطاء الطلبة فرصا لتوضيح جوانب المحاضرة، أو إبداء آرائهم ومقترحاتهم بشأن بعض القضايا ذات الصلة بالمحتوى.
- أن يكون قادرا على قراءة في وجوه الطلبة وتعبيراتهم درجة تفاعلهم واندماجهم في المحاضرة.
- أن يخبر الطلبة بأهداف المحاضرة في بدايتها، أي أن يخبرهم بما هو متوقع منهم أدائه.
- أن يتأكد من أن الطلبة أتقنوا المتطلبات السابقة لموضوع المحاضرة.
- يربط موضوع المحاضرة بما سبقها، ولو بعبارات موجزة.
- يؤكد على بنية المحاضرة من خلال مراجعة المادة في نهاية الأجزاء الرئيسية، ويستحسن أن يقدم عبارات تلخيصية أو ختامية مع نهاية كل محاضرة.
- ينهي المحاضرة بربط الأفكار ببعضها البعض، والتنبؤ بما سيحدث في المحاضرة القادمة.
- يستخدم التقنيات التعليمية والسمعية- البصرية، بما يساعد على رفع مستوى اهتمام الطلبة وتنظيم المحاضرة بكفاءة عالية. ويتعين في هذا المجال أن يكون الأستاذ الجامعي متمكنا من استخدامات التكنولوجيا الحديثة في التعليم.
- يستخدم أساليب النقاش الملائمة للأهداف والوقت وعدد الطلبة ومكان المحاضرة.
- يطرح الأسئلة ويوجهها بكفاءة.
- يبدي سلوكيات إيجابية نحو أسئلة الطلبة بما يشجعهم على طرحها.
- يستخدم الاتصال العيني والإيماءات لتعزيز استجابة الطلبة وتعليقاتهم.

- ✓ مهارات تقويم الطلبة وتقديم التغذية الراجعة لهم:
وهنا يجب أن يمتلك الأستاذ الجامعي مجموعة من المهارات، لعل أبرزها:
- أن يستخدم أساليب متنوعة لتقويم تعلم الطلبة، مثل الاختبارات والقراءات الفردية والأعمال الإضافية ذات العلاقة بالمادة.
 - أن يستخدم تغذية راجعة سريعة فورية بعد عملية التقويم، من خلال تصحيح أوراق الاختبارات، أو كتابة تعليقاته على أوراق عمل الطلاب، بما يعزز لديهم الاستجابات الصحيحة ويشجعهم.
 - يسمح للطلبة بتقديم أوراق عمل لتصحيح مرة أخرى مستفيدين من الملاحظات لتحسينها⁽⁷⁾
 - يضع نظاما يوضح الدرجات موزعة على الأعمال الفصلية بقدر أهميتها.
 - يحلل نتائج الطلبة ويفسرها ويحلل أنماط الأخطاء التي وقعوا فيها للتوصل إلى استنتاجات تتعلق بمستوى الطلبة، وبأسباب تدني درجاتهم.
 - يساعد الطلبة على مواجهة الصعوبات التي واجهتهم خلال الاختبارات.

أ. البحث العلمي:

يعتبر البحث العلمي أحد المعايير الأساسية للتقدم والارتقاء الأكاديمي، وبصفة خاصة على مستوى الجامعة، لذا نجد غالبية دول العالم قد ألزمت نفسها بضرورة تقوية ودعم التوجه على مستوى البحث العلمي. فوضعت سياسات لتشجيع أساتذة الجامعة على البحث، وذلك لقناعتها بأن الجامعات هي المحرك الأساسي لعملية التنمية، وأن البحث العلمي ذو جدوى طويلة المدى في التطور التقني، ومن بين أهم الاتجاهات المعاصرة المؤكدة لذلك، نذكر⁽⁸⁾:

- مراعاة متطلبات البحث العلمي: نظرا لأهمية هذا النشاط لأساتذة الجامعة، فمعظم الجامعات تشترط ضرورة تمتع الأستاذ الجامعي بخصائص عدة كتمتعه بذكاء عالي، وأن يكون لديه توجه فكري، ويتعامل

مع الأمور من منطلقات فكرية ولا يسمح بسيطرة مشاعره وعواطفه؛ وأن يملك مهارة التواصل مع الآخرين والتعبير بوضوح عن تصوره وما يثير فضوله العلمي، إضافة إلى التعامل بعقل منفتح، وأخذ دور المبادرة في أي اتجاه يراه صحيحا.

• مراعاة تحسين البحث العلمي: وهنا يستلزم توافر كوادرات فنية وإمكانات مادية متاحة للبحث العلمي، ومكتبات جامعية متخصصة، بالإضافة إلى إمكانية توفر النشر العلمي للأبحاث والتجارب والإنتاج العلمي.

• تبصير أساتذة الجامعة بالأنواع المختلفة عن البحوث العلمية: حيث تتمثل هذه البحوث التي تتناول المشكلات الاجتماعية في إيجاد أساليب جديدة لتمويل البحث العلمي، كإجراء عقود مع المؤسسات الإنتاجية، إضافة إلى تخصيص ميزانية حكومية لتمويل الأبحاث العلمية.

وللنهوض بالبحث العلمي في الجامعة ينبغي مراعاة ما يلي⁽⁹⁾:

وضع الخطط المتكاملة والمدرسة للبحوث والدراسات العلمية التي تجربها الجامعة استجابة لحاجات البلاد، وتوفير المختبرات والأجهزة العلمية الحديثة اللازمة لإجراء البحث.

• توفير مراجع البحث في المكتبات وتسهيل تداول المنشورات والمجلات العلمية.

• توفير البيئة والمناخ الملائمين لمساعدة الباحثين على الإنتاج والإبداع.

• عقد المؤتمرات العلمية والندوات والملتقيات التي تتناول قضايا المجتمع ومشكلاته بالبحث.

• تشجيع الأساتذة الجامعيين على المشاركة في المؤتمرات العلمية: محليا، إقليميا، عربيا ودوليا.

• تـمـيـن جـهـود الجـامـعـات الـتي تـنتـج بـجـوئـا عـلـمـيـة مـوائـمة لـاـحـتـيـاجـات المـجـتـمـع، وـذات المـسـتـوى العـالـي.

وعـند آخـذ النـقـاط الـسـالـفـة الـذـكـر بـعـيـن الـاعـتـبـار، يـمـكـن لـلـأـسـتـاذ الجـامـعـي أن يـمـارس نـشـاطـه البـحـثـي عـلـى أكـمـل وـجـه، وـلـكـن دـون إـغـفـال ما يـلي⁽¹⁰⁾:

✓ أن يـجـري بـجـوئـا ودراسات ذات الطـبـيعة المـثـريـة مـعـرفـيا وأكـادـيـمـيا، وإثـراء البـحـوث للمـعـرفـة يـكـون نـابـعا مـن وـاقـع مـعـيـشـي وـلـيـس مـن تـنـظـير خـارـجـي.

✓ أن يهـتم بإجـراء دراسـات ذات صبـغة وظيفـية، بـمعـنى أن يـنـظـر لـلبـحـث عـلـى أنه وـسـيـلة لا غـايـة لـتـحـقـيـق فـائـدة مـعـرفـية و تـوظـيـفـها بـصـورة عـمـلـية مـلمـوسـة.

✓ أن يهـتم بإجـراء دراسـات و بـجـوئـا بـمـعـية زمـلـائـه بـهـدـف الـاسـتـفـادـة مـن خـبـرات بـعـضـهـم البـعـض، و تـوظـيـفـها في إطـار كـلي لـلـخـروـج بـنـتـائـج أكـثـر دقة و عمق، و تـقـلـيـل التـكـالـيـف و الجـهـود قـدر الإـمـكـان.

وعلـيـه فـإن الأـسـتـاذ الجـامـعـي الـحـقـيـقي، لا يـجـب أن يـتـصـور بأن مـهـمـته الـأسـاسـيـة في الجـامـعـة هـي التـدـريـس فـقـط، بـل لـه وظيفـة أـهـم و هـي البـحـث العـلـمـي، لأنـه يـتـيح لـه مـتـابـعة التـطـورـات العـلـمـيـة في مـجال تـخـصـصـه، و مـنـه تـعـمـيق مـعـارفـه و تـمـيـزه في مـجالـه العـلـمـي.

أ. الإشراف والتوجيه:

عـمـلـية الإـشـراف عـلـى البـحـوث و مـشـارـيـع التـخـرج عـمـلـية مـتـعـددة الجـوانب و مـتـشـابـكة العـنـاصـر فـهـي عـمـلـية تـعـلـيـمـية لأنـها تـقـدم لـلطـالـب حـقـائـق و مـفـاهـيـم و مـعـلـومـات جـديـدة، و هـي عـمـلـية تـنـسـيـقـية لأنـها تـتم في إطـار مـنـسـق يـجـمـع الأـسـتـاذ الجـامـعـي بـطـلابـه، و هـي عـمـلـية اسـتـشـاريـة لأنـها تـقـدم اقـتـراحـات و اسـتـشـارـات و بـدائل لـلـطـلـبة البـاحـثـين، و هـي أـيـضـا عـمـلـية فـنـيـة أخـلاـقيـة و إنـسـانيـة في آن و احـد تـحـتـاج إـلى

أستاذ مقتدر وطالب يتوافر على قدرات ومهارات تتيح له عملية إنجاز بحثه أو مشروعه العلمي.

ويقوم الأستاذ الجامعي بهذه العملية كمطلب لأحد مكونات مهامه بالجامعة، سعياً لتحقيق الأهداف التالية:

- توجيه الطالب الباحث للاضطلاع بمهمة البحث العلمي، بإرشاده وتوجيهه إلى المسار السليم في البحث، وتذليل الصعوبات أمامه.
 - إرشاد الطالب الباحث بما يجنبه الوقوع في القلق، والإحساس بعدم القدرة على إنجاز ما يتوقع منه.
 - الاهتمام بشخصية الطالب الباحث العلمية، وتعيده على الاستقلالية في الرأي بموضوعية تامة، مما يتيح لقدراته الإبداعية أن تنمو نمواً سليماً.
- وحتى يستطيع الأستاذ الجامعي تحقيق هذه الأهداف تحقيقاً لوظيفته كمشرف وموجه، يجب أن يتمتع بجملة من المهارات⁽¹¹⁾، تنصدها:

- ✓ الكفاءة العلمية، وتتضمن امتلاكه مهارات التخطيط والتنظيم والتنسيق والتوجيه والمتابعة.
- ✓ التميز الأخلاقي والقدوة الحسنة، ويقصد بها الإخلاص والتعاون وسعة الصدر والتواضع والاتصاف بالعفة العلمية، بحيث لا يشرف على عدد كبير من البحوث العلمية على حساب أعبائه الأكاديمية الأخرى، كما يجب أن يكون قدوة لطلابه في الالتزام واحترام أخلاقيات البحث العلمي.
- ✓ القدرة على التواصل والتفاعل مع الآخرين، سواء ممن يشرف عليهم أو الزملاء الذين يتعاون معهم في مجال الإشراف والتوجيه، وهذا عن طريق امتلاك مهارات الحوار والإنصات واللغة العلمية السليمة.

✓

3. صفات الأستاذ الجامعي

أستاذ الجامعة الكفاء هو الذي يمتلك قدرا من الصفات المهنية والشخصية،
نحصر أهمها في التالي:

أ- الصفات المهنية: وهي كثيرة، غير أن أهمها ما يلي:

- تقدير مهنة التعليم والاعتزاز لكونه أستاذا جامعيا يحمل رسالة عليه الاجتهاد لإيصالها لطلابه ومجتمعه على أحسن وأكمل وجه.
- الإلمام بأهداف التعليم الجامعية كيفية تحقيقها دائما في إطار أهداف التعليم بصفة عامة والجامعة بصفة خاصة.
- تنمية العلاقات الإنسانية الايجابية مع الطلاب وجعلها تتميز بالود والاحترام المتبادل.
- إظهار مستوى عال من الأخلاق تنسق مع أخلاقيات المربين الأفاضل، لأنه يظل دائما قدوة لطلابه ومثالا لجامعته.
- احترام النظام الجامعي وتعليماته.
- العمل على النمو الذاتي وتطوير أدائه الأكاديمي والفني والمهني⁽¹²⁾.
- استخدام أسلوب حوار والمنافسة وتجنب أسلوب السرد والخطابة وانتقاء الطريقة المناسبة لكل موقف تعليمي بالطريقة والأسلوب المناسبين.
- إثارة الروح النقدية لدى الطلاب واحترام حرية تعبيرهم، وتقييمهم بكل موضوعية.

ب- الصفات الشخصية: وهي كسابقتها، تتحدد في جملة من الصفات الشخصية التي يتعين على أستاذ الجامعة التحلي بها ومنها:

- التحلي بقدرات ومهارات التفكير العلمي واتجاهاته.
- التمتع بالصحة الجسمية والنفسية التي تؤهله للقيام بوظائفه المختلفة.
- الاحتفاظ بكم انفعالي مناسب، فلا يدع فرصة للغضب أن يمتلكه، ولا يعطي أحكاما سريعة للمواقف المختلفة ويتحلى بالثقة بالنفس والتحمس لتنفيذ العمل.

4. التنمية المهنية للأستاذ الجامعي

أ- مفهومها ومبرراتها:

يقصد بالتنمية المهنية للأستاذ الجامعي تلك العملية التي تهدف إلى تطوير مهارات أعضاء هيئة التدريس وسوكهم، لتكون أكثر كفاءة وفعالية لسد حاجات الجامعة والمجتمع وحاجات أعضاء هيئة التدريس أنفسهم، والذي يقوم بتلك العملية أو الجهود المقصودة هي الجامعة أو الكلية أو غيرها من المؤسسات التي تعني بعملية التنمية المهنية، وهذا كله من أجل تحقيق أهداف الجامعة ووظائفها⁽¹³⁾.

وفي مكان آخر عرفت التنمية المهنية بأنها عبارة عن عملية مؤسسية تهدف لتحسين مهارات أستاذ الجامعة وسلوكهم في مجال إعداد المواد الدراسية وتنظيمها وطرائق تدريسها، واستخدام تكنولوجيا التعليم والتقويم، والتدريب على مهارات البحث العلمي والاستشارات، والتدريب على بعض المهارات الإدارية المتوقع إسنادها إليه⁽¹⁴⁾.

ولهذا فقد أصبحت التنمية المهنية مطلبا أساسيا من أجل الارتقاء بمستوى التعليم الجامعي في جامعتنا اليوم، ومن مبرراته⁽¹⁵⁾:

- التطور التكنولوجي وانعكاساته على العملية التعليمية، من حيث توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال وتقنيات التعلم والتعليم، فقد أثرت تكنولوجيا المعلومات والحاسب الآلي بشكل جذري على نظام التعليم

وأساليبه، بما تطلب مساعدة الطلاب على اكتساب مهارات التعلم الذاتي والتعلم التعاوني والتعلم عن بعد.

• التغيير الذي حصل على أدوار الأستاذ الجامعي، حيث أن تطور تقنيات الاتصال وتعدد مصادر التعلم أدت إلى إحداث تغيرات جوهرية في متطلبات الموقف التعليمي من حيث وسائل نقل المعرفة، فتحول الأستاذ بذلك إلى مسير ومسهل ومرشد وموجه لطلابه.

• عدم توفر الأعداد الكافية من أساتذة الجامعات المؤهلين في مختلف التخصصات مقابل ارتفاع نسبة المدرسين حديثي العهد في التدريس، وهذه الفئة تفتقر إلى المهارات والخبرات اللازمة لممارسة أدوارها بصورة فعالة.

• النمو المعرفي في جميع المجالات والتخصصات مما يتطلب ضرورة متابعة أستاذ الجامعة للتطورات العلمية في مجال تخصصه باعتبار هذا الأمر ضرورة لتحسين لكفاءات التدريس والبحثية لديه.

• تحدي جودة النوعية في التعليم العالي، وهو شيء لن يتحقق إلا من خلال جودة أداء الأستاذ الجامعي.

ب- مجالات التنمية المهنية:

ولما كان العمل الرئيسي لأستاذ الجامعة هو التدريس والبحث العلمي، إلى جانب الإشراف والتوجيه، فإن برامج التنمية المهنية تتخذ محاور يمكن حصرها في:

➤ برامج تنمية مهنية في مجال التدريس الجامعي: وتسعى هذه البرامج إلى تحقيق الجوانب التالية:

- ✓ التنمية على مستوى المنهج وطرائق التدريس الجامعي.
- ✓ مراجعة المناهج من حيث الأهداف والمحتوى والطرائق ووسائل التقويم.
- ✓ الإطلاع على إستراتيجية العمل الجامعي وأهدافه ونظمه.

➤ برامج التنمية المهنية في مجال البحث العلمي: وتسعى إلى تحقيق الجوانب التالية:

✓ التمكين الأكاديمي المهني للأستاذ الجامعي في مجال البحث العلمي، من أجل تحقيق التميز لبحوثه العلمية، ويتحقق ذلك بتحري الدقة والموضوعية والتمكن من مهارات البحث العلمي.

✓ التمكن من إثراء المعرفة وتطوير العلوم وتغذية المناهج والمقررات، وإيجاد الحلول للمشكلات وقضايا المجتمع⁽¹⁶⁾.

كما يضيف كل من الترتوري وجويحان⁽¹⁷⁾:

✓ تشجيع أساتذة الجامعة بعد حصولهم على رتبة الأستاذ للاستمرار في التأليف وإجراء الأبحاث وعدم الانقطاع عنها، وذلك من خلال منحهم ألقابا علمية جديدة ومكافئتهم ماديا ومعنويا.

- حث الجامعة أساتذتها على حضور المنتديات والمؤتمرات العلمية.

- أن يعد الأستاذ بحثا أو كتابا على الأقل في مجال تخصصه كل عام، وأن يرشد طلابه إلى أبحاثه للإفادة منها، والحرص على التميز بها موضوعا ومنهجيا.

➤ في مجال الإشراف والتوجيه: وضمن هذا المحور فإن برامج التنمية المهنية يجب أن تسعى إلى تحقيق الجوانب التالية:

✓ اكتساب أساتذة الجامعة مهارات التواصل والتفاعل مع الطلاب أثناء عملية الإشراف والتوجيه، من خلال الإلمام بالجوانب النفسية والبيداغوجية للطلاب.

✓ الإطلاع الواسع على مصادر المعرفة الحديثة وإطلاع طلبة الإشراف عليها.

✓ الحرص على أن تتضمن الأبحاث التي يشرف عليها الجديد والإضافة إلى الجهود السابقة.

✓ التأكد من معرفة الطالب أصول البحث العلمي وقواعده، وعدم إغفال أي مصدر أو مرجع أساسي في البحث، وأن يحترم حرية رأي الطالب ويشجعه على إبراز شخصيته العلمية في البحث.

✓ أن يصحح الأبحاث ويدون ملاحظاته عليها كي يفيد طلابه بأن لا يقعوا في الخطأ مرة أخرى.

ولكي توفق الجامعة في إنجاح دور أستاذ الجامعة كمشرف على أبحاث الطلبة سواء على مستوى التدرج أو ما بعد التدرج، عليها أن:

✓ تعمل على تطوير مواصفات الرسائل الجامعية، حسب كل قسم وكل تخصص.

✓ ضرورة التمييز بين مستويات الرسائل الجامعية التي يناقشها الطلبة، لأن في عدم التمييز إجحاف بالرسائل ذات المستوى المتميز.

✓ تعمل على نشر الرسائل النوعية المتميزة تشجيعا للطلاب الذين أنجزوها والأساتذة الذين أشرفوا عليها.

ولتحقيق كل هذه الجوانب في برامج التنمية المهنية لأساتذة الجامعة، فإن هناك أساليب ذاتية وأخرى مهنية، تقع مسؤولية الصنف الأول منها على عاتق الأستاذ الجامعي نفسه، حيث يقوم هذا الأخير بتنمية الاتجاهات الإيجابية نحو مهنته العلمية والتربوية، ومحصلة ذلك رضاه عن عمله، وتقدير الآخرين له. كما يتوقف النمو المهني لأستاذ الجامعي مستقبلا على طموحه الشخصي وقابليته للتقدم ومدى تأثيره بالتشجيع وبموامل التطور المحيطة به، وعلى المستوى العلمي والتربوي والثقافي الذي يود الوصول إليه، وعلى قدرته في التمييز بين مواطن القوة والضعف لديه. كما يجب عليه أن يعي بأن الوصول بكفاءاته التدريسية إلى أعلى المستويات عليه أن يوسع من طموحاته الشخصية بما يجعله دائما على قناعة أن هناك مستوى أعلى مما هو فيه.

أما الصنف الثاني فيتوزع بين عدة أساليب من أهمها المؤتمرات، الورش التعليمية، التعليم عن بعد، البعثات (المنح الدراسية)، التدريب العلمي والبحث العلمي، وكل ذلك يتم بصورة مستمرة ومتواصلة دون كلل أو ملل، وفي تواضع تام.

وفي ظل تطبيق الجامعة الجزائرية لنظام ال(ل. م. د)، أصبح من الضروري التركيز على تطوير المناهج والمقررات الدراسية في كافة التخصصات، وكذا تحسين طرائق التدريس ووسائل التقويم المعتمدة من خلال برامج التنمية المهنية، حتى يكون الأستاذ الجامعي مواكبا لهذا التحول وفاعلا ايجابيا فيه بممارساته التدريسية المتجددة؛ أما فيما يخص ممارساته في مجال الإشراف والتوجيه فإن برامج التنمية المهنية تساهم في اكتساب مهارات التواصل والتفاعل مع الطلبة خاصة بالنسبة للأساتذة المبتدئين، وبالاعتماد على الوسائل التكنولوجية الحديثة والأساليب الملائمة وذلك حتى تكون العملية الإشرافية والتوجيهية فعالة وتحقق أهدافها.

واللافت أن قانون الأستاذ الباحث يملي على هذا الأخير ضرورة التركيز على ممارساته البحثية إلى جانب ممارساته التدريسية، بحيث يطبعها التميز والدقة والموضوعية، وإمكانية المساهمة في حل مشكلات وقضايا المجتمع المختلفة. ومنه فإن التنمية المهنية هي السبيل الأنجع لتحقيق كل هذه الأهداف والارتقاء المستمر بالممارسات الأكاديمية للأستاذ الجامعي الجزائري.

الخاتمة

استنادا لما سبق يمكن القول أن الممارسات الأكاديمية للأستاذ الجامعي المتمحورة حول أدواره كمدرس وباحث ومشرف وموجه، تتطلب منه مواكبة التطورات والتحولات في هذه الأدوار، كما أن تغير دوره من ناقل للمعرفة إلى مسير وموجه لهذه المعرفة، يفرض عليه ضرورة التنمية المهنية كمطلب أساسي لتحقيق جودة نوعية في هذه الممارسات بما ينعكس مباشرة في مخرجات التعليم الجامعي، وهو ما تهدف إلى بلوغه كل نظم التعليم العالي في البلدان المتقدمة والنامية على حد سواء.

❖ هوامش البحث

- (1) محمد العربي ولد خليفة: المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1989، ص 197.
- (2) قادري حليلة: "مصادر الضغوط المهنية للأستاذ الجامعي وعلاقته بالرضا المهني" على الموقع: <http://assps.vourformlive.com/t288-topic>
- (3) ردمان محمد غالب وتوفيق على عالم: التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس مدخل للجودة الشاملة في التعليم الجامعي"، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، العدد الأول، 2008، ص 168 (منشور بصيغة PDF)
- (4) باسم الصرايرة وآخرون: إستراتيجيات التعلم والتعليم بين النظرية والتطبيق، دار الكتاب الحديث، اريد/ عمان 2009، ص 55.
- (5) سهيل رزق دياب: المدرس الجامعي في ضوء تحديات القرن الحادي والعشرين، www.drsmmy.com/adaa-doc (20/04/2011-19 :00)
- (6) خالد خميس السر http://www.alaqsa.edu.ps/ar/aqsa_magazine/files/25-pdf
- (7) رشدي أحمد طعيمة ومحمد بن سليمان البندري: التعليم الجامعي بين رصد الواقع ورؤى التطوير، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2004، ص 242.
- (8) سهيل رزق دياب: مرجع سابق.
- (9) www.drsmmy.com/adaa-doc
- (10) رياض عزيز هادي: أخلاقيات مهنة التعليم الجامعي، جامعة بغداد، العراق، 2007، ص 47.
- (11) سهيل رزق دياب: مرجع سبق ذكره، ص 47.
- (12) سوسن شاكر مجيد ومحمد عواد الزيات: الجودة في التعليم دراسات تطبيقية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان / الأردن، 2008، ص 235 ، 236.

- (13) سليمان الخرموش: "التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس" على الموقع:
(22/04/2011-20 :30) kharboush.com/ar/arti/tm3htfj.doc
- (14) حلا محمود تيسير الشخشير: "مستوى التنمية المهنية لدى أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة النجاح الوطنية من وجهة نظرهم"،
<http://www.najah.edu/thesis/5172110>
- (15) محمد عبد الفتاح شاهين: "التطوير المهني لأعضاء الهيئة التدريسية كمدخل لتحقيق جودة النوعية في التعليم الجامعي"، على الموقع: www.cheqedu.org/studies/st16.doc
- (16) جمال فوزي العمري: "أساليب النمو المهني المتبعة لدى أعضاء هيئة التدريس في جامعة البلقان التطبيقية في مجال التدريس والبحث العلمي"،
www.damascusuniversty.edu.sy/mag/edu/images/stories/533-573.pdf
http ://
- (17) محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحان: "إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي و المكتبات ومراكز المعلومات، ط2، دار المسيرة، عمان/الأردن، 2009، ص ص 106،107

مورفولوجية المجتمع المدني في الجزائر

الأستاذ الدكتور: عبد الرحمن برفوق /الأستاذة: جهيدة شاوش اخوان

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية /جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر

الملخص:

المورفولوجيا هي علم دراسة الشكل والبنية، وفي هذه المقال سنحاول دراسة شكل المجتمع المدني الجزائري وتحليل مختلف البنى المشكلة له، وذلك بهدف فهم طبيعة هذا المجتمع وأبعاده البنوية من أجل التمكن من تفسير مستوى أدائه لوظائفه وأدواره المنوطة به، والتحديات الإستراتيجية التي أصبح يجابهها في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية التي تعيشها الجزائر على وقع العولمة وما ينتج عنها من تطور المجتمع وزيادة الوعي والمواطنة على غرار شعوب العالم من جهة، ومن جهة أخرى في سياق تزايد مطالب الإصلاح والتغيير والتحول نحو مجتمع أكثر ديمقراطية وحرية وعدالة، تحسبا لما يجري في البلدان العربية من أحداث يسميها البعض "الربيع العربي".

Résumé :

La morphologie est l'étude de la forme et la structure, et dans cet article nous allons essayer d'étudier la forme de la société civile algérienne et analyser ses différentes structures, afin de comprendre la nature de cette société et les dimensions de l'ordre structural, et pour saisir le niveau de performance de ses fonctions et les rôles qui lui sont confiées, et les défis stratégiques qui deviennent existant à cause des changements dilemmes sociaux et politiques en Algérie sur l'impact de la mondialisation et le développement résultant de la sensibilisation de la communauté et l'augmentation et à la citoyenneté en tant que peuples du monde, d'une part, d'autre part dans le contexte des exigences croissantes de la réforme et le changement et la transition vers une société plus démocratique, de liberté et de justice, en prévision de ce qui se passe dans les pays arabes des événements appellent d'autres "printemps arabe".

مقدمة:

لطالما شكل المجتمع المدني رهانا أساسيا في التحول السياسي والاجتماعي الجزائري، وعنصرا مفصليا يمكن من خلاله أن نستشف طبيعة النظام وأهدافه وطموحاته وخططه لمشروع مجتمع المستقبل، ويمكن هنا أن ندلل على ذلك مثلا بتعديل الدستور في سنة 1989 وما صاحبه من قوانين تفسح المجال أمام المواطنين لتأسيس الجمعيات والأحزاب والنقابات... إثر أحداث أكتوبر 1988، والتي تشبه إلى حد كبير ما يسميه البعض بأحداث الربيع العربي التي تعيشها عديد من الدول العربية، وتعيش الجزائر على وقعها سلسلة من الإصلاحات التي تمهد لتحول جديد في المسار السياسي والاجتماعي الجزائري، وقد راهنت الدولة في هذه المرحلة أيضا على تعديل قوانين الجمعيات والأحزاب والانتخابات...، وبغض النظر عن طبيعة هذه الإصلاحات ومدى عمقها ودقتها في إصابة أصل الداء، ومعالجة الإشكالات الحقيقية بالأساليب المناسبة، فإن موقع الشاهد هنا هو مدى أهمية المجتمع المدني في إحداث التغيير.

إن أهمية المجتمع المدني ليست تحصيل حاصل وإنما هي نتاج مرتبط بمدى فاعلية مؤسساته المختلفة في الساحة الاجتماعية، ومدى أدائها لأدوار المجتمع المدني الحديث التي تكمل الجهود الحكومية، وتغطي جوانب قصور الدولة وعجزها، وتضبط جوانب تطرفها...، غير أن أداء هذه الأدوار مرتبط بطبيعة هذه البنى وخصائصها البنيوية، ولهذا سنحاول في هذا السياق إلقاء الضوء على البنية المورفولوجية للمجتمع المدني الجزائري، وانعكاساتها على وظيفته في رسم ملامح الواقع الاجتماعي.

ماهية المجتمع المدني:

عرفت المجتمعات الإنسانية المجتمع المدني كظاهرة تاريخية منذ قرون عديدة قبل أن يظهر المصطلح في سياق فلسفات التنوير التي عرفتها أوروبا منذ القرن السابع عشر، وذلك في خضم حركة اجتماعية تغييرية واسعة شملت الثقافة

والسياسة والاقتصاد وأنماط العلاقات الاجتماعية جسدت في النهاية النهضة الأوروبية الحديثة. ومنذ ظهوره شهد المفهوم سلسلة من التغييرات المرتبطة باختلاف المفكرين والفلاسفة من جهة، وباختلاف المجتمعات وتغير ظروفها من جهة أخرى؛ ويمكن من خلال القراءة التحليلية النقدية لمفهوم المجتمع المدني إدراك ارتباطه بضرورة التطور الليبرالي الغربي.

وقد تبلور مفهوم المجتمع المدني في سياق نظريات العقد الاجتماعي؛ حيث كان مرادفاً لمفهوم المجتمع السياسي أو المجتمع المؤسس بناءً على العقد الاجتماعي. ومن أبرز مفكري هذه النظريات: توماس هوبز، جون لوك، وجان جاك روسو. كما تناول المفهوم كل من هيجل، ماركس، توكفيل، إضافة إلى فلاسفة عصر النهضة مثل مونتسكيو، سبينوزا، آدم فرجيسون... الخ. وقد ساهم كل منهم في تحديد دلالات مفهوم المجتمع المدني ومكوناته.

وبعد اختفاء مفهوم المجتمع المدني لعدة عقود أعاده المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي للظهور مجدداً، حيث اعتبر غرامشي المجتمع المدني فضاءاً للتنافس الإيديولوجي؛ فإذا كان المجتمع السياسي حيزاً للسيطرة بواسطة القوة أو السلطة، فالمجتمع المدني هو فضاء للهيمنة الثقافية الإيديولوجية. ووظيفة الهيمنة هي وظيفة توجيهية للسلطة الرمزية التي تمارس بواسطة التنظيمات التي تدعي بأنها خاصة مثل النقابات والمدارس ودور العبادة والهيئات الثقافية المختلفة⁽¹⁾.

وبعيداً عن الغوص في الفلسفات المؤسسة لمفهوم المجتمع المدني يمكن الاتفاق على تعريف المجتمع المدني من خلال جملة من المقومات والخصائص هي:

➤ **المؤسسية أو التنظيم الجماعي:** فالمجتمع المدني هو الأجزاء المنظمة من المجتمع العام، إذ يتشكل المواطنون في مؤسسات أو تنظيمات جماعية مختلفة في شتى المجالات التي قد تهتم المواطن أو المجتمع، ويمكن أن ينضم الفرد إلى عدد غير محدود من هذه المنظمات.

➤ **الحرية أو الطوعية:** إن الأفراد يشكلون أو ينتمون إلى تنظيمات المجتمع المدني بمطلق حريتهم واختيارهم، وهنا تختلف منظمات المجتمع المدني عن

المنظمات الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد تلقائيا بحكم المولد والإرث (كالدولة والقبيلة والعشيرة..).

- الاستقلالية: إن هذه التكوينات ينبغي أن تتسم بالاستقلال عن السلطة السياسية وهيمنة الدولة.
- الغاية والدور: هذه التنظيمات تعمل في مجالاتها المختلفة وبطرق متنوعة لأهداف معنوية أو مادية خدمة لمصالح الفرد أو الجماعة أو المجتمع ككل، غير أنها لا تسعى إلى الربح المادي، وهو ما يميزها عن المؤسسات ذات الطابع التجاري الاقتصادي مثلا.
- المنظومة الأخلاقية: ويقوم المجتمع المدني على ركن أخلاقي وسلوكي ينطوي على قبول الاختلاف والتنوع بين الذات والآخرين، وقيم التسامح والاحترام والتعاون والتنافس والصراع السلمي.

المؤسسات المشكلة للمجتمع المدني الجزائري:

ليس هناك اتفاق على تنميط معين لمكونات المجتمع المدني الجزائري، وقد اختلفت الدراسات التي اهتمت بهذا المجال، على قلتها، في وضع تقسيم منطقي موحد أو متقارب لبنى المجتمع المدني الجزائري، وعلى العموم يمكن الإشارة إلى البنى المؤسساتية الرئيسية المشكلة للمجتمع المدني الجزائري كما يلي:

أولاً: الأحزاب:

يذهب المؤرخون إلى إرجاع بداية الحركة الوطنية والنشاط الحزبي في الجزائر إلى سنة 1919 وإن كانت تلك البداية محتشمة⁽²⁾، وبحلول سنة 1930 كان للجزائر كل أشكال الأحزاب السياسية تقريبا، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار⁽³⁾، وقد برزت في هذه الفترة ثلاثة تيارات رئيسية هي:

✓ التيار الاستقلالي: (نجم شمال إفريقيا الذي تحول فيما بعد إلى حزب الشعب)

✓ التيار الاندماجي: (اتحاد المنتخبين المسلمين الجزائريين).

✓ التيار الإصلاحي: (جمعية العلماء المسلمين).

ثم انصهرت جهودها وتوحدت تحت راية جبهة التحرير الوطني بعد اندلاع الثورة التحريرية.

وبعد الاستقلال تبنت الدولة بشكل صريح الأحادية الحزبية ومنعت الجمعيات ذات الطابع السياسي، وذلك لأن الدستور الجزائري كان يمنع صراحة إنشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي وهو ما دفع التكتلات السياسية إلى ممارسة نشاطها السياسي ومواصلة نضالها المعارض للنظام سرا أو تحت ستار منظمات جمعوية ذات توجهات مختلفة منها الإصلاحية والدينية والثقافية والاجتماعية، ولهذا يمكن اعتبار أن التعددية الحزبية في الواقع لم ترتبط بالتعديل الدستوري الذي نجم عن أحداث أكتوبر 1988، فالنشأة الحقيقية لأهم الأحزاب في الجزائر كانت خلال فترة الأحادية الحزبية، أي منذ السنوات الأولى للاستقلال، والبعض منها يعتبر نفسه امتدادا لبعض المنظمات التي شكلت الحركة الوطنية أثناء فترة الاحتلال؛ غير أنها كانت تنشط بشكل سري، وخاصة تلك التيارات السياسية المعارضة ذات التوجه الإيديولوجي الأمازيغي أو الإسلامي. ومن بين هذه الأحزاب⁽⁴⁾:

✓ جبهة القوى الاشتراكية (FFS): تأسس في سبتمبر 1963 من طرف حسين آيت احمد.

✓ الحركة من أجل الديمقراطية في الجزائر (MDA): أسس في بداية الثمانينات من طرف الرئيس الأسبق احمد بن بلة.

✓ الحزب الاجتماعي الديمقراطي (PSD): يعد استمرارا للحزب الشيوعي الجزائري وحزب الطليعة الاشتراكية (1966)

✓ حزب العمال (PT): وهو نتيجة للنظام السري للثروتسكيين الجزائريين منذ بداية السبعينيات.

✓ الجبهة الإسلامية للإنقاذ (FIS) تعتبر نفسها امتدادا لسلسلة من الحركات الإسلامية السرية ابتداء من جمعية العلماء.

✓ حركة النهضة الإسلامية : تأسست في 1974 وتستند في مرجعيتها إلى حركة الإخوان المسلمين العالمية.
✓ حركة المجتمع الإسلامي (حماس): تعود بداياتها إلى 1963 وقد برزت في السبعينيات باسم "جماعة الموحدين".

وبعد إقرار التعددية السياسية في الجزائر من خلال دستور 1989 والذي نص في مادته 40 على حق إنشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي، سارعت الأحزاب والجمعيات لتنظيم نفسها حيث تم إنشاء العديد من الأحزاب السياسية التي وافقت عليها وزارة الداخلية ومنحتها الاعتماد الرسمي، حيث تجاوز عددها 67 حزبا مؤسسا ومصرحا به، وذلك وفقا لأحكام القانون 89-11 المؤرخ في 5 جويلية 1989 المتعلق بالجمعيات ذات الطابع السياسي، ويمكن تحديد ثلاث تيارات رئيسية توزعت عليها تلك الأحزاب، والتي عكست التوجهات الإيديولوجية الأساسية داخل المجتمع الجزائري هي التيار الإسلامي التيار الوطني والتيار اليساري (أو العلماني):

➤ التيار الإسلامي: وتعتبر الحركات الإسلامية من أهم التنظيمات التي اكتسحت الساحة السياسية وحتى الاجتماعية بقوة بعد الإقرار بالتعددية الحزبية، بسبب العمق الشعبي الذي تمتلكه، ويتجلى ذلك من خلال نتائج الانتخابات المحلية التشريعية والرئاسية التي جرت في مرحلة التعددية الحزبية. وعلى رأسها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وحركة النهضة الإسلامية، وحركة المجتمع الإسلامي.

➤ التيار الوطني: ويضم بالأساس جبهة التحرير الوطني، بعد أن سمحت لكل التيارات التي كانت تنشط بداخلها بالتحول إلى جمعيات سياسية، وواصلت بعد الانفتاح السياسي حيث تحولت إلى تنظيم كباقي الأحزاب، مع احتفاظها بكل إمكانياتها ومكتسباتها كحزب حكم البلاد لأكثر من ثلاثة عقود⁽⁵⁾.

➤ التيار اليساري: ويتميز بضعف مرجعيته التاريخية والشعبية، ولكن بقوة نفوذه السياسي والاقتصادي والإعلامي الذي أصبح مؤخرا أزيد بكثير من حجمه الانتخابي⁽⁶⁾. مثل جبهة القوى الاشتراكية، التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، حزب الطليعة الاشتراكي وحزب العمال.

ولكن بعد مرور بضعة سنوات من العمل والنشاط الحزبي تمت مراجعة نظام الأحزاب السياسية بموجب هذا القانون، وتم تأكيد ذلك في دستور 1996، في مادته 42 والتي نصت على أن حق إنشاء الأحزاب السياسية معترف به ومضمون ويجب التقيد بمجموعة من المبادئ، ومن ثم صدر الأمر رقم 97-09 في 6 مارس 1997 المتضمن القانون العضوي المتعلق بالأحزاب السياسية، حيث أضيفت شروط قانونية وقيود جديدة فيما يخص تأسيس الأحزاب، والتي طالبت الأحزاب المعتمدة بجعل تسمياتها وأسسها وأهدافها مطابقة لمواد هذا القانون، وكنتيجة لهذه الشروط تقلص عدد الأحزاب ليصبح 25 حزبا معتمدا، كما حرمت العديد من الأحزاب من الترشح للانتخابات وذلك لفقدانها نسبة التمثيل القانوني، لتصبح في الأخير 9 أحزاب فقط بإمكانها الترشح للانتخابات⁽⁷⁾.

وفي ظل الأزمة التي عرفتها الجزائر بعد توقيف وإلغاء المسار الانتخابي لأولى انتخابات ديمقراطية (ديسمبر 1991)، والتي كان يرتقب فيها نجاح التيار الإسلامي، وكان ذلك سببا في انتكاس التجربة الديمقراطية الوليدة، واشتعال فتيل الأزمة التي أدخلت الجزائر في "عشرية سوداء" عانت فيها الجزائر ظروفًا صعبة على جميع المستويات والأصعدة. في ظل هذه الأزمة فرضت الدولة قانون الطوارئ الذي منعت من خلاله المظاهرات والتجمعات... وصادرت حرية التعبير والمبادرة. ويمكن تصنيف الأحزاب في هذه المرحلة العصبية بناء على مواقفها من السلطة ومدى قربها من الحكومة في ثلاث اتجاهات:

- أحزاب السلطة: جبهة التحرير الوطني، التجمع الوطني الديمقراطي.
- الأحزاب الموالية للسلطة: حركة مجتمع السلم، التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية.

➤ والأحزاب المعارضة للسلطة: جبهة القوى الاشتراكية، حزب العمال، حركة النهضة.

في هذه المرحلة أوقفت وزارة الداخلية اعتماد أحزاب جديدة في حين تلاشت الأحزاب الصغيرة، وظهر إلى الوجود ائتلاف حكومي شكلته بعض الأحزاب إثر تشريعات جوان 1997، ثم تعزز هذا التكتل بعد رئاسيات 1999 لدعم برنامج الرئيس عبد العزيز بوتفليقة وتنفيذ برنامجه الذي يركز على عدة مشاريع أهمها الوثام المدني والإنعاش الاقتصادي واسترجاع مكانة الجزائر وهيبته الدولية، حيث تحول هذا الائتلاف إلى ما يعرف بالتحالف الرئاسي المكون من ثلاثة أحزاب (وهي: حزب جبهة التحرير الوطني، التجمع الوطني الديمقراطي، وحركة مجتمع السلم)، والذي استحوذ على الساحة السياسية وأصبح يشكل الشجرة التي تغطي الغابة، حيث تتقاسم الحقائق الوزارية وتحوز على أغلبية المقاعد في البرلمان.

وقد شكل قانون الأحزاب محورا أساسيا من محاور الإصلاحات الأخيرة، وهو الأمر الذي سمح بإعادة فتح المجال لاعتماد أحزاب جديدة، أصبحت تتسارع في وضع ملفاتها قبل الاستحقاقات المقبلة، حيث تم خلال بضعة أشهر اعتماد عشرين حزبا جديدا قبيل تشريعات 10 ماي 2012.

ثانيا: النقابات العمالية:

لقد كان لطبقة العمال الجزائريين تجربة نضالية في إطار النقابات التابعة للأحزاب اليسارية الفرنسية، ومن ثم أسس العمال الجزائريون منظمة نقابية مستقلة عن النقابات الفرنسية منذ عام 1956 وهي الاتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA). وعند استقلال الجزائر فرضت الدولة مرشحها لإدارة النقابة، مما منعها من ممارسة أعمالها بكل حرية واستقلالية عن الحزب الحاكم، وقد خلق هذا الوضع جوا من التوتر أدى إلى تعطيل نشاط النقابة وعدم الاعتراف بنشاطها⁽⁸⁾.

ونظرا لنقص التجربة النقابية، واستمرار الضغوط والسيطرة، وتدخل الحزب في كل نشاط وشؤون الدولة، وكرد فعل على هذه الضغوطات شهدت الجزائر عدة اضطرابات سنة 1964، ولقيت هذه الاضطرابات مساندة المركزية النقابية، ورغم الرقابة المفروضة والضغط الممارس من قبل السلطات، إلا أن العمال ظلوا يراهنون على ضرورة اشتراكهم في التسيير مع المطالبة بتعميم تطبيق التسيير الذاتي ليشمل كل القطاعات. ولم يمنع خضوع النقابة للسلطة من تنظيم العمال إضرابات حتى بدون موافقة هيكل النقابة، وقد كانت خطورة هذه الإضرابات العمالية تتمثل في كونها تهدد شرعية النظام الذي يدعي الالتزام بمبادئ الاشتراكية. ولهذا تمكن العمال من افتكاك بعض المكاسب النوعية من الدولة التي كانت تسعى للحفاظ على السلم الاجتماعي، أو بعبارة أوضح على الصورة الاشتراكية الثورية للنظام.

وقد ظل العمل النقابي محتكرا من قبل النقابة التاريخية (الاتحاد العام للعمال الجزائريين) حتى نهاية الثمانينيات، غير أن الوضع تغير بسرعة بعد صدور القانون 40-14 المؤرخ في 2 جويلية 1990 والخاص بممارسة الحق النقابي والذي أنتج تعددية نقابية تضم حوالي سبعين نقابة على المستوى الوطني، أسستها مختلف الفئات الأجيرية التي بادرت بمغادرة صفوف الاتحاد العام للعمال الجزائريين وتكوين نقابات مهنية مستقلة. لقد لجأت النقابات المستقلة إلى العديد من الحركات الاحتجاجية في السنوات الأخيرة، دفاعا عن مكانة الفئات الأجيرية المختلفة وخاصة منها الفئات الوسطى (أساتذة الجامعة، معلمون، أطباء، موظفون... الخ)، والتي عرفت وضعيتها تدهورا كبيرا في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية...، وذلك بسبب التحولات العديدة التي عاشها المجتمع الجزائري في منذ نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات.

ما يلفت الانتباه في هذه النقابات العمالية المستقلة التي برزت بعد الإعلان عن التعددية، أنها في أغلبيتها نقابات موظفين، اقتصر على قطاع الخدمات (الصحة، التعليم، الإدارة... الخ) بعيدة عن العمل الصناعي الذي لم يلجأ عماله

إلى تكوين نقابات إلا في حالات قليلة لم تتمكن من الصمود مع الوقت كما هو الحال بالنسبة للكنفدرالية النقابية للقوى المنتجة COSYFOP على سبيل المثال أو النقابات المحلية والقطاعية كالاتحاد الديمقراطي للعمال UDT التي بدأت تجربتها في القطاع الصناعي العمومي بولاية تيزي وزو قبل اختفائها؛ مما يعني أن جزءا كبيرا من مصاعب هذه النقابات كان مرتبطا، من دون شك، بالوضعية التي آل إليها القطاع العمومي الصناعي بوجه عام. نفس الشيء بالنسبة إلى عمال وعاملات القطاع الخاص الذين بقوا من دون تأطير نقابي يذكر، رغم أهميتهم على مستوى التشغيل، أهمية مرشحة للزيادة مع الوقت في ظل الخيارات الاقتصادية والسياسية السائدة الداعمة لاقتصاد السوق ولدور أكبر للفاعل الاقتصادي الخاص، الوطني منه والأجنبي. بالطبع، التطور الذي يعرفه عالم الشغل غير الرسمي حاليا في الجزائر وما يميزه من بطالة وتهميش مساطعات واسعة من الشباب، يجعل هذه التجربة النقابية الجديدة، رغم أهميتها، ذات عمل إدماجي محدود، لتظل فئات واسعة من المواطنين دون إطار تمثيلي يتم التعبير من خلاله في علاقاتها بالمؤسسات الرسمية كالبرلمان ومن دون إمكانية للمشاركة المنظمة، الدائمة والسلمية في الشأن العام⁽⁹⁾. وعلى الرغم من التعددية النقابية إلا أن الاتحاد العام للعمال الجزائريين لا يزال يعتبر أقوى تنظيم نقابي في الجزائر، كونه يحظى بمعاملة خاصة من طرف السلطات العمومية، بسبب نشأته في أحضان الدولة، وهذا ما جعله يحتوي تلك التنظيمات النقابية أثناء المفاوضات أو أثناء اتخاذ القرارات التي تخص الطبقة العاملة⁽¹⁰⁾.

ورغم الاعتراف بالنقابات العمالية ونقابات أرباب العمل منذ 1990، فإنها لم تتحول كلها إلى شريك مفاوض كطرف اجتماعي مقبول للسلطات العمومية، فتجربة الثنائية والثلاثية رغم أهميتها لم تعرف مشاركة كل النقابات المعترف بها قانونا، فلحد الساعة لازالت النقابة القديمة (الاتحاد العام للعمال الجزائريين UGTA) هي النقابة الوحيدة التي تحتكر المشاركة في هذا النوع من التفاوض الرسمي الذي يضم نقابات أرباب العمل والحكومة، ويدرس الكثير من

الملفات الاقتصادية والاجتماعية الهامة بشكل غير منتظم حتى الآن بما فيها قضية رفع الأجور والحوصصة... الخ⁽¹¹⁾.

ولئن كانت النقابات العمالية تحتل الصدارة في المجتمع المدني إلا أن ما يعوق عملها في الجزائر هو إصرار السلطة على الأحادية النقابية. بالإضافة إلى الطابع السياسي الذي اتخذته العمل النقابي منذ حرب التحرير، حيث انصرف الاتحاد العام للعمال الجزائريين إلى الدفاع عن مطالب سياسية، ولازالت هذه الممارسة سائدة إلى اليوم إذ تميل القيادة المركزية لهذا التنظيم إلى الانشغال بالسياسة والمقايسة السياسية مع السلطة عوضا عن صرف جهودها إلى الدفاع عن حقوق العمال خاصة في الظرف المتميز بخصخصة المؤسسات الاقتصادية العمومية التي ساد نظامها من قبل⁽¹²⁾.

على العموم يعتبر العمل النقابي عملا محدودا في الجزائر، ولم تتمكن الحركة النقابية في أي مرحلة من مراحل تطور النظام السياسي الجزائري من أن تكون قوة مركزية، بل كانت دوما تابعة لمراكز القرار السلطوي، ويتضح ذلك مع تنامي دور القطاع الخاص وتفاقم سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالجزائر، والتي تنعكس بالضرورة على طبقة العمال، فقد عجزت الحركة النقابية عن التواجد في المنشآت الخاصة. بالإضافة إلى وقوعه تحت التأثير الإيديولوجي والسياسي، فالاتحاد العام للعمال الجزائريين على مر تاريخه كان يعاني من تجاذبات اليسار الشيوعي والوسط الوطني، وفي الآونة الأخيرة عرف صعود بعض المحسوبين على التيار الإسلامي واللذين استطاعوا احتلال مواقع متقدمة في صفوفه⁽¹³⁾.

ثالثا: الجمعيات والمنظمات الأهلية

لقد تلاشت الجمعيات والمنظمات الأهلية التي كانت إبان فترة الاستعمار تدرجيا بعد الاستقلال لينصهر ما تبقى منها في بوتقة الحزب الواحد الذي كان

يرفض صراحة أي عمل سياسي أو نقابي أو جمعي خارج إطاره، وأنشأ لذلك منظمات جماهيرية ذات طابع وطني تشتغل تحت وصاية الحزب وتأطير هياكله، وتنشط هذه المنظمات الجماهيرية مختلف المجالات، مثل الاتحاد العام للعمال الجزائريين- الاتحاد الوطني للفلاحين- الاتحاد الوطني للشباب- والمنظمة الوطنية لقدماء المجاهدين...

وبعد إصدار قانون الجمعيات 31/90 الصادر سنة 1990 ظهرت العشرات من الجمعيات الاجتماعية والمهنية والثقافية...، وقد بلغ عددها خلال فترة وجيزة أكثر من اثني عشر ألف جمعية، ليلعب في سنة 2000 حوالي 56500 جمعية محلية و1000 جمعية وطنية، وحسب جرد 31 ديسمبر 2010 فقد بلغ عددها 1005 جمعية وطنية و88700 جمعية محلية⁽¹⁴⁾، وتضم الجمعيات الوطنية 208 جمعية تنشط في تنظيم المهن و146 في قطاع الصحة، أما الجمعيات التي تمثل مصالح الأسرة الثورية فلا تشكل إلا 9 جمعيات فقط.

غير أن معظم هذه الجمعيات غير فاعلة، وأن نسبة قليلة منها تنشط فعلا، ومعظمها لا يشتغل إلا ظرفيا في المناسبات، وتميل الجمعيات المحلية إلى الطابع الخدمي، في حين تقترب الجمعيات الوطنية من النشاط السياسي ومحاولة التأثير في صناعة القرار، كما أن الملاحظ أن البعد الديني حاضر في جل أصناف هذه الجمعيات. غير أنها على العموم لا تشكل جماعات ضاغطة بمعنى الكلمة.

وقد أعيد مؤخرا في إطار الإصلاحات الجارية النظر في قانون الجمعيات وأدخلت عليه بعض التعديلات، هذه الأخيرة التي يحذر بعض الحقوقيين والمحامين من تبعاتها، معتبرين أن القانون الجديد يشكل تراجعا كبيرا في مجال الحريات التي افتكها الجزائريون قبل أكثر من عقدين، ونكسة للمجتمع المدني الذي كان يتطلع لانفتاح أكبر مع التغيرات التي يشهدها العالم العربي.

وعلى العموم يمكن الإشارة إلى أبرز أنماط الجمعيات والمنظمات الأهلية

في الجزائر:

1. منظمات حقوق الإنسان

لقد اهتمت الدولة بمجال حقوق الإنسان لدرجة جعل لها النظام وزارة خاصة، ثم بدلها بمرصد وطني لحقوق الإنسان، غير أن المرصد لم يكن سوى وسيلة لتمويه تلك الخروقات المتكررة لحقوق الإنسان، والتي طالما نددت بها مختلف المنظمات المهتمة بحقوق الإنسان على المستويين الوطني والدولي، بما في ذلك منظمة العفو الدولية. وذلك من خلال تكذيب أخبار هذه الانتهاكات، واختصار حجمها إلى بضعة "تجاوزات" تكاد تكون عادية لأنها معروفة في كل بلدان العالم، حتى في أوقات السلم⁽¹⁵⁾.

وتحظى هذه المنظمات باهتمام ثلاث فئات نخبوية هي: فئة المحامين، فئة الجامعيين وفئة الأطباء، إلى جانب تيار اليسار والحركة الثقافية البربرية اللذان يستثمران في هذا المجال بشكل بارز وحيوي، وقد أنتج هذا الاهتمام مجموعة من المنظمات الحقوقية ومن أهمها:

➤ الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان: أسسها المحامي علي يحيى عبد النور، وهو وزير سابق في عهد الرئيس بن بلة، وتعتبر منظمة سياسية معارضة للنظام، ويرى البعض أنها تركز جهودها للدفاع عن حقوق أصحاب النزعة البربرية.

➤ الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان: وتضم مجموعة عناصر مثقفة، وقد عارضت التجاوزات التي ارتكبت خلال أحداث أكتوبر 1988، كما سعت للدفاع عن المعتقلين.

وهناك أيضا جمعية المساواة أمام القانون والمرصد الوطني لحقوق الإنسان⁽¹⁶⁾.

ولعل من أبرز القضايا التي اهتمت بها أيضا منظمات حقوق الإنسان في الجزائر في الآونة الأخيرة: قانون الأسرة، قضايا المفقودين، أوضاع السجناء،

انتهاك الحريات العامة، إلغاء حكم الإعدام، رفع قانون الطوارئ... إلى جانب بعض المطالب التي طرحتها الحركات البربرية.

1. المنظمات الطلابية:

كانت الحركة الطلابية منذ نشأتها مدرسة تدرّب فيها الكثير من المناضلين وخطوا بين أحضانها خطواتهم الأولى في الحياة العامة، منذ إنشاء أولى مكاتب جمعية الطلبة المسلمين الشمال إفريقيين، والتي كانت حينئذ مجرد تنظيمات ذات طابع ودي انخرط فيها عدد كبير من أولئك الذين سعوا بعد سنة 1930 لبعث حركة الشباب الجزائري ومنهم فرحات عباس. ثم تطورت الحركة الطلابية بعد ذلك فاتخذت طابعا سياسيا مافتى يتبلور مع الحركة السياسية، ومع حلول سنة 1943 تحولت حركة الطلبة إلى ممارسة النشاط السياسي بالرغم من اقتصر ذلك الانضمام على الجمعيات الأهم وهي: جمعية الطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية وجمعية الطلبة المسلمين الشمال إفريقيين⁽¹⁷⁾.

وقد ظهرت في أهم جمعيات الطلبة المسلمين نشاطات سياسية طلابية كانت امتدادا لنشاط الأحزاب المناهضة للاستعمار، وكانت السيطرة على جمعيات الطلبة المسلمين تشكل رهانا تنافست الأحزاب على كسبه⁽¹⁸⁾.

وهو الوضع الذي استمر خلال الثورة وبعد الاستقلال أيضا؛ حيث طغى على المنظمات الطلابية النشاط السياسي والحزبي حيث استغلها الحزب الواحد أثناء الفترة الاشتراكية في دعم الأفكار الاشتراكية والترويج لها، ولا تزال أغلب المنظمات الطلابية إلى يومنا هذا تنشط تحت رعاية أحزاب سياسية وتمثل امتدادا لها، وتشكل بالنسبة لها مجالا لاستقطاب جمهور من الشباب الجامعي وتدعيم قاعدتها الشعبية بفئة جديدة من الشباب الجامعي.

لقد كانت الحركة الطلابية التي كانت محصورة في عدد قليل من المدن الجامعية الكبرى حتى بداية السبعينيات إحدى بؤر الحركات الاجتماعية الفاعلة

في المجتمع الجزائري. فطرحت الكثير من القضايا السياسية الوطنية والدولية التي كانت تملك لها قراءات لا تتفق بالضرورة مع قراءات السلطة. قبل أن يتم القضاء على استقلاليتها التنظيمية والسياسية. كانت مرحلة القوة والصعود التي سيطر فيها سياسيا على الحركة الطلابية الفكر اليساري بمختلف ألوان طيفه مع سيطرة واضحة للاطروحات القريبة من النموذج التنموي الرسمي ذو النزعة الاقتصادية، وهو نفس الاتجاه الذي كان وراء حركة التطوع الطلابي لصالح الثورة الزراعية خلال عقد السبعينيات⁽¹⁹⁾.

ورغم تطور عدد الطلبة والجامعات في الجزائر، وظهور الكثير من التنظيمات الطلابية بعد انفتاح الساحة السياسية، إلا أن الحركة الطلابية فقدت الكثير من إشعاعها وقوة تأثيرها، وتحولت اهتمامات هذه الشريحة الحيوية في البلاد إلى مشاكل الجامعة في حد ذاتها، وابتعدت نوعا ما عن قضايا الوطن والأمة، وقد سيطر طلاب الحركة الإسلامية على هذا القطاع بشكل كبير بحيث أصبحت التنظيمات الوطنية الأخرى والتنظيمات المحسوبة على التيار البربري هامشية، ولا تؤثر في الساحة الطلابية، وغطى الاتحاد العام الطلابي الحر والرابطة الوطنية للطلبة الجزائريين، واللذين يدوران على التوالي في فلك حزبي حركة مجتمع السلم وحركة النهضة، على باقي التنظيمات خاصة في مطلع عشرية التسعينيات، وأصبحا هما الناطق باسم الحركة الطلابية والمفاوض أمام الإدارة⁽²⁰⁾.

1. المنظمات النسائية

لقد تطور وضع المرأة في الجزائر وتزايد حضورها في المجالات العمومية؛ إذ يكاد لا يوجد أي مجال لم تقتحمه المرأة، وقد استطاعت المرأة الجزائرية أن تحتل مناصب رائدة في مختلف المجالات الاجتماعية والمهنية والعلمية والسياسية، مقارنة بنظيراتها في العالم العربي، فكانت الوزيرة والنائبة البرلمانية ورئيسة الحزب والوالية... غير أن ذلك لم يكن نتيجة نضال نسوي، إذ تكاد كل الأوساط

الاجتماعية والسياسية في الجزائر تجمع على مسألة مفادها أن المرأة الجزائرية لا تملك خصوصيات في طرح قضايا منفصلة عن قضايا واهتمامات المجتمع الجزائري، سواء الاقتصادية الاجتماعية وحتى الثقافية، إذا ما استثنينا ذلك الحوار الذي جرى بقوة عن تعديل قانون الأسرة (الصادر سنة 1974) المستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية، تعديل كان محل صراع حاد بين مؤيد ومعارض.

ويرى البعض أن ما اكتسبته المرأة الجزائرية إنما يدخل في إطار تحسين صورة النظام السياسي الجزائري أمام الجهات المهتمة بحقوق الإنسان والدفاع عن حقوق المرأة، الثابت أن التنظيمات النسوية عجزت عن تأطير المرأة الجزائرية رغم أن نصف ديمغرافية الجزائر هي من النساء، ففي الأوساط الجامعية أو عالم الشغل نادرا ما نجد حركة نسوية تناضل بشيء من الخصوصية، ناهيك عن عالم الريف الذي بقي بعيدا جدا عن الحراك الاجتماعي الذي عرفته الجزائر بعد اعتماد دستور 1989، وقد يرجع هذا العجز إلى اقتصار هذه التنظيمات على النشاط النخبوي المتمركز في المدن الكبرى⁽²¹⁾.

ومثال ذلك الإصلاحات الأخيرة التي اقترحتها الدولة المتمثلة في إجبار الأحزاب منح المرأة بالضرورة نسبة الثلث من القوائم الانتخابية للتمكن من دخول المعترك الانتخابي.

2. منظمات الأسرة الثورية

ظهرت بعض هذه المنظمات إلى الوجود منذ السنوات الأولى للاستقلال بهدف حماية حقوق مختلف الشرائح التي تمثل الأسرة الثورية، وترسيخ القيم الوطنية والحفاظ على مبادئ أول نوفمبر. وهي على العموم منظمات ذات تمثيلية عالية وتمتلك هياكل قاعدية وممثلين في معظم ولايات الوطن، ولها مكانة وقوة سياسية معتبرة، وكثيرا ما كان لها أدوار تاريخية في دعم السلطة ومساندتها.

وقد تأسست المنظمة الوطنية للمجاهدين منذ 1963 من طرف المجاهد إبراهيم حشاني، بهدف الدفاع عن متقاعدي جيش التحرير الوطني وذوي الحقوق من أبناء وأرامل الشهداء وحماية مصالحهم المادية والمعنوية، وقد أخذت المنظمة بعدا ثقافيا وتاريخيا وسياسيا، حيث سعت للحفاظ على روح الثورة والقيم الوطنية، وتمتلك هذه المنظمة قوة أمام السلطات خاصة إذا تعلق الأمر بالثوابت الوطنية والرموز التاريخية.

وفي سنة 1989 ظهرت المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء وهي من الجمعيات الفاعلة على الساحة السياسية بسبب نشاطاتها وحضورها، وتسعى هذه المنظمة إلى تعزيز مكانة أبناء الشهداء ودعم مواقعهم في النظام السياسي، وقد كان من بين أبناء المنظمة الكثير من الأعضاء المؤسسين لحزب التجمع الوطني الديمقراطي، ويشغلون فيه مراكز قيادية، كما يتواجدون في مختلف المجالس الشعبية الوطنية وأعضاء في مجلس الأمة⁽²²⁾.

وتشمل الساحة السياسية حاليا عدة منظمات مثل:

✓ المنظمة الوطنية للمجاهدين.

✓ التنسيقية الوطنية لأبناء الشهداء.

✓ المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء.

✓ اتحاد أبناء الشهداء.

✓ اتحاد أبناء المجاهدين.

3. منظمات أرباب العمل:

بالموازاة مع الخصوصية وما رافق التحول نحو اقتصاد السوق من آليات تسمح بظهور وتطور القطاع الخاص في الجزائر بدأت العديد من المنظمات التي أسسها أرباب العمل تظهر على الساحة الاقتصادية والسياسية، محاولين في ذلك أخذ موقع الشريك المساهم في اتخاذ القرار على المستوى الاقتصادي خصوصا وحتى السياسي عموما، بالموازاة مع النقابات العمالية، ورغم الفارق النضالي

التاريخي بينهما إلا أن منظمات أرباب العمل استطاعت كقوة اقتصادية ضاغطة أن تحجز لها مكانا في إطار جلسات التفاوض والمشاورات الثنائية والثلاثية التي دأبت الحكومة على إجرائها، إلى جانب حضورها داخل هياكل تسيير صناديق الضمان الاجتماعي المختلفة.

وقد نظم كبار أرباب العمل الجزائريين (120 رب عمل في مختلف القطاعات يشغلون أزيد من 128000 عامل) أنفسهم في "متدى رؤساء المؤسسات" الذي ظهر إلى الوجود سنة 2000، ويضم إلى جانب أرباب العمل الخواص مؤسسات القطاع العمومي التابعة للدولة، وقد تحول هذا المتدى إلى فضاء للحوار والنقاش حول العديد من المسائل الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بشكل وثيق بعمليات الإصلاح الاقتصادي، وذلك من خلال الندوات والدراسات التي يقوم بها لصالح المؤسسة الاقتصادية⁽²³⁾.

4. المنظمات الشبانية

لقد مثل الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية الشباب الجزائري طيلة الثورة، وغداة الاستقلال أولت الجزائر مسألة تنظيم وتأطير الشباب اهتماما بالغا من قبل المكتب السياسي لجهة التحرير الوطني، الذي أسس منظمة شبيبة جبهة التحرير الوطني، والتي عملت تحت إشراف الحزب. ومع منتصف السبعينيات وبالتحديد سنة 1975 تاريخ انعقاد الندوة الوطنية الأولى للشباب تم توحيد كل الفئات الشبانية تحت راية الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية، وضم آنذاك الطلبة الجامعيين والطلبة الثانويين والكشافة وشباب الأحياء. ولما كان الصراع على أوجه في الأوساط الطلابية، وبعد قراءة سياسية للتركيبة الشبانية انفتحت قيادة البلاد على الفئة التي كانت تبدي تمحسا أكبر للبرنامج الاشتراكي وهكذا عرفت سنوات السبعينات إلتفاف الشباب حول مبادئ وأهداف الثورة، وأثمر هذا التحالف بين القيادة السياسية والقاعدة الشبانية جملة من الإنجازات كالتب المجاني، وديمقراطية

التعليم، وبناء القرى الاشتراكية، وحملات التطوع الفلاحي... في حين انحازت فئات أخرى وخاصة الطلابية منها إلى بناء قوة معارضة تمثلت أساسا في الشباب الإسلامي وشباب الحركة البربرية، ودارت بينها حوارات عنيفة وصلت حد الإقتتال (أحداث بن عكنون 1980⁽²⁴⁾).

لقد كانت التنظيمات الشبانية من أولى أشكال التنظيم الجماعي في الظهور، حتى وإن كانت هذه التنظيمات من صنع الإدارة في بداية الأمر، بغرض إيجاد شريك اجتماعي يساهم في ترقية الأنشطة الموجهة للشباب آنذاك، ويأخذ بتوجيهات الإدارة كأهداف وبرامج يراهن عليها، ويعمل على تجسيدها بما يقدم له من إمكانيات مادية وبشرية ومالية.

غير أنه وعلى العموم فإن روح التنظيم والمبادرة الحرة التي تقدمها الجمعيات لمنحطيتها، تشكل فضاءا ملائما لاكتشاف المواهب والقدرات القيادية في أوساط الشباب، فالنشاط يسهل ويعود الشباب على الاتصال فيما بينهم، ويشعرهم بأهميتهم في المجتمع، ويزيد من تمتين أواصر المواطنة وحب الوطن، ويرغبهم في العمل الجماعي، وخدمة بعضهم البعض على أساس الانقياد للكفاءات وليس للعلاقات الخاصة أو الجهوية المقيتة⁽²⁵⁾.

ولكن هذه التنظيمات لم تستطع إيجاد مجال مستقل للعمل بعد أن سمح القانون بتحويلها إلى منظمات حرة غير هادفة للربح، بل بقيت مرتبطة بالإدارة، بدلا من البحث في مجال أوسع وأرحب يمكنها من الحركة والمبادرة بالجديد في ميدان التنشيط. ولذلك فالحركة الجمعية في ميدان الشباب -خاصة المرتبطة بمؤسسات الشباب- لم تتمكن من تجاوز جدران هذه المؤسسات، تحت مقولة خدمة الصالح العام لنيل المساعدة والتأطيرية، ما جعل من هذه الجمعيات شبه إدارة موازية، تنفذ برامج ومهام الإدارة، أكثر من برامج ومهام التنظيم الحر⁽²⁶⁾.

5. الجمعيات والمنظمات المحلية

تحتل العاصمة (أكبر ولاية) الصدارة من حيث عدد الجمعيات المحلية بـ 7001 جمعية، تليها بجاية بـ 4844 جمعية، ثم الجارة تيزي وزو بـ 4709 جمعية، تليها وهران بـ 3735 جمعية، وباتنة بـ 3078 جمعية. وتحتل ولاية تندوف (35 ألف ساكن) مؤخرة الترتيب من حيث عدد الجمعيات المسجلة بـ 206 جمعية، وقبلها غليزان بـ 330 جمعية وعنابة بـ 566 جمعية فقط⁽²⁷⁾.

ويطغى على هذه الجمعيات على العموم الطابع الخدمي، حيث تنتشر في المدن وحتى القرى العديد من الجمعيات التي تهتم بتقديم المساعدات المادية أو الاجتماعية أو التعليمية أو التكوينية لفئات مختلفة من أفراد المجتمع مثل مساعدة الفقراء أو النساء الماكثات في البيوت أو الأطفال أو المرضى أو ذوي الاحتياجات الخاصة... وبالرغم من أعدادها الهائلة على المستويات المحلية غير أن معظمها جمعيات وهمية تختفي بعد أولى العراقيل التي تواجهها، كما أنها تفتقد إلى الاستمرارية في العمل وتمارس نشاطها بشكل ظرفي مناسباتي، ولهذا فإن تأثيرها في المجتمع جد بسيط وذلك مرتبط بمحدودية إمكانياتها، وضعف مستوى التأطير لدى هياكلها ولأسباب وعوامل عديدة أخرى.

رابعا: الزوايا والطرق الصوفية:

تختلف الطريقة عن التصوف بأنها ليست تجربة فردية بل جماعية، وقد يكون غالبا في أصلها أحد المتصوفة، وهي تتخذ شكل أخويات دينية لها طقوس وهياكل معينة؛ إذ يأتي أحد العقلاء ويقترح طريقة، ويضع شروطا للانتساب الذي يكون بصفة فردية. لقد بدأ الانتشار الفعلي لهذه التنظيمات والجمعيات بعد سقوط الأندلس حين أصبح الخطر المسيحي على الشمال الإفريقي داهما، في أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر، وهكذا انتشرت عشرات الطرق.... واليوم هنالك عشرات من الطرق والأخويات الدينية المنتشرة في شتى

أنحاء الجزائر، وبعضها-إن لم يكن معظمها- لها امتدادات خارج الحدود باتجاه الشرق وباتجاه المغرب العربي، وباتجاه العمق الإفريقي...

وقد مارست الأخويات الدينية والطرق المؤسسة لها دورا مركزيا في تاريخ الجزائر الحديث، بخاصة في إشعال الثورات الفلاحية وقيادتها، فمعظم الثورات التي عرفتها البلاد منذ حكم الأتراك وحتى نهاية الحكم الفرنسي كانت بشكل أو بآخر مرتبطة بواحدة من تلك الأخويات التي لعبت دور حزب سياسي حقيقي يخضع لسلطة مركزية قوية، توحد بين أعضائه عقيدة دينية وفكرية قوية⁽²⁸⁾.

ومن أهم الطرق المنتشرة في الجزائر: الطريقة القادرية، الشاذلية، السنوسية، الدرقاوية، العليوية، الطيبية، التيجانية، المريدية، والمرابطية.

أما الزوايا فتشتمل على مجموعة من العناصر تتكون غالبا من ضريح لأحد الأولياء الصالحين أو أحد أقاربه، وقاعة للصلاة، وقاعة لإعطاء الدروس، وزنانات صغيرة يحل فيها الطلاب أو السياح، وتستضيف عابري السبيل من المحتاجين أو المعوزين أو المشردين⁽²⁹⁾. وتتعدد وظائف الزاوية إلى جوانب مختلفة؛ فهي محل للعبادة ومنتدى للثقافة ومأوى للسلم يأتيه الناس من الضواحي القريبة والبعيدة، وهي ملجأ للمضطهدين ومنزل لراحة المسافر، وكل ذلك يجري تحت رعاية شيخ الزاوية. إن المبادئ الاجتماعية والدينية التي تقوم عليها الزاوية لا تشجع على تجميع الأموال؛ فهي تهتم بالدرجة الأولى بنشر الثقافة وتعاليم الإسلام لكن هذه الوظيفة الاجتماعية تسخر لأعمال اقتصادية ضرورية للحياة الاجتماعية كحماية القوافل وتحصيل الزكاة وغيرها⁽³⁰⁾. وقد انتشرت الزوايا بشكل كبير منذ عهد الأتراك، وتقول بعض الإحصاءات أن عدد الزوايا في الجزائر حاليا يفوق خمسة آلاف زاوية. لقد كان للزوايا دور كبير ونفوذ قوي خاصة في المرحلة الاستعمارية باعتبارها الملجأ الوحيد للحفاظ على الدين ونشر اللغة العربية، خاصة في القرى والأرياف. ورغم الدور الذي كانت تقوم به غير أنها لاقت مواجهة شرسة من جمعية العلماء المسلمين ابتداء من عام 1930، فقد رأت

فيها هذه الأخيرة "إسلاما غامضا" متوقعا يرفض الانفتاح والتطور والتشبع بأفكار النهضة، واستمرت المواجهة بينهما كنوع من المواجهة بين "إسلام المدينة" و"إسلام الريف".

ولم يكن للزوايا دور بارز في الجزائر المستقلة حتى سنة 1991 أين انعقدت في الجزائر العاصمة أول ندوة وطنية حول الزوايا، وذلك في محاولة واضحة لتوظيف الزوايا حتى تلعب دورها في كبح جماح الجبهة الإسلامية للإنقاذ من جهة، وبخاصة في أوساط الفلاحين، ولاستعادة تاريخها العريق حتى تكون عنصر توازن ضمن الخريطة السياسية الجديدة في البلاد التي أصبحت تعج بالتنظيمات والأحزاب، خاصة تلك التي لها توجهات دينية من جهة أخرى⁽³¹⁾.

إن القوة التي عادت بها الزوايا والطرق الصوفية بفعل الدعم الكبير الذي تحظى به من طرف الدولة، تدل على الدور السياسي الكبير الذي تلعبه هذه الطرق الصوفية والتي تحظى بعناية فائقة من طرف الدولة، وقد كشفت جل المواعيد السياسية التي عرفتها الجزائر في العشرية الأخيرة الدور الفعال الذي لعبته هذه البنى التقليدية في رسم المشهد السياسي من خلال دعمها للرئيس المترشح (بوتفليقة) في انتخابات 1999 و2004 ومساهماتها في ترجيح كفته. كما أعلنت هذه الطرق عن دعمها ومساندتها لتمديد حكم الرئيس لولاية رئاسية ثالثة، حيث أنه أعاد الاعتبار للطرق الصوفية والزوايا، وفتح أمامها المجال للتعبير عن مواقفها من كل الاستحقاقات السياسية. وهو ما يدل على العلاقة الوطيدة بين السلطة والطرق الصوفية التي باتت من المؤسسات الدينية التي يصعب تجاوزها في رسم سياسة البلاد، وأن دعمها لأي مشروع سياسي أصبح ضروريا ويعطي الكثير من المصدقية لأي خطوة سياسية.

ملامح البنية المؤسسية لمنظمات المجتمع المدني الجزائري:

إن أول ما يلفت الانتباه في بنية المجتمع المدني الجزائري هو ضخامة الحجم مقارنة بنظيره في الدول العربية وحتى في دول أكثر عراقة بكثير في مجال الديمقراطية والحريات المدنية، هذا الحجم الذي لا يعكس مستوى الأداء الفعلي لهذه المؤسسات في الواقع الاجتماعي. كما نسجل حضور المؤسسات التقليدية بشكل لافت، رغم التقلص الكبير في نوعية أدوارها، فالطرق والزوايا مثلا لازالت تمتلك سلطة كبيرة لدى مريديها وأتباعها، غير أنها لم تعد تمارس تلك الوظائف الاجتماعية والاقتصادية... التي كانت منوطة بها منذ قرون، كما أنها لم تعد إلى الواجهة السياسية إلا بتوجيه من السلطة، كما فقدت المساجد صفتها المدنية التقليدية التي كانت تمتلكها في عهود سابقة، ومع ذلك فهي لا تزال تستخدم كمجالات للهيمنة على الرأي العام (وخاصة منه الريفي).

كما أن ما يميز بنية المؤسسات المدنية في الجزائر عموما وعلى اختلاف أنواعها هو ضعف الاستقلال والاعتماد على الدولة بشكل أو بآخر، وهذا الأمر راجع بالدرجة الأولى إلى الهيمنة التي مارستها الدولة طوال عقود طويلة على كل عمل طوعي خارج نطاق الحزب الواحد، الأمر الذي كرس الاستكانة والخضوع والتبعية والخوف من سلطة (أو تسلط) النظام حتى لدى من يفترض فيهم المعارضة. إن من أهم عوائق المجتمع المدني الجزائري والعربي عموما في الواقع هي تأقلم المواطن مع هضم حقوقه كإنسان وكمواطن، وهي حالة أفرزتها من جهة الشخصية أو الوضعية الإتكالية التي تميز بها المواطنون لسنوات طويلة في ظل دولة ريعية تتدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياة مواطنيها⁽³²⁾. ومن جهة أخرى الشعور العميق بالخوف والانهازامية أمام الدولة التسلطية التي لا يقيدتها قانون.

كما يرجع ذلك بالدرجة الثانية إلى ضعف الثقافة القانونية والخبرة التنظيمية لدى النخبة التي تقود هذا المجتمع المدني، فجل هذه المؤسسات مثلا تعتمد على الدولة ماديا بشكل كبير جدا سواء من حيث المقرات أو التمويل،

وتعجز عن إيجاد أطر تنظيمية للاستقلال المادي وهو ما يجعلها مضطرة إلى موالة السلطة من أجل الحصول على حصتها من المساعدة والدعم. وهي إلى جانب ذلك عاجزة عن وضع برامج واستراتيجيات عمل موضوعية ودقيقة وواضحة (أو براغماتية) فمعظم الأحزاب مثلا لا تمتلك برامج واضحة ودقيقة وإنما رؤية عامة أو خطوطا عريضة، ولا يزال زعماء الأحزاب عندنا مثلا يعدون الشباب في حملاتهم الانتخابية بالزواج والعمل والسكن... دون آليات موضوعية واستراتيجيات محددة كإن بطريقة سحرية.

ومن جهة أخرى يمثل الاستقطاب تحديا من التحديات التي تواجه منظمات المجتمع المدني الجزائري، إذ يرى البعض أن المجتمع المدني هو مجتمع "عضويات"، فبقدر ما يحمل المواطن من بطاقات عضوية بقدر ما يكون عنصرا نشطا في مجتمعه المدني، والذين لا بطاقات عضوية لهم (في أحزاب أو أندية أو نقابات، أو اتحادات، أو غرف تجارية أو صناعية، أو تعاونيات أو جمعيات أو روابط) فإنه يصدق عليهم وصف المهمشين (marginals) أو المستضعفين (powerless) في أي مجتمع معاصر⁽³³⁾. والواقع أن المواطن الجزائري لا يميل إلى جمع بطاقات الانخراط والعضوية في الأحزاب أو النقابات ولا الجمعيات، فبالرغم من تعدد وتنوع منظمات المجتمع المدني وانتشارها في مختلف المدن والقرى، فإنها لا تستقطب المواطن للانخراط فيها، ولا تحوز على ثقته، بل ينظر إليها بعين الريبة ويراهم كمجموعات تخدم مصالحها فقط وتسعى للوصول إلى السلطة.

وينعكس ضعف الاستقطاب على مستوى التمثيل بالنسبة لمنظمات المجتمع المدني، وهو ما نلمسه مثلا في عجز هذه المنظمات عن تأطير الحركات الاحتجاجية، وعلى رأسها الإضرابات العمالية التي تعجز النقابات عن تعبئتها وتوجيهها، فقليلًا ما حققت دعوات النقابات العمالية للإضراب استجابات قياسية وسط العمال وذلك بسبب ضعف التمثيل. وهو الأمر عينه بالنسبة للحركات الاحتجاجية لمختلف شرائح المجتمع والتي لا تندرج تحت أي تنظيم مدني يمثلها ويتفاوض باسمها مع ممثلي النظام. هذه الوضعية سببها توجه جهود

المنظمات المدنية وتحيز أهدافها إلى أعلى هرم السلطة وليس للأسفل؛ فالخطأ الذي تقع فيه النخبة والأحزاب السياسية والمنظمات المدنية عموما هو انشغالها بالصراع على السلطة وإهمالها لدعم وتعزيز قيمها على مستوى القاعدة الاجتماعية، وهو الأمر الذي جعلها نخباً تتعاطى السلطة ولا تتعاطى سياسة المجتمع، ولهذا تمكنت بعض الحركات الإسلامية في كثير من الأحيان من الاستحواذ على شرائح هامة من الجماهير بسبب قربها من جذور المجتمع. وهو أيضا ما يفسر نزوع هذه المنظمات إلى العمل المناسباتي المرتبط غالبا بالمواسم الانتخابية، أو الأحداث ذات الأهمية الوطنية أو الإقليمية، وعدا ذلك فمعظمها يدخل في سبات عميق خارج هذه المواعيد.

هذا وتتميز البنى المدنية بضعف الثقافة الديمقراطية داخلها؛ فهذه التنظيمات تعمل تحت قيادة أفراد بعينهم لمدة سنوات وعقود، تماما كحال النظام، ولا يتم فيها التداول على السلطة مثلا إلا في حالات شاذة مرتبطة بعوامل خارج السيطرة؛ فمعظم رؤساء الأحزاب مثلا لا يزالون في مناصبهم منذ سنوات وعقود وبعضهم منذ تأسيس أحزابهم (مثل آيت احمد، سعيد سعدي، لويذة حنون...)، إلا من توفي منهم (مثل محفوظ نوح)، أو من تعرض لعملية انقلابية (مثل مهري، بن فليس، جاب الله...)، وهو أمر ينسحب على مختلف التنظيمات المدنية الأخرى سواء النقابات أو المنظمات الوطنية وحتى الجمعيات المحلية. كما أنها لا تمارس أجديات الديمقراطية من خلال النقاش الحر واحترام التنوع والاختلاف والرأي الآخر، وكثيرا ما طالعتنا وسائل الإعلام عن تنصل مناضلي وأعضاء منظمات مدنية عن تصريحات ومواقف قادتها في قضايا محلية أو إقليمية، أو ما نلاحظه في السنوات الأخيرة من انقسامات وانشقاقات وحركات تصحيحية في صفوف هذه التنظيمات.

الخاتمة:

لقد كانت التنظيمات المدنية التقليدية التي عرفها المجتمع المدني الجزائري منذ قرون تؤدي أدوارا بالغة التنوع والثراء تشمل مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والتشريعية وغيرها. و كانت تتسم بالطابع الطوعي والاستقلالية، وتهدف إلى المساهمة في تنمية المجتمع بشكل عام وتنظيم سير الحياة فيه، و تسهم إلى حد كبير في إرساء قواعد الاعتماد على الذات وحل مشاكل المجتمع دون اللجوء إلى الدولة ومؤسساتها المحلية في كل صغيرة وكبيرة. ولم تكن هذه البنى الاجتماعية محكومة بالانتماء القبلي أو العشائري أو الإرثي بشكل عام، وهو ما يمنحها الطابع المدني.

غير أن المنظمات المدنية في الجزائر المستقلة عرفت تراجعا كبيرا، فقد كانت الحركات السياسية والنقابية والفكرية في عهد الاستعمار أكثر تنوعا ونشاطا مما أصبحت عليه بعد الاستقلال، رغم أنها لم تكن قائمة على مطلب تطوير المجتمع المدني كفضاء للحريات إلا في حدود ما يساعد عليه من مهمة التحرير الوطني⁽³⁴⁾.

ويرتبط هذا التراجع بشكل كبير بطبيعة الدولة ونظام الحكم منذ فجر الاستقلال والذي يتسم بالطبيعة العسكرية، ما جعله يعمد إلى محاولة السيطرة على الحراك الاجتماعي من خلال الهيمنة على مختلف التيارات الفكرية والبنى الاجتماعية والمؤسسات المدنية التي قد تؤثر فيه، وتوجيهها بما يخدم إيديولوجية الدولة من خلال صهرها في قالب وحدوي يمثله الحزب الحاكم.

ورغم المحاولات التي بذلت منذ عام 1989 لتوسيع دائرة الحكم والسلطة والاتجاه نحو الديمقراطية والتعددية إلا أن المؤسسة العسكرية بقيت في النهاية هي المسيطرة على دوايب الحكم⁽³⁵⁾. واستمرت الثقافة السياسية الرسمية السائدة في رفض استقلالية الفاعلين الاجتماعيين، مواطنين كانوا أو جماعات منظمة أو

مؤسسات ممثلة. لم يتجه النظام في هذه المرحلة إلى استخدام منظمات المجتمع المدني للهيمنة على المجتمع بشكل عام كما في المرحلة السابقة عن التعددية، غير أنه وبالمقابل لم يسمح لها بالنمو والتطور خشية تحولها إلى قوة ضاغطة قد تحد من سلطته.

لم تنظر الدولة إلى المجتمع المدني في أي مرحلة من مراحلها على أنه شريك في التنمية يكمل جوانب النقص فيها، بل لطالما رأت فيه منافسا يجب تحجيمه. وهو ما جعل المجتمع المدني بتشكيلاته المتنوعة لم يتمكن من لعب دوره التنموي بشكل عام، ولم يستفد المجتمع من الإمكانيات الكامنة في هذه التنظيمات بالقدر المطلوب، ما جعلها تفقد مصداقيتها بالنسبة للمواطن الذي يستمر في التعبير خارجها عن مطالبه واحتياجاته. إن الاحتجاجات العديدة التي عرفها الشارع الجزائري من قبل مختلف الفئات والمستويات وبكل أساليب الاحتجاج المشروعة وغير المشروعة لم تكن في غالبيتها العظمى مؤطرة من قبل منظمات المجتمع المدني على اختلافها وكثرتها، بل على العكس فقد حاولت هذه الأخيرة اعتلاء موجات هذه الاحتجاجات وادعاء الوصل بها، طمعا في كسب مكانة ما في الوسط السياسي سواء بين المؤيدين أو المعارضين.

❖ هوامش البحث

(1) Roger Gerard schwartzenberg: **Sociolologi politique**, éd5, Montchrestien, Paris cedex15,1998, p73.

(2) الأمين شريط: التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 6.

(3) أنيسة بركات: محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 185.

(4) بشكل أكثر تفصيلا في هذا الصدد أنظر: اسماعيل قيرة وآخرون: مستقبل الديمقراطية في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002، ص 155.

(5) خولة كلفاحي: التحول الديمقراطي في الجزائر، ضمن ملتقى حول التحول الديمقراطي في الجزائر، جامعة محمد خيضر - بسكرة (20-11-2005)، ص 186.

(6) اسماعيل قيرة وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص 174.

(7) نور الدين حاروش: الأحزاب السياسية، دار الأمة، الجزائر، 2009، ص 135.

(8) عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، ط3، دراسة سوسبولوجية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 180.

(9) عبد الناصر جابي: الجزائر من الحركة العمالية إلى الحركة الاحتجاجية، المعهد الوطني للعمل، الجزائر، 2001، ص 158.

(10) المرجع السابق، ص 159.

(11) عبد الناصر جابي: تقييم وطني لمشاركة المواطنين والمجتمع المدني في إصلاح القطاع العام في الجزائر، في الإدارة الرشيدة لخدمة التنمية في الدول العربية، ص 18. بتاريخ: 22-02-2012،

من موقع:

www.pogar.org/publications/civil/.../algeria-a.pdf

- (12) محمد هناد: الجزائر: الانتقال من الأحادية إلى التعددية الحزبية، مجلة الديمقراطية، العدد 17 (يناير 2005)، ص 116.
- (13) محمد بوضياف: الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني في الجزائر، دار المجد للنشر والتوزيع، سطيف، 2010، ص 82.
- (14) حسب تصريحات وزير الداخلية والجماعات المحلية أمام نواب المجلس الشعبي الوطني في ختام مناقشة قانون الجمعيات.
- (15) محمد هناد: النظام السياسي الجزائري قطيعة أم استمرار، في: عبد الله حمودي (مشرفا): وعي المجتمع بذاته، عن المجتمع المدني في المغرب العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1998، ص 105.
- (16) أيمن ابراهيم الدسوقي: المجتمع المدني في الجزائر (الحقرة- الحصار- الفتنة)، مجلة المستقبل العربي، عدد 259 (9-2000)، ص 67.
- (17) غي برفيلي: النخبة الجزائرية الفرانكوفونية، ترجمة م. حاج مسعود وآخرون، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2007، ص 153.
- (18) المرجع السابق، ص.ص، 200. 201.
- (19) عبد الناصر جابي: الحركات الاجتماعية في الجزائر بين أزمة الدولة الوطنية وشروخ المجتمع، مركز البحوث الاقتصادية من أجل التنمية، جامعة الجزائر، ص 8.
- (20) محمد بوضياف: مرجع سبق ذكره، ص 86.
- (21) المرجع السابق، ص 84.
- (22) المرجع السابق، ص 86.
- (23) عبد الناصر جابي: تقييم وطني لمشاركة المواطنين والمجتمع المدني في إصلاح القطاع العام في الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 19.
- (24) محمد بوضياف: مرجع سبق ذكره، ص 30.

(25) أحمد بوكابوس: الحركة الجموعية وواقع التنظيمات الشبانية، في: نورية بن غبريط-رمعون ومصطفى حداب: الجزائر بعد 50 سنة حوصلة المعارف في العلوم الاجتماعية والإنسانية 1954-2004، وقائع ندوة وهران (20-21-22 سبتمبر 2004)، منشورات crasc، 2008، ص 75.

(26) احمد بوكابوس: مرجع سبق ذكره، ص 74.

(27) لمزيد من التفاصيل أنظر الموقع الرسمي لوزارة الداخلية والجماعات المحلية:

<http://www.interieur.gov.dz/Default.aspx?lng=ar>

(28) جورج الراسي: الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر، دار القصة للنشر، الجزائر، 2008، ص 212.

(29) المرجع السابق، ص 227.

(30) محفوظ سماتي: الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، ترجمة محمد الصغير بناني وعبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب، 2007، ص 65.

(31) جورج الراسي: مرجع سبق ذكره، ص 233.

(32) حول أثر الدولة الريعية في إعاقاة تطور المجتمع المدني العربي أنظر: (بدون اسم): تغييب المؤسسات التعليمية وانكفاء المثقفين العرب أبرز عوامل الشلل، الديمقراطية ليست الشرط الوحيد لتفعيل المجتمع المدني، ندوة المجتمع المدني وإشكاليات التحول الديمقراطي، جامعة قطر (14-16 مايو 2001)، ص 4.

(33) سعد الدين إبراهيم: تقديم لسلسلة دراسات المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، مركز ابن خلدون بالاشتراك مع دار الأمين للتوزيع والنشر، القاهرة، 1995، ص 06.

(34) الطاهر لبيب: هل الديمقراطية مطلب اجتماعي؟ علاقة المشروع الديمقراطي بالمجتمع المدني العربي، في: سعيد بنسعيد العلوي وآخرون: المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، 1992، ص 354. 357.

(35) أيمن إبراهيم الدسوقي: مرجع سبق ذكره، ص 74.

المراكز والأدوار الاجتماعية ومحدداتها الثقافية
في النظام الأسري العربي

الدكتور: الأزهر العقبي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر

الملخص :

يهدف هذا المقال الى التعريف بمفهوم المركز والدور الاجتماعيين وكذا إبراز أهم ما يميز هذين الأخيرين داخل النظام الأسري العربي خاصة فيما يتعلق بأهم محددات هذه المراكز والأدوار كما هي سائدة داخل الجماعات الأولية التي يضمها هذا النظام وبيان أثر هذه العوامل على ما يصدر من أعضاء هذه الأخيرة من سلوك وما يقيموه من علاقات إجتماعية داخل هذه الجماعات.

Résumé :

Cet article a pour objectif d'aborder les notions de statut et de rôle sociaux , ainsi exposé les principales caractéristiques de ces derniers dans l'institution familiale arabe, surtout tout ce qui concerne les principaux facteurs qui déterminent ces statuts et ces rôles au sein des groupes primaires .

Ainsi que l'impact causé par ces facteurs sur les comportements et les relations que mènent les individus à l'intérieur des ces groupes.

مقدمة:

يكتسي مفهوم المركز الاجتماعي في علم الاجتماع والإنثروبولوجيا أهمية كبرى نظرا لدوره في تحليل وفهم البناء الاجتماعي بصفة عامة، والعلاقات بصفة خاصة، خاصة إذا عرفنا أن معظم التفاعلات الاجتماعية بين أعضاء الجماعات الاجتماعية المختلفة ما هي إلا تأثير متبادل بين المراكز الاجتماعية وليس تأثيرا متبادلا بين أشخاص "فغالبا ما يحدث أن يتفاعل مئات بل والآلاف من الأفراد ولا أحد يعرف عن شخصية الآخر إلا القليل جدا. ففي هذا الموقف لا تشكل أسماء الأفراد أية أهمية، فالعملية الاجتماعية تقودها بدقة المراكز الاجتماعية والمعايير المرتبطة بها"⁽¹⁾، فضلا عن نسق من الأدوار المتميزة التي يؤديها هؤلاء مثلما ترسمها الثقافة، نتيجة شغلهم لهذه المراكز. وهنا وقبل عرض بعض التطبيقات الواقعية لمفهوم المركز والدور الاجتماعيين يجدر بي بداية تحديد معنى هذين المفهومين.

1. تعريف المركز الاجتماعي

يشير المركز الاجتماعي إلى: "الوضع الذي يشغله الشخص أو جماعة من الأشخاص داخل جماعتهم"⁽²⁾. وهنا يجب ملاحظة أن مصطلحي "المركز" و"المكانة" الاجتماعيين غير متطابقين، فبينما تشير المكانة الاجتماعية Social position إلى "موقع الفرد على مستوى النسق أو المجتمع ككل، فالمكانة الاجتماعية عبارة عن عدة مراكز اجتماعية يشغلها الفرد في المجتمع، وتتحدد هذه المكانة بناء على هذه المراكز، وتخضع للمعايير والقيم الاجتماعية، فقد يحتل الفرد في ضوء المعايير الاجتماعية مكانة اجتماعية عليا في سلم التدرج الاجتماعي، وقد يشغل مكانة متوسطة أو دنيا. وقد يصنف المجتمع المكانة الاجتماعية تبعا للمراكز التي يشغلها الفرد، تصنيفا اقتصاديا على أساس طبيعة المهنة أو الوظيفة أو حجم الدخل الشهري، وقد يكون أساس التصنيف الانتماء العائلي أو القرابي أو تصنيف على أساس سياسي تبعا للسلطة التي يمتلكها الفرد وهكذا"⁽³⁾. أما مصطلح المركز

الاجتماعي فيشير إلى وضع الفرد في الجماعة ويتحدد هذا الوضع تبعاً لاعتبارات البعض منها موروث والبعض الآخر مكتسب.

2. أنواع المراكز الاجتماعية

ميّز العلامة رالف لينتون **R.Linton** بين نوعين من المراكز وهما⁽⁴⁾:

➤ المراكز الموروثة أو المنسوبة *Ascribed statuses*.

➤ المراكز المكتسبة أو المنجزة *Achieved statuses*.

وبالنسبة للمراكز الموروثة فيقصد بها، تلك المراكز التي يرثها الفرد من والديه أو التي تولد معه أو التي تفرضها عليه النظم الاجتماعية وهذا النوع من المراكز تعتبر مراكز غير إرادية أي لم تكن لإرادة الفرد دخل في الحصول عليها⁽⁵⁾. وهو ما يعني أن هذه المراكز لا تتصل بقابليات الأفراد ولا بالفروق الشخصية بينهم، كما أنها لا تتطلب جهداً خاصاً منهم للحصول عليها.

هذه المراكز المنسوبة يحددها جملة من الأسس، في كتابه "نماذج بشرية Human types" أشار "ريموند فيرث **R.Firth**" إلى أربعة منها أساسية تؤدي في رأيه إلى ظهور المراكز الاجتماعية الموروثة وهي: الجنس والسن والموطن والقراية⁽⁶⁾. ففي ضوء هذه الاعتبارات يتم التمييز داخل الجماعات الأولية المختلفة بين مركز الذكر ومركز الأنثى⁽⁷⁾. وكذا بين أوضاع كل من الأطفال والبالغين والشيوخ⁽⁸⁾. وفضلاً عن عاملي الجنس والسن، ثمة أوضاع أخرى يسندها المجتمع إلى الأشخاص الذين يحملون صلات قرابية معينة كصلات الدم وصلات النسب (لمصاهرة)⁽⁹⁾، أو لارتباط ولادتهم بمكان معين (الموطن الأصلي)⁽¹⁰⁾.

هذه المراكز مثل الذكورة والأنوثة، الطفولة والكهولة وغيرها بمثابة أوضاع اجتماعية موروثة يحصل عليها الفرد داخل جماعته الأولية تلقائياً وبشكل آلي منذ لحظة ميلاده، دون أدنى تدخل أو اختيار منه، فمراكز السن والجنس كلاهما موروث، فهذه المراكز تتركز على الظروف البيولوجية، وليس للإنسان قدرة

على فعل شئ حيالها وكذلك مراكز القرابة موروثه، فنحن لا نختار أقاربنا، وبالمثل ليس للإنسان اختيار في مكان ولادته، وبالتالي يصبح مركزه الخاص بموطنه الأصلي موروث.

هذه المراكز الاجتماعية المنسوبة اقترنت تاريخيا بالتقدير الاجتماعي لمختلف الأدوار الاجتماعية التي يؤديها كل من الذكور والإناث، الكبار والصغار، الأقارب والأجانب في النسق القرابي والمجتمع المحلي عموما، وتعامل كمراكز متميزة، الخطوط الفاصلة بينها واضحة المعالم.

3. تدرج المراكز الاجتماعية الموروثة: *Statuses Hierarchy*

فضلا عن تنوعها، تتميز المراكز الاجتماعية بتباين مراتبها داخل الجماعة الاجتماعية، حيث لا توجد جماعة يتساوى فيها جميع أعضائها في المركز، ولذلك تشمل كل الجماعات الاجتماعية على نظام يحدد أشكال وخصائص التباين بين أفرادها، ويعد هذا النظام من أهم عناصر البناء الاجتماعي لأية جماعة، تبدو فيه المراكز وقد رتبت في شكل سلم متدرج يشغلها الأعضاء بتتابع منظم، كل مركز منها يحمل معه نوعا معينا من المقام والمميزات والقوة في علاقاته بالمراكز الأخرى في الجماعة⁽¹¹⁾. هذا ويشير تدرج القوة إلى الوضع بالنسبة للقدرة على إعطاء الأوامر ومدى طاعتها⁽¹²⁾.

فداخل الجماعات الأولية مثلا يلاحظ أنه بناء على الجنس والسن حددت مراكز السلطة فيها، فبالنسبة للجنس، فقد جرت العادة أن يتم تعيين الرئيس أو صاحب السلطة من الرجال دون النساء، وأن يتمتع الذكر بالمركز السيادي دون الأنثى، وهذا لعدة اعتبارات اقتضت ذلك، منها خط النسب السائد في المجتمع، فهو أحد العناصر الحاسمة في تحديد العضو الذي تتركز بيده السلطة داخل الجماعة وكذا الثروة، فحيث تسود المجتمعات الأبوية يحتل الذكر مركزا اجتماعيا أعلى من مركز الأنثى، حيث يعتبر الرجل هو رب العائلة الذي يتعين عليه أن

يعمل لكسب قوته وقوت زوجته وأولاده، في الوقت الذي تنصرف فيه المرأة بكليتها إلى تصريف شؤون البيت والإشراف على تربية الأطفال⁽¹³⁾.

ولعل هذا ما يفسر أنه في المجتمعات الزراعية خاصة ذات الاتجاه الأبوي، نجد أن الذكور هم العنصر المسيطر على السلطة داخل الأسرة الممتدة وحتى خارجها كامتداد لها وكذا هم الطرف المحتكر للثروة من خلال حرمان الإناث من الميراث في أغلب الأحيان، خاصة ميراث الأرض، كما يرجع تمتع الذكر بمركز سيادي، إلى اعتبارات اقتصادية بالدرجة الثانية تعود إلى التقدير الاجتماعي لذلك الجنس صاحب الأنشطة البالغة الأهمية من الناحية الاقتصادية في المجتمع، فحسب فرانز فانون **Frantz Fanon** "ففي جميع المجتمعات التي يمثل فيها العمل في الأرض، المصدر الرئيسي لمورد الرزق (القوت)، نجد أن الذكر وهو المنتج المميز، يتمتع بمركز سيادي"⁽¹⁴⁾.

فالعامل في الأرض من الأعمال الشاقة والمرهقة التي تتطلب مجهودا عضليا كبيرا وصبرا طويلا وحضورا ومتابعة دائمة، وتحمل أعباء لا حصر لها، وهي التزامات لا تقوى عليها الأنثى سواء تعلق الأمر بالمسائل التي تتطلب استخدام القوة البدنية أو التواجد خارج المنزل ليلا ونهارا، فهذا النوع من المسؤوليات والحمل يتعارض وطبيعة الأنثى، خاصة في فترات الحمل والولادة والرضاعة وتربية الأبناء، كما يتعارض مع طبيعة الأنثى العاطفية والرفيقة بطبعها، فقد أشارت دراسة حديثة أن المكانة التقليدية للمرأة في المجتمع الليبي تتحدد في ضوء المعاني التي يمنحها الأفراد للخصائص البيولوجية لكل من الرجل والمرأة، فالذكورة ترتبط بالشجاعة والكبرياء والعدوان مما يدفع الأفراد إلى ضرورة تخليد أنفسهم من خلال إنجاب الذكور"⁽¹⁵⁾.

كما يأتي تمتع الذكر بمركز سيادي على الأنثى، كما يعتقد، انسجاما مع قيم دينية متجذرة في وجدان أبناء المجتمعات العربية والإسلامية، تعكسها آيات قرآنية كريمة مثل قوله سبحانه وتعالى: **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ**

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ⁽¹⁶⁾. وسواء كانت هذه الفكرة تتخذ المفهوم الشائع بأفضلية الرجال على النساء أو مفهوم القيام بمسؤولية الإنفاق على النساء فإنها تلقى ترحيباً من الرجال في المجتمع التقليدي (المحلي) العربي من جهة وتتفق مع معايير السلوك التي تحددها قاعدة النسب الأبوي من جهة أخرى⁽¹⁷⁾. والتي تجعل الذكر، كان أباً أو أخاً أو زوجاً، تقليدياً هو رئيس الأسرة الذي يعيها اقتصادياً ويمثلها في المجتمع والعضو المسيطر وصاحب الكلمة العليا فيها.

و فضلاً عن عامل "الجنس"، يمثل "السن" عاملاً آخر تستند عليه الجماعات الأولية في منح الحقوق لأعضائها خاصة تلك المتعلقة بالسلطة، فقد ارتبطت هذه الأخيرة بمختلف مراحل الحياة الإنسانية إذ غالباً ما تتركز في يد كبار السن من الرجال⁽¹⁸⁾. سواء كان هذا الكبير جداً أباً أو أخاً أكبر. "فالسلطة في العائلة ترتبط بالسن، ولهذا كان الأب الأكبر هو صاحبها، فإذا تقدمت به السن فإنه يظل صاحب السلطة شكلياً ولكنه يشرك معه أكبر أولاده الذي يمارس سلطات والده فعلاً، وعند ذلك يتمتع بما يتمتع به والده من طاعة واحترام، فإذا مات الوالد يظل الابن الأكبر صاحب السلطة ما لم تتفكك العائلة..."⁽¹⁹⁾.

و أن يخلف الابن الأكبر أباه في مركز السلطة (الرئاسة)، فلا غرابة في ذلك، فقد أشار كثير من العلماء أن كلمة بكر (aîné) تفيد في العديد من اللغات كلا من معنى الابن البكر وكذا معنى الشخص القائد، ولهذا عد كل بكر (أكبر الأولاد) صاحب الأهلية والحق في القيادة⁽²⁰⁾.

وأن يتمتع الأكبر سناً بالسلطة فهذا قائم داخل النسق العائلي وحتى خارجه في أحيان كثيرة، بحيث أضحي يبدو تراتب السلطة في العائلة وحتى في المجتمع المحلي انعكاساً لتراتب الأعمار، وأن تتمركز السلطة حول الأب (الأكبر عموماً) في العائلة ومنها إلى المجتمع ككل، فإن هذا جعل المجتمع الأبوي مجتمع الرجال دون النساء ومجتمع الآباء دون الأبناء⁽²¹⁾.

من جهة أخرى أن تتركز السلطة في المجتمع بيد الكبار سنا دون الصغار منهم، فإن ذلك يرتبط بالقيم والعادات والتقاليد، والتي على أساسها تمنح مراكز المسؤولية للأفراد في المجتمع، والتي تؤمن إلى حد كبير بأهمية الخصائص الشخصية لصاحب السلطة⁽²²⁾. وخاصة منها الخبرة في الحياة، فتمتع كبار السن بمركز ريادي في المجتمع المحلي، نابع أساسا مما تمثله السن المتقدمة من خبرة وحنكة ودراية بمختلف أمور الحياة⁽²³⁾.

فالكبار يعرفون أكثر وهم بالتالي الأقدر على التصرف نتيجة لخبرتهم الطويلة، تلك الخبرة الطويلة التي تجعل من نصائحهم وتوجيهاتهم تكون صائبة في معظم الأحوال⁽²⁴⁾.

هذا الاعتقاد بقيمة كبار السن وبالخبرة الطويلة التي يتمتعون بها في الحياة، غالبا ما أفرز في أغلب المجتمعات التقليدية خاصة، تراثا رمزيا غنيا يعبر عن هذه القيمة، تعكسه بعض الأمثال الشعبية مثل قولهم مثلا في الريف المصري أكبر منك بيوم يعرف أكثر منك بسنة⁽²⁵⁾. أو ما تردده كلمات مشابهة في التراث الشعبي الجزائري والشائعة بين العامة مثل قولهم: "من فاتك بليلة فاتك بجيلة" وقولهم أيضا: "من غاب كبيره غاب تدبيره" وأسأل مجرب ولا تسأل طبيب، وغير ذلك من الأقوال الماثورة التي تعكس في عمومها مدى الأهمية التي تحظى بها هذه الفئة العمرية (كبار السن)، في المجتمع.

4. المراكز والأدوار الاجتماعية: Social statuses and roles

يرتبط بالمراكز الاجتماعية الموروثة (المنسوبة) مجموعة محددة من الأدوار، يؤديها الأفراد داخل جماعاتهم المختلفة كجزء من التزامات شغل هذه الأوضاع الاجتماعية، هذا ويشير لفظ الدور الاجتماعي Social role إلى "مركب أو مجموعة من أنماط السلوك المتعارف عليها والمصاحبة لمركز محدد"⁽²⁶⁾. أي حدا أدنى من نمط سلوكي متوقع ومطلوب من أي إنسان يشغل هذا المركز الاجتماعي أو ذاك داخل الجماعة. هذا وتتسم الأدوار الموروثة بأنها "تحددها

العوامل البيولوجية أي ترتبط بالصفات الشخصية للفرد، وبأنها تحكم العاطفة، فضلا عن أنها تهتم بالتجانس والتماسك⁽²⁷⁾.

حال الأدوار السائدة في الجماعات الأولية مثل الأسرة والجماعات القرابية عموما وجماعة الجيرة والرفاق والموطن الأصلي، هذه الأنماط من السلوك المنسوب توجهها مجموعة من القيم الاجتماعية في هذه الجماعة الاجتماعية أو تلك، هذا ويشير مفهوم القيم إلى مجموعة من المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي والتي تمثل موجهاً للأشخاص نحو غايات أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية يختارها ويفضلها هؤلاء الأشخاص بديلاً لغيرها⁽²⁸⁾.

ذلك أن نسق الأدوار لا يوجد مستقلاً عن نسق القيم والمعايير التي تحكمه، فهي أنماط سلوك متعارف عليها، هذه القيم تأتي لترتبط الأدوار بالإطار التنظيمي العام للجماعة، "فبغير هذه القيم التي تكون الأدوار، تعجز عملية التفاعل عن الاستمرار والثبات... فالقيم من العناصر الأساسية في تركيب الدور، ذلك أنها تحدد مجموعة الأدوار الاجتماعية السائدة في الجماعة وكيفية أداء السلوك المرتبط بها"⁽²⁹⁾.

وبالنسبة للقيم التي تدخل في تركيب الأدوار الموروثة، فإنه في إطار الأسرة يتعلم الفرد وهو طفل أن هناك مجموعة من الطرق الخاصة بالسلوك ذات قيمة اجتماعية ينبغي اعتبارها بمثابة موجهاً للسلوك المستحب⁽³⁰⁾.

وهي مجموعة هامة في كل مجتمع، تسمى محور القيم لذلك المجتمع، وهذه يتقبلها الناس دون سؤال أو أدنى شك ذلك أنها تكون مدعومة بعواطف الناس الذين يتقبلونها ويتقيدون بها كما يتقبلون الأكل والشرب وكما يتنفسون الهواء⁽³¹⁾، ذلك أن عملية التربية في هذه الجماعة وفي هذه المرحلة العمرية لا تكون واعية أو مخططة في الجانب الأكبر منها، "فالرضيع والطفل والشاب يتعلم قيم جماعته من خلال المشاركة في نسق الالتزامات المتبادلة بين الأقارب، وفي عمليات التنظيم الاقتصادي وفي الطقوس والمراسيم الدينية وجلسات قص الأساطير

والحكايات الدينية وغيرها⁽³²⁾. فالإنسان في بداية حياته لا يمتلك أية قيمة، غير أنه يكتسب قيم جماعته ومجتمعه من خلال تفاعله مع أفراد أسرته الصغيرة والكبرى أولاً ثم من خلال تفاعله مع المحيطين به من جيرانه وأقاربه وزملائه وغيرهم، يتوحد بهذه القيم بطريقة آلية، دون وعي منه، بشكل تصبح معه جزءاً من شخصيته، توجه سلوكه وتحدد له توقعاته بالنسبة لسلوك الآخرين في مختلف المواقف الاجتماعية.

و فيما يلي عرض لبعض التطبيقات الواقعية لمفهوم الدور الموروث والقيم الاجتماعية التي توجهه كما تظهر ذلك أساليب التربية ومضمونها في النظام الأسري العربي.

أ- التربية الأسرية وتعلم أدوار الذكر والأنثى:

في المجتمع العربي وبناء على الجنس، يميز البناء العائلي بين أعضائه بين مركزين، مركز للذكر وآخر للأنثى وهذا في سن مبكر من حياة الجنسين، فميلاد الصبي في أية أسرة مرحب به، يستقبل بحماس أكثر من ميلاد البنت، وكما هو حال سائر البلاد العربية والإسلامية، فإن الأب تكون كل أمنيته أن يلد له في الأسرة أبناء ذكور، أما بالنسبة لموقف الأم (أو الزوجة) بهذا الخصوص فإن مشاعرها في الغالب، انعكاس وصدى لمشاعر زوجها ورغبته، فالزوجة غالباً ما تصاب بالفزع إذا أنجبت أنثى لعلمها برغبة زوجها في الذكور، وفي أحيان كثيرة تتوقف حياتها الزوجية على إنجاب الذكور، وقد يصل الأمر بالزوج في أحسن الأحوال أن يقوم بالزواج عليها بامرأة أخرى تنجب له الذكور أو يقوم بتخليتها في أسوأ الأحوال.

ولعل نوعية الاستقبال الذي يحظى به المولود الجديد في الأسرة، أول مظاهر هذا التمييز بين مركز كل من الذكر والأنثى فإذا كان المولود ولداً استقبلته الأسرة "ببسم الله" وبإطلاق العنان لزغاريد الفرحة والدعاء له والقيام بالتعاون لحمايته من العين الحاسدة وحتى بإطلاق طلقات من البارود والترحيب به بكل

فخر باعتباره ضيفا على الأسرة، وفي خطوة فيها الكثير من الاعتراف بالفضل والجميل، يتوجه الجميع إلى الله طالبين من العلي القدير أن يكون هذا الولد فاتحة خير وسعادة على العائلة، وإذا كان الأب غائبا عن البيت وسمع بالخبر فإن الذي يحمل إليه الخبر عادة ما يكون جزاؤه هدية (بشارة) على خبره السعيد (على بشراه) وخلاف ذلك، فإذا كان المولود بنتا تستسلم، العائلة للقدر بالقول: إن المولود حظابة"⁽³³⁾. إن ميلاد الصبي في أية أسرة جزائرية يستقبل بحماس أكثر من ميلاد البنت والسبب أن الأب يرى فيه حقيقة رفيقا في أشغاله ووريثا لأرض الأسرة ووصيا على الأم والأخوات بعد موته"⁽³⁴⁾.

و هكذا منذ اللحظة الأولى لولادة الذكر التي تتسم بالترحيب الشديد بقدمه خلافا للأنثى تبدأ أولى مظاهر التفرقة في المعاملة بين الولد والبنت، ولكن هذا التمييز يبدو طفيفا إذا ما قورن بالتفرقة في المعاملة في طور الطفولة المتأخرة والتي تكون أكثر وضوحا حيث تشهد مراحل تنشئتهم الأولى اختلاط الأطفال، ذكورا وإناثا في النوم والأكل واللعب، حيث يتلقى كل منهما معاملة واحدة، فإذا أكلوا يأكلون معا وإذا لبسوا يلبسون ملابس متشابهة - هذا بالنسبة للأطفال دون الخامسة من العمر - غير أنه بعد فترة معينة تبدأ الأسرة في فصلهما، فبنام الذكور في مكان خاص والإناث في مكان آخر وكذلك يأكلون ويلعبون حيث تحرص الأمهات على الفصل بين الجنسين، فالقاعدة أن يتناول الذكور الطعام لوحدهم دون الإناث، وعادة لا يتم ذلك إلا بعد أن يتناول الذكور طعامهم، ولو أن الأطفال دون الخامسة مستثنون من هذه القاعدة، إذ لا تطبق عليهم بل على العكس فإن من دواعي سرور الأب أن تجلس معه طفلته لتشاركه الطعام"⁽³⁵⁾.

وبالنسبة للعب، فإن الطفل يلعب في المنزل بالألعاب التي تقدم له، فإن كان أنثى فاللعبة عروسة تتدرب بها على مركز الأم ودورها، وإذا كان ذكرا فاللعبة عسكري (جندي) أو رجل مطافئ أو ألعابا هندسية أو مسدس أو سيف وكلها تدربه على مركز الرجل ودوره، فألعاب الأطفال دائما تقلد سلوك الكبار

الذي يلاحظونه أثناء نشاط الحياة اليومية، فمن جهة يراقب الولد ويساعد أباه في عمله ومن جهة أخرى تراقب البنت أمها وتساعدتها في أداء أدوارها النسائية"⁽³⁶⁾.

كما يبدو التمييز في المعاملة بين الجنسين على مستوى آخر، حيث يتعلم الإبن طاعة الأب والاستجابة له ولطالبه قبل الاستجابة للأم، في حين تطلب الأم الطاعة من الابنة وتعطي ابنها الحرية الكاملة. كما لا يتردد الأبوان في ضرب البنت غير أنهما يحجمان عن القيام بالشئ نفسه تجاه الأبناء من الذكور، في مظهر من التسامح الملفت في غالب الأحيان. ويؤدي اختلاف أساليب ومضمون التربية الأسرية للبنت والولد أن يبدأ الولد في الإحساس بذكوريته والبنت بأنوثتها وتتمايز تبعاً لذلك أنواع السلوك الخاصة بكل منهما، فتنشأ الفتاة أكثر احتراماً وإذعاناً لإرادة الراشدين من الصبية"⁽³⁷⁾.

كنتيجة لما فرضته عليها الأسرة من قواعد الطاعة الصارمة، وما جبلت عليه في حياتها من تصرفات متحذرة بالتقليد من أجيال سابقة، ومن دون أن تكون الفتاة مذلولة أو مهملة فإنها تحس إحساساً كافياً بالتقدير المتزايد الذي يحظى به أباها... وبدون جهد فإن الفتاة تتبنى التصرفات والقيم السائدة في المجتمع النسائي الجزائري. ومن فم أمها تلقن قيمة الرجل التي لا تدانيها قيمة، ذلك أن المرأة في مجتمع متخلف، وفي الجزائر بصورة رئيسية تكون قاصرة دائماً والرجل يقوم بدور الوصي عليها قبل كل شيء أختاً كان أو أباً أو زوجاً. وتتعلم الفتاة الشابة تجنب المناقشات مع الرجال وألا تدفع الرجل إلى النهاية... وبالمقابل يتبنى الشاب الفتى من جهته مسلك الأب"⁽³⁸⁾، وبدون جهد فإن الولد والبنت يتعود كل منهما أثناء عملية التنشئة الاجتماعية على قبول تلك المراكز الموروثة على أنها الملائمة والصحيحة بالنسبة لهما وعلى أداء الأدوار المرتبطة بها.

ب- التربية الأسرية وتعلم أدوار الكبير والصغير:

إضافة للجنس، فإن المجتمع العربي وبناء على العمر (السن) يقسم أعضائه إلى مركزين "كبير" و"صغير" السن، ويبدأ ذلك مبكراً، حيث نجد أن التحول

من الرضاعة إلى الطفولة يرتبط بمظاهر التغيير في معاملة الطفل، ومن أهم مظاهر التغيير فطام الطفل -عند بلوغه عامين- وتغيير مكان نومه، إذ عليه أن ينام مع إخوته بدلا من نومه مع أبويه⁽³⁹⁾، فضلا عن النوم يفرض عليه مع من يأكل ويشرب، حيث لا يسمح مثلا للشبان فوق العشرين أن يأكلوا مع من هم أقل منهم سنا بشكل واضح، وهذا على الرغم من أن الجميع قد يأكلون معا في بعض المناسبات⁽⁴⁰⁾. من جهة أخرى يفرض على الطفل مع من يلعب، حيث تفضل الأمهات أن يلعب الأولاد الكبار بمفردهم، وأن يلعب الصغار لوحدهم تحت إشراف الأم أو الأخت الكبرى، ألعابا تقلد دائما سلوك الكبار الذي يلاحظونه أثناء نشاط الحياة اليومية⁽⁴¹⁾. بيد أن حياتهم ليست لعبا خالصا، فهم يساعدون الأسرة من خلال بعض الأعمال التي تناسب سنهم، حيث من المعتاد أن يقوم الكبار بكل الأعمال الشاقة في حين تقتصر مساهمة الصغار على مشاركة الكبار في أعمالهم، وهي مشاركة تعتبر إسهاما أوليا وبسيطا، يقدمه الصغار والكبار الذين في معظم الحالات، من الواضح يعتبرونه مجرد عملية تعليمية ليس إلا⁽⁴²⁾.

مساهمة يقدمها الصغار للكبار في أعمالهم بحسب ما تسمح به سنهم من حيث قوتهم الجسدية وكفاءتهم الفكرية وما إلى ذلك، وكقاعدة عامة تزداد مسؤولية الصغار كلما تقدمت بهم السن⁽⁴³⁾.

و فضلا عن نوع العمل الذي يقومون به، تحدد لهم الأسرة مع من يجلسون وحتى مع من يمزحون وبكلمة واحدة تعلمهم قواعد السلوك الواجب عند التعامل مع الآخرين خاصة الكبار منهم سواء داخل الأسرة أو خارجها. وينشأ عن ذلك أن يتعلم الصغير إبداء الكثير من الاحترام والاعتبار لرب العائلة ومثله كذلك لأسلافه في الخط الأبوي، ويتعلم أيضا البقاء بعيدا عن أبيه ومراعاة هذا النظام طيلة كامل حياته، فأبدا لن يتكلم ولن يدخن في حضوره، وأبدا لن يظهر في مجلس يكون أباه موجودا فيه⁽⁴⁴⁾. وكإبن في إطار الأسرة الجزائرية عليه أيضا ألا يفعل أي شيء ضد رأي وإرادة أبيه، فالصلوات القائمة على الاحترام

المطلق الواجب نحو الأب، وعلى المبدأ القائل بأن الحقيقة هي أولا وأخيرا ملك كبار السن، مسألة لا جدال فيها، فهذه الحقيقة لم تفسد بعد، فقد بقيت صفات الحياء والخجل والخوف من النظر والكلام بصوت عال في حضرته من الأمور السليمة⁽⁴⁵⁾.

وبخصوص الكلام بصوت عال، فقد تعلم الصغير بأسلوب ما داخل الأسرة أن لا يرفع صوته على من هم أكبر منه سنا وأولهم أباه، كقاعدة أخلاقية أخرى في التعامل مع الأكبر سنا، وحول هذه النقطة أوضح "دود" **Dodd, P.C*** أن المجتمعات العربية تمنح الأخلاقيات العائلية أو الشرف العائلي أهمية فائقة ويدخل في إطار هذه الأخلاقيات عددا كبيرا من الأنماط السلوكية والمعرفية مثل ارتفاع صوت المتحدث والظهور أمام الناس، وهذه الأخلاقيات لا تتصل بالنساء أو الأطفال فقط وإنما تتعلق بالرجال أيضا⁽⁴⁶⁾.

ففي الثقافة العربية يعتبر رفع الصوت في وجه المتحدث خاصة إذا جاء ذلك ممن هو أصغر منه سنا، من السلوكيات المذمومة التي تحدث من سمعة الرجل وتنال من شرفه بين الناس، ومثل هكذا تصرف يعتبر سلوكا لا أخلاقيا لا يتسامح معه المجتمع، إذ يعتبر هذا الأخير أن أي تطاول أو مناقشة أو إهانة من صغار السن لكبارهم مخالفة خطيرة تقابل بالنقد الشديد⁽⁴⁷⁾.

و ظاهرة احترام كبار السن في العائلة العربية لا تتوقف عند حدود احترام الأب، بل تشمل أيضا الأب الأكبر الذي يتمتع بدوره بقسط أكبر من السلطة ومن ثم بقسط وافر من الاحترام، حيث ينظر الأحفاد إلى الجد على أنه شيخ العائلة ومصدرا لسلطة كبيرة فيها، فيعمل له الجميع ألف حساب فالجد خاصة للأب له أهمية وسلطة كبرى في شبكة القرابة الأبوية العاصبة⁽⁴⁸⁾. والأخ الأكبر (البكر) ليس مستثنى من هذه القاعدة، فالأخ الأصغر ملزم باحترام أخيه الأكبر وحتى وإن لم يكن هذا الاحترام يشبه ذلك الواجب نحو الأب، فإنه مع ذلك يتوجب

على الأخ الأصغر أن يديه تجاه أخيه، ويتبدى ذلك في عدة مظاهر كأن ينادي أخاه الأكبر بعبارات من قبيل "سي" أو "دادا" أو "خوي" ثم يضيف اسم الأخ⁽⁴⁹⁾.

أو كأن يمتنع عن القيام بعدد معين من الأمور في حضرة هذا الأخ الأكبر، من قبيل التواجد معه في نفس المكان العام: مقهى، عرض مسرحي، جماعة الرفاق، السينما، عموما أماكن التحدث بدون ضوابط⁽⁵⁰⁾. حيث يكون محتملا إطلاق أي نوع من الدعابات خفيفة كانت أم ثقيلة، وهي وضعية من الضروري تجنبها، لأن ذلك من شأنه أن يكدر الاحترام الواجب بين الأخوة بعضهم تجاه بعض.

و احترام السن لا يقتصر على الوحدة العائلية، فهذه القاعدة مرعية أيضا في دائرة القرابة، فمركز الكبير في النسق العائلي يماثل نفس مركزه في دائرة القرابة، فداخلها في المجتمعات العربية يربى الطفل منذ نعومة أظافره على احترام الكبار سنا عامة، أي بمن فيهم من ينتمون إلى عائلات أخرى، فموقفه إزاءهم يكون مماثلا للموقف إزاء الكبار في عائلته، فالشاب لا ينبغي أن يجلس مع من يفوقونه سنا، وإذا حدث وجلس لا يتكلم بل يراقب فقط، كما أنه لا ينبغي أن يعلق على أحاديثهم في وجوده مع رفقاته⁽⁵¹⁾.

وإذا خاطب أحدهم "وجب أن يناديه بنفس المصطلح المستخدم بالفعل للأب، على الرغم من أنه قد لا يرتبط ببعضهم بأية روابط قرابية فعلية"⁽⁵²⁾. ولا يختلف الأمر كثيرا خارج الوحدة القرابية، فهذا الاحترام للكبار يبدأ مع الأقارب الذين هم أول من يتفاعل مع هؤلاء الصغار، ثم ينتقل للكبار الذين يوجدون في المجتمع، حيث تتسع دائرة الاحترام هذه باتساع اتصالات الصغير. وكثيرا ما نجد أن الكبار في الثقافة العربية يتدخلون في تربية أبناء الجيران وربما الأطفال الذين يلعبون في الشارع حتى وإن كانوا لا يعرفونهم، إذ ليس من الغريب أن نرى صغيرا يدخن في الشارع فتدخل في أمره وربما نعاقهه بدنيا وإذا علم بذلك والده فإنه لن يمانع في ذلك بل ربما يتقدم بالشكر إلى المعاقين⁽⁵³⁾.

و هكذا يتعلم الصغير دائما احترام من هو أكبر منه سنا، فقد حرصت الثقافة العربية على جعل توقير الكبار من الأمور التي تدخل في تقدير الشخص نفسه. و مقابل ما يديه الصغير داخل النسق العائلي وخارجه من احترام و طاعة، يبادل الكبير من جهته بجملة من الواجبات تجاهه مثلما تقتضي ذلك الأعراف والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع العربي، ويظهر ذلك مع الأب في شكل أداء جملة من الالتزامات نحو أبنائه أهمها: "حمايتهم ورعايتهم وتوفير المعيشة لهم من مأكّل وملبس وإقامة، وعلاجهم عند مرضهم، وتعليمهم واجباتهم الدينية والدنيوية ، كما يسهم مع الأم في تعريفهم بأعراف وتقاليد وقيم مجتمعهم، كما هو مسؤول عن أخطائهم أمام الغير، حريضا دائما على كبح سلوكهم الأهوج...".⁽⁵⁴⁾

وإذا ما قامت منازعات بين أعضاء العائلة الكبيرة فإن رب العائلة هو الذي يقوم بحسمها، وعلى العموم فإن رب العائلة هو الذي تكون له الكلمة الأخيرة في حسم أي خلاف ويجب أن تطاع كلمته تلك من جميع المنحدرين منه والتابعين له⁽⁵⁵⁾. هذا ويجب ملاحظة أنه وإن تكن أحكامه تتخذ شكل نصائح - قد تقبل بها الأطراف المتنازعة أو ترفضها - فإنها في الغالب تقبل بها لأسباب اجتماعية ودينية تتعلق بمكانة الكبير (الشيخ) في المجتمع. وفضلا عن فضّ المنازعات، فإن كبار السن مسؤولون مسؤولية تامة عن من هم أصغر منهم سنا في كافة شؤون الحياة سواء كانوا من الأقارب أو من غيرهم.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الكبير على ما يتمتع به من سلطة فإنه في تعامله مع من هم أصغر منه سنا ومركزا غالبا ما يراعي مجموعة من القيم السائدة في المجتمع المحلي، لعل أبرزها الشورى في الرأي والتواضع في المعاملة، فالشيخ البدوي على سلطته قلما يستبد في أحكامه، ويغلب أن يستشير أهل بطانته⁽⁵⁶⁾. وفضلا عن ذلك فإن هذا الشيخ يعتبر نفسه واحدا منهم، فهو لا يحتجب عن أحد ولا يمتن أحدا، يجالس جميع الناس ويخالطهم؛ رفيعهم ووضيعهم وهم في هذا

المجتمع فوق ذلك لا يعرفون ألقاب التفخيم، فإذا خاطب البدوي شيخه ناداه باسمه وطالبه بحقه في عبارات تكشف عن عزة النفس وهي أنفة البداوة... و من جهته يخاطب الشيخ رعاياه بألقاب الوقار: كالأب والعم والحال والابن وابن الأخ على ما تقتضيه العادات والأنساب⁽⁵⁷⁾. فالشيخ في علاقاته الاجتماعية باتباعه لا يستند إلى نظام السلطة بل يركز على نظام القرابة وما يحمله من قيم اجتماعية راسخة تربي عليها الجميع تكرس فكرة المساواة بين الجميع، فأعضاء المجتمع المحلي عامة يشعرون أنهم متساوون فيما بينهم، وهذا ما يفسر لماذا الفلاحون مهما اختلفت ثرواتهم، فإنهم يجلسون في أفراحهم وأتراحهم جنباً إلى جنب دون أي تمايز طبقي⁽⁵⁸⁾. فلا توجد طبقة بين أفراد المجتمع المحلي، حيث يعتقد الجميع أنهم ينتمون لأصل واحد وأنهم جميعاً سواسية⁽⁵⁹⁾.

فالمساواة قيمة اجتماعية سامية في المجتمع المحلي تجدد جذورها في القيم الدينية الإسلامية التي تربي عليها الناس والعميقة في نفوسهم والمتجذرة فيهم تجذر العادات والتقاليد التي يؤمنون بها. فهم يعتقدون أنهم متساوون من الناحية الإنسانية، فالعباد كلهم أبناء آدم، لا فرق فيهم بين غني أو فقير أو شريف أو ضيع أو رئيس أو مرؤوس، كلهم سواسية أمام الله سبحانه وتعالى، الذي وحده يستحق التفضيل والتبجيل، مثلما يعكس ذلك مضمون المثل الشعبي الجزائري القائل: "المفضل غير الله هو القادر العالي - والعباد كلهم كيف كيف أولاد تسع شهور بحالي"⁽⁶⁰⁾.

وإشادة الناس بهذه القيمة النبيلة المتمثلة في التواضع، جعلتهم يمتنون بالمقابل المتكبرين ويزدرونهم ويذمون هذه الصفة والمتصفون بها، مثلما يبين ذلك المثل الشعبي الجزائري مجدداً والقائل: "ما ينفخ رוחو غير السردوك"⁽⁶¹⁾. فالتكبر سمة ذميمة ليست من شيم الرجال وإنما هي من خصال بعض الحيوانات فقط، أما التواضع فهو سلوك محمود - كما تدل على ذلك العديد من الشواهد الثقافية - وما شعار تواضع لهم يرفعوك إلا واحد من هذه الشواهد المعبرة عن الحس العام

في المجتمع الجزائري وعن تجذر هذه القيمة في عمق الشخصية الجزائرية ووجدان أفراد هذا المجتمع.

ج- التربية الأسرية وتعلم أدوار القريب

يرى "مورو بيرجر Morroe Berger" أن البدوي العربي يبالح في تقدير ذاته ومع ذلك فهو شديد الانصياع لمعايير الجماعة التي ينتمي إليها. وقد فسر "بيرجر" هذا التناقض في شخصية العربي في ضوء نمط التنشئة الاجتماعية الذي يشجع التمرکز حول العائلة أو القبيلة أو المجموعة الدينية أو القومية⁽⁶²⁾.

ذلك أنه في المجتمعات المحلية (الريفية والبدوية) حيث يشترك الجميع في قيم واحدة، هناك تأكيد واضح على النزعة الجماعية، حيث يلاحظ بصفة عامة أن الأطفال في هذه المجتمعات يكونون في مراحل حياتهم الأولى أكثر حرية في التعبير عن رغباتهم وفي إظهار دوافعهم، وتظل حريتهم تقيد كلما كبروا في السن حتى تصبح الرغبات الفردية والتأكيد عليها مظهرا سيئا من مظاهر الشخصية⁽⁶³⁾، فالوالدان في المجتمع المحلي يكرهان اعتماد الابن الدائم على نفسه، ولهذا فهما لا يشجعانه على الأداء المستقل، فالعائلة لا تعترف باستقلالية الفرد وأهدافه الخاصة، بل على العكس تهتم كثيرا بغرس القيم التي تحث الفرد على تكريس جميع قواه العقلية والبدنية في خدمة مصالح الجماعة القرابية، حيث يلزم الفرد ويطلب منه دائما العمل لصالح العائلة، البدنة، العشيرة أو القبيلة.

فجوهر ما تهدف إليه التربية العائلية في طور الطفولة هو كبت قيم الفرد كفرد في مقابل إبراز القيم الجمعية للشخص كجماعة، حيث يعلم الطفل منهم أن مجهوده ونشاطه بصفة عامة لا ينبغي أن يتخذ طابعا فرديا، فالفرد حسب قيم المجتمع الريفي يجب أن يعمل منذ طفولته حتى مماته لمصلحة العائلة، كما يلقن التعصب للعائلة والبدنة، فالتنشئة الاجتماعية في هذا المجتمع أقل ما يقال عليها، أنها تتخذ طابعا جمعيا عن طريق كبت الدوافع الفردية وإذكاء الدوافع الجمعية⁽⁶⁴⁾.

ويتم ذلك عبر عملية تنشئة اجتماعية طويلة ولا شعورية تستهدف فرض مطالب و توقعات معينة على أعضاء المجتمع, تحول أنماط حاجاتهم الفردية إلى حاجات جماعية، مثلما يوضح ذلك "إميل دوركايم" حيث يرى: أن الشخصية الفردية في ظل المجتمع التقليدي تتعرض بشكل كبير ومنهج إلى عملية إذابة وامتصاص من طرف المجتمع، وحتى إلى أكثر من ذلك، فحسبه دائما فإن الضمير الجمعي* يطبق ويكتسح بشكل تام الضمير الفردي".

فنفكير الإنسان التقليدي وشعوره وأفعاله كلها في واقع الأمر، مسائل تملى عليه ويتلقاها من الجماعة التي ينتمي إليها. وحسبه دائما فإن حجم الإكراه والضغط الذي يتعرض له الفرد من الخارج، شديد جدا إلى درجة يصعب معها عليه تنمية وتطوير ضميره الفردي⁽⁶⁵⁾. لكن ترى ما هو السبب أو الأسباب وراء هذه النزعة في التنشئة الاجتماعية؟! بحسب "إميل دوركايم" فإن: "هذه المجتمعات وفي سبيل ضمان استمرارها وبقائها لا تقبل في أي حال من الأحوال وجود حالات للتمايز والاختلاف في صفوف أفرادها، فهذه المجتمعات يميزها اتجاه عام يرفض الخصوصيات والحالات الشاذة والغريبة بين أعضائها وحتى بين المجموعات المختلفة المشكلة لها"⁽⁶⁶⁾.

فهي تعتقد بقيم جماعية، لها أهميتها المباشرة في تكوين الوحدة والتماسك الاجتماعي بين أفرادها، وهذه القيم الاجتماعية تتميز بأنها لا تعطي أهمية ولا مكانة للفرد بقدر ما تعطي من أهمية ومكانة رفيعة للعائلة والعشيرة أو الفخذ (الفرقة) أو القبيلة"⁽⁶⁷⁾.

فالفرد في هذه المجتمعات كفرد "لا قيمة له إلا في العائلة وقيمه التي يقرها المجتمع المحلي هي القيم العائلية، فهو يعمل من أجل العائلة، ويتزوج من أجل العائلة، وينجب من أجل العائلة، وفي تأكيد على القيم الجماعية، جعل التعبير الفردي عن السرور أو الحزن يقابل بالسخرية والتهكم، فسرور الفرد أو حزنه هو سرور العائلة أو حزنها أيضا"⁽⁶⁸⁾. وانسجاما مع هذه القيم الجماعية التي يعتقد

المجتمع بجدواها وأهميتها فقد كان طبيعياً أن يلاحظ داخل العائلة أن الطفل وهو ينمو، يتعلم سلسلة من الحقوق والواجبات في علاقته بوالديه وإخوته وأن يتضمن بناء القرابة بالنسبة له عدداً من الأقارب الآخرين، الذين تحدد رابطة القرابة مركزه بالنسبة لهم، وتحكم معاييرها سوكة نحوهم خلال كامل حياته.

فالنظام العائلي والقرابي المرتبط به يقوم على نسق من القيم الاجتماعية التي تحت الفرد على العمل دائماً في خدمة عائلته طبعاً وأيضاً لصالح الفرقة أو العشيرة أو القبيلة و التضحية من أجلها، فعسوية في الجماعة القرابية، توجب عليه جملة من الالتزامات والتي تفرض على أعضاء الجماعة القرابية دون غيرهم والتي تقضي أن يشيع التعاون الاقتصادي والتماسك الاجتماعي بين أفراد الجماعة القرابية الواحدة وأن تسود بينهم روح الجماعة. هذا النمط من التربية السائد خاصة في المجتمعات المحلية، غالباً ما يولد أفراداً يؤمنون ويقدرون كافة مظاهر النشاط التي تعلي من قيمة الجماعة على الفرد، ويؤكد على قوة أواصر القرابة وأسبقية القيم العشائرية والعائلية على سواها من القيم والاعتبارات.

و من كل هذه الخبرات يتعلم الأفراد تدريجياً كيفية أداء الأدوار التي تتناسب مع جنسهم وسنهم وموقعهم القرابي وأصولهم الجغرافية وغيرها من المراكز الموروثة، وما يرتبط بهذه الأنماط السلوكية من قيم ومعايير اجتماعية، يتعلمون كل هذا ويتمثلونه بشكل لا شعوري وغير مباشر في الغالب من خلال عملية تنشئة اجتماعية طويلة يرون بها في حياتهم إن على مستوى العائلة أو الجماعات الأولية الأخرى وهنا تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن عملية اكتساب القيم الاجتماعية لا تقتصر على طور الطفولة، فإن القيم المكتسبة في فترة الطفولة، هي قيم راسخة، هذا ما أكده العديد من العلماء فهي الأساس الذي يقوم عليه نسق القيم فيما بعد، واللب الاجتماعي للشخصية⁽⁶⁹⁾.

وهذه القيم تفسح عن نفسها في المواقف والاتجاهات، والسلوك اللفظي والسلوك الفعلي والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة⁽⁷⁰⁾، ونحو

بعضهم البعض داخل النسق القرابي وخارجه في الأنساق والجماعات الأخرى التي يرتبطون بها في كل تفصيل من تفاصيل حياتهم إن في مجال الدراسة أو العمل أو الحياة العامة.

الخاتمة:

يتضح مما سبق أن النظام الأسري السائد في المجتمع العربي وخلافا للنظم الاجتماعية الأخرى، يتحدد وضع (مركز) الفرد فيه، تباعا لاعتبارات منسوبة، يرثها الفرد من والديه وتولد معه، تفرض عليه دون أن تكون لإرادته دخل في الحصول عليها، هذه الاعتبارات الموروثة هي: الجنس، السن، الموطن الأصلي والقربة، في ضوء هذه الأخيرة، يتم التمييز داخل الجماعات الأولية المختلفة بين مركز الذكر، ومركز الأنثى، وكذا بين أوضاع الأطفال، البالغين والشيوخ، فضلا عن القريب والبعيد، الأصيل والأجنبي.

هذه المراكز الاجتماعية الموروثة يحصل عليها الفرد داخل جماعته تلقائيا وبشكل آلي دون أدنى تدخل أو اختيار منه، حيث يتمثلها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية الطويلة والتي تمثل التربية الأسرية أبرز محطاتها.

هذه المراكز الاجتماعية المنسوبة، اقترنت تاريخيا في المجتمع العربي بالتقدير الاجتماعي لمختلف الأدوار الاجتماعية التي يؤديها كل من الذكور والإناث، الكبار والصغار، الأقارب والأجانب في النسق القرابي والمجتمع المحلي عموما، وتعامل كمراكز متميزة، الخطوط الفاصلة بينها واضحة المعالم مثلما حددتها القيم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع العربي .

❖ هوامش البحث

- (1) محمود فؤاد حجازي: البناء الاجتماعي، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1979، ص 49.
- (2) علي عبد الرازق جليبي: دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984، ص 20.
- (3) السيف محمد بن إبراهيم: المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، العربية السعودية، 1997، ص ص 35-36.
- (4) فاروق العادلي: سعد جمعة: الانثروبولوجيا، مدخل إجتماعي وثقافي، بل برينت للطباعة والتصوير، القاهرة، مصر، 2000، ص 283.
- (5) المرجع السابق، ص 283.
- (6) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، ط 8، ج 1، المفهومات، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ص 161.
- (7) مجد الدين خمش: علم الاجتماع، الموضوع والمنهج، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، 1999، ص 140.
- (8)- Genet .L, Remond, R- **Le monde contemporain**-librairie Hatier, Paris-France, 1962, P:658.
- (9) فاروق اسماعيل: التغيير والتنمية في المجتمع الصحراوي، ط 2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1984، ص 166.
- (10) محمود فؤاد حجازي: مرجع سبق ذكره، ص 53.
- (11) محمود فؤاد حجازي: مرجع سبق ذكره، ص 65.
- (12) علي عبد الرازق جليبي: مرجع سبق ذكره، ص ص 21-22.
- (13) أحمد أبو زيد: مرجع سبق ذكره، ص 138.
- (14) فرانز فانون: سوسيولوجية ثورة، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الطباعة، بيروت، لبنان، 1970، ص 104.
- (15) السيد الحسيني: المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط 2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981، ص: 299.
- (16) القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 34.

- (17) مصطفى السخاوي: النظم القراية في المجتمع القبلي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1996، ص 137.
- (18) محمد السويدي : مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص 90.
- (19) محمد عاطف غيث :دراسات في علم الاجتماع القروي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 1967، ص 116.
- (20)- Genet.L, Remond.R ,Op.Cit, PP: 658-659.
- (21) صفوح الأخرس: علم الاجتماع العام أسسه، ميادينه، وموضوعاته، مطابع مؤسسة الوحدة، دمشق، سوريا، 1981، ص 197.
- (22) علي فؤاد أحمد: علم الاجتماع الريفي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، ص 44.
- (23) محمد علي قطان:دراسة المجتمع في البادية والريف والحضر المديرية العامة للصحافة،جدة العربية السعودية، 1979، ص 57.
- (24) فاروق العادلي، سعد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص 286.
- (25) علي فؤاد أحمد: مرجع سبق ذكره، ص 78.
- (26) فاروق العادلي،سعد جمعة: مرجع سبق ذكره، ص 283.
- (27) محمد سعيد فرح: البناء الاجتماعي والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1998، ص 344.
- (28) علي عبد الرازق جلي: مرجع سبق ذكره، ص 134.
- (29) محمد سعيد فرح: مرجع سبق ذكره، ص 327.
- (30) فاروق إسماعيل: مرجع سبق ذكره، ص 211.
- (31) أحمد أبو هلال: مقدمة إلى الأنثروبولوجيا التربوية، ط2، مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، الأردن، 1979، ص 180.
- (32) رالف بيلز، هاري هويجر: مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ج2، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 1977، ص 717.
- (33) Mathéa Gaudry -La société féminine au Djebel Ammour et au Ksel- Etude de sociologie rurale Nord Africaine,-Société Algérienne d'impression Divers, Alger, 1961, P: 126.

- (34) فرانز فانون : مرجع سبق ذكره، ص 104.
- (35) محمد عاطف غيث : مرجع سبق ذكره، ص ص 120-121.
- (36) محمود فؤاد حجازي: مرجع سبق ذكره، ص 52.
- (37) محمد سعيد فرح: مرجع سبق ذكره، ص 263.
- (38) فرانز فانون: مرجع سبق ذكره، ص 105.
- (39) محمد سعيد فرح: مرجع سبق ذكره، ص 261.
- (40) محمد عاطف غيث: مرجع سبق ذكره، ص 121.
- (41) محمد سعيد فرح: مرجع سبق ذكره، ص 261.
- (42) محمد الجوهري: الإنثروبولوجيا، أسس نظرية وتطبيقات علمية، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، مصر، 1989، ص 150.
- (43) محمد عاطف غيث : مرجع سبق ذكره، ص 115.

(44) Mathéa Gaudry -Op-cit, P: 132.

- (45) فرانز فانون: مرجع سبق ذكره، ص 99.
- * P.C. Dodd -: "Family honour and the forces of change in arab society", International journal of Middle East studies, 4(1973, PP: 40-54).
- (46) السيد الحسيني : مرجع سبق ذكره، ص 298.
- (47) علي فؤاد أحمد : مرجع سبق ذكره، ص 78.
- (48) مصطفى السخاوي : مرجع سبق ذكره، ص 150.
- (49) Mostefa Boutefnouchet -La famille Algérienne, evolution et caractéristiques récentes, SNED 2^{ème} édition, Alger, 1982, P:63.
- (50) Ibidem.
- (51) محمد عاطف غيث : مرجع سبق ذكره، ص ص 116-117.
- (52) الموسوعة الإفريقية: الإنثروبولوجيا، المجلد الرابع، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة، مصر، 1997، ص 140.
- (53) أحمد أبو هلال: مرجع سبق ذكره، ص ص 180-181.
- (54) الموسوعة الإفريقية : مرجع سبق ذكره، ص 129.

- (55) المرجع السابق، ص ص 128-129.
- (56) زينب رضوان: النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي، أصولها وبنائها من القرآن والسنة، دار المعارف، القاهرة، مصر 1982، ص 26.
- (57) زينب رضوان : مرجع سبق ذكره، ص ص 26-27.
- (58) قباري محمد إسماعيل: علم الاجتماع الصناعي ومشكلات الإدارة والتنمية الاقتصادية، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1981، ص 130.
- (59) صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع في عالم متغير، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر 1996، ص 181.
- (60) أحمد بن نعمان: نفسية الشعب الجزائري، دار الأمة، الجزائر، 1994، ص 141.
- (61) المرجع السابق، ص 99.
- (62) محمد السويدي: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1991، ص 204.
- (63) محمد عاطف غيث : مرجع سبق ذكره، ص 118.
- (64) غريب سيد أحمد: علم الاجتماع الريفي، جامعة الإسكندرية، مصر 1998، ص 279.
- *يشير الضمير الجمعي" إلى المجموع الكلي للمعتقدات والعواطف العامة بين معظم أعضاء المجتمع، والتي تشكل في ترابطها نسقا له طابعا متميزا.
- (65) Guy Rocher -Introduction à la sociologie générale, l'organisation sociale. Editions HMH, Paris, 1968, PP:66-67.
- (66)- Ibidem.
- (67) إحسان محمد الحسن: التصنيع وتغيير المجتمع، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد العراق، دت، ص 186.
- (68) محمد عاطف غيث : مرجع سبق ذكره، ص 118.
- (69) غريب سيد أحمد: مرجع سبق ذكره، ص 279.
- (70) علي عبد الرازق جليبي: مرجع سبق ذكره، ص 134.

التحليل السوسيو-اقتصادي لنظام الخوصصة في الجزائر

الدكتور: عز الدين بوكربوط

قسم العلوم الإجتماعية ، جامعة جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر

الملخص:

شرعت الجزائر منذ الثمانينيات لتجاوز الأزمة في إصلاح مجالات متعددة بهدف تحقيق التوازنات في ظل اقتصاد موجه و متميز بخصوصية اللاتجزء النسبي المعتمد في قسط كبير منه على منتوج الربيع البترولي ومشتقاته والتوجه نحو اقتصاد سوقى. يترجم إعادة التمركز الحالى لدور الدولة في الاقتصاد بالتخلي التدريجى عن القطاع الإنتاجى بتجسيده في الخوصصة شبه الكلية لمحافظة (القطاع العمومى، التجارى، لكثير من المؤسسات بمختلف أنشطتها) تما يمكن الخوصصة من تطوير القطاع الخاص بشكل عام، وتحتة على تجزئة المؤسسات العمومية الكبيرة الحجم (إعادة الهيكلة) وكذا على مستوى أشكالها المختلفة، بيع الأصول، استرجاعها من قبل الأجراء ، الشراكة مع المؤسسات الأخرى.

Résumé

Face à la crise, l'Algérie s'est engagée depuis les années quatre vingt, dans un vaste chantier de réformes afin de rétablir les grands équilibres au sein d'une économie administrée marquée par sa particularité disproportionnelle basée en majeure partie sur les produits tirés de la rente des hydrocarbures et leurs dérivés, et de regagner une économie de marché.

Le recentrage actuel du rôle de l'Etat dans l'économie, se traduit par un désengagement progressif du secteur productif qui se concrétise dans la privatisation graduelle de la quasi-totalité de son portefeuille (secteur public marchand plusieurs entreprises toutes activités confondues).

La privatisation permet alors le développement du secteur privé en générale ainsi elle incite au démembrement des grandes entreprises publiques (restructuration) mais aussi à travers ses *différentes formes, vente des actifs, la reprise par les salariés ainsi que les formes diverses de partenariats avec d'autres entreprises.*

مقدمة:

إن خصوصية القطاع العمومي الوطني نتجت كإجراء عملي وفعلي وكقناعة إيديولوجية راسخة في مشروع الانتقال من نظام اقتصادي موجه ومركزي إلى نظام اقتصادي ليبرالي خاضع لشروط السوق والمنافسة، وكذا كمبرر لتجسيد فعالية المؤسسات الاقتصادية الوطنية كحتمية مفروضة من المحيط الاقتصادي العالمي، فهي بذلك تلغي تماما الاعتقاد الراسخ الذي توقف على أن شرط ضمان النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة قائمين على الملكية الخاصة، وتحرير الأسعار وغيرها، وبالتحديد على ضرورة انسحاب تدخل الدولة من تنظيم وتسيير المؤسسات الاقتصادية انسحابا كليا، وهذا ما بدى واضحا في محتوى مخططات التعديل الهيكلي الذي انتهجته السياسة الاقتصادية الجزائرية.

❖ الخصوصية : الحل البديل لنجاعة التسيير

لقد اتجهت سيرورة الإصلاحات التنظيمية والتسييرية الاقتصادية للمؤسسات العمومية الجزائرية، بدءا من التسيير الذاتي، وصولا إلى قوانين الاستقلالية التي عرفتها مرحلة الثمانينيات ثم المرحلة الأخيرة المتميزة بشركات تسيير المساهمات بتفعيل الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين بضرورة وجوب تخلي الدولة عن المحيط الإنتاجي، وبالتالي انسحابها عن الممارسات الاجتماعية التي تهيكلت في نسق تسيير وتنظيم المؤسسات الاقتصادية العمومية ذاتها، والمحافظة على هذه الأخيرة في فترات العجز عن أداء فعاليتها الإنتاجية والربحية، مما تطلب إعادة بناء الأبنية الاقتصادية العمومية كحتمية لإعادة تجديد ديناميكيتها كقوة محرّكة للتطور الاقتصادي⁽¹⁾ والاجتماعي.

إن تحقيق دافعية هذه القوة، تطلب البحث عن الطبيعة العمومية للملكية وسائل الإنتاج وكذا إعادة النظر في مفهوم دور الدولة باعتباره دورا مضاعفا كمالكة، ومسيرة وقوة عمومية⁽²⁾.

لذا بدأت معالم إيديولوجية الخصوصية تتضح أكثر حينما تم الفصل الراديكالي في دور الدولة بين ما يجب أن تحافظ على ملكيته وما يجب أن تتخلى عن تسييره وقد أدى هذا الفصل ذاته بالفاعلين أصحاب القرار الاقتصادي الوطني إلى إبرام اتفاقية⁽³⁾ (Stand By) سنة 1994 مع صندوق النقد الدولي، وقد حدد البنك العالمي إجراء الخصوصية، بأنه الوسيلة الأساسية لبلوغ أهداف إعادة هيكلة المؤسسات العمومية وتنفيذها سيكون بضمن، سواء بالتسريحات أو بغلاق بعض المصانع، وبالموازاة يمكن إتخاذ بعض إجراءات الحماية الاجتماعية التي تقلل من الصدمة بإعادة توزيع الفائض العمالي، والذي نعتبره مجرد حل سحري نتيجة الانعكاسات التي تهدر لا محالة كل المهارات المكتسبة تاريخيا وتحيلها على البطالة الفنية.

لذا فالخصوصية هي وسيلة تسيير راديكالي في مؤسسات لا تحافظ في هرمها النظامي إلا على المناصب التي تحقق الفعالية المطلوبة، وتختزل كل العمليات الثانوية أفقيا وعموديا ويتم تمويلها الدائري بفضل إمكانياتها المادية الداخلية، وتتحول هذه الوسيلة إلى أداة حينما يتم تسريح العمال بغلاق المؤسسة أو التسريح الجزئي بالمحافظة على بعض العمال دون غيرهم في النشاط الإنتاجي.

تهدف الخصوصية إلى التخفيف من الأعباء المالية، ونفقات المؤسسات الاقتصادية العمومية التي أثقلت ميزانية الدولة، وكذا تدعيم المساهمين من الأفراد القادرين على التسيير ماليا وتكنولوجيا ... الخ، و زيادة إنتاجية المؤسسات وتطوير الأسواق التنافسية، والقدرة على الدخول في سوق دولي بالتكنولوجيا و برؤوس الأموال وتحفيز كل المبادرات الفردية.

فضلا عن ذلك تهدف الخصوصية إلى بيع المؤسسات وتخلي الدولة عن التدخل المباشر في تسييرها، ولكن لا يعني هذا التخلي تغييب الدولة عن محيطها الاقتصادي بعزلها عن عملية الضبط، بل يجب إعادة تحديد دورها في النشاط الذي يوجه إلى تنفيذ سياسة اجتماعية أمنية.

والجدير بالذكر أن معظم المؤشرات الاقتصادية الفعلية خارج قطاع المحروقات كانت ضعيفة أو دون المستوى المطلوب منذ بداية التسعينيات، وتميزت بتراكم عدم دفع مستحقاتها وديونها نظرا لإفلاسها، رغم تدخل الدولة في تغطية عجزها، بالإضافة إلى أن المؤسسات العمومية الضخمة التي تضمن تغطية ثلاثة أرباع (3/4) الإنتاج الصناعي الوطني لم يتم هيكلتها كشرط أساسي لاستمرار الإنتاج على قواعد واضحة، مع تأكيد صندوق النقد الدولي على أهمية إعادة هيكلة المؤسسات العمومية الذي تطلب - طبعا فيما يخص تحديث سلسلة الإنتاج، وممارسات التسيير والتجهيزات- مجهودا كبيرا للخصوصية وبخاصة إذا كان البحث عن الشركاء الأجانب يرتبط بالمشاكل الأمنية (...). فكل الفاعلين السياسيين والاجتماعيين يجب أن يجدوا حساباتهم: فالجمهور الجزائري لا يجب إشعاره بكونه قد ترك جانبا، والعمال و النقابيين لا يجب أن يدركوا بأن الدولة تعمل على تحطيم الموروث الذي تم بناؤه بمجهوداتهم، و التقنيين في المؤسسات العمومية الذين بدونهم لا يمكن تحديث الجهاز الصناعي، كما لا يجب تهميش مالكي السلطة السياسية لأنهم قادرين على إفشال التجربة"⁽⁴⁾.

والمهم أن النشاط الاقتصادي وإنتاجية المؤسسات الاقتصادية العمومية بخاصة ترتبط بدرجات استقرار البيئة الخارجية والأمن الاجتماعي الذين يحققان ضمان استمرارية ذلك النشاط وتلك الإنتاجية.

والواقع لم تتلق الاتجاهات التي فرضت خصوصية القطاع العمومي الاقتصادي أية مواجهة أو رفضا من قبل الفاعلين الاجتماعيين، إذ لم يهيا لها مناخا اقتصاديا واجتماعيا ملائما سواء من الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم أو من العمال المنفذين، الذين اكتسبوا رصيذا عمليا وميدانيا هائلا بداخل نسيج صناعي، هيكلته الدولة، باعتبارها الجهاز المحمي من كل المخاطر الخارجية.

رغم ذلك فقد عبر نسيبا عن الرفض بداخل أجهزة الدولة نفسها و لو في شكل حيرة وانشغالات عن مصير المؤسسات الاقتصادية العمومية، ومستقبل

الطاقات العمالية، باعتبار أن الخوصصة " عقيدة مبهمة في يومنا، لأن الواقع لم يجسد لنا بعد علميا بأن التغيير في شكل ملكية الأصول، تؤدي إلى التغيير في طبيعة الفعالية، والأهداف المحددة و الواضحة المعالم حينئذ سيواجه الاقتصاد الوطني أخطار الفشل وانعكاسات خطيرة⁽⁵⁾ .

على هذا الأساس حكم بعض الباحثين على أن تجارب المجتمعات الشرقية توحى لنا بوهم تخلي دور الدولة عن القضايا الاقتصادية، فقد يمثل الصراع العمومي بحق في اقتصاديات المرحلة الانتقالية سواء في بلدان أوروبا الشرقية أو الوسطى، مركزا أساسيا باعتباره إستراتيجية اقتصادية بديلة، سابقة لبداية سنوات المرحلة الانتقالية في الشرق والتي تركز على التدخل الضعيف للدولة وتنفيذ الخوصصة مهما كلف الثمن و لو على حساب تكاليف اجتماعية مكلفة و غير مطابقة بإهمال إمكانيات قطاع عمومي متجدد⁽⁶⁾ .

لم يعد الإصرار على خوصصة المؤسسات الاقتصادية العمومية من المحرمات في الجزائر بل أصبح تداول خطاباتها أمرا طبيعيا في دوائر صناع القرار الاقتصادي السياسي الوطني، وقد احتواها وأقرها التشريع الجزائري وخاصة في مضمون قانون المالية التكميلي لسنة 1994، وتم الإجماع في المجلس التشريعي الإنتقالي (CNT) على التنازل عن أصول المؤسسات العمومية، وتقنينه في قانون 23 جويلية 1995⁽⁷⁾ .

بخوصصة كل الأنشطة التي يمكن خوصصتها، والتي تغطي جزءا كبيرا من الاقتصاد الوطني⁽⁸⁾ .

وقد أثار النص القانوني مخاوف كثيرا من العمال، عن مصيرهم ومستقبلهم المهني والصناعي في المؤسسات الاقتصادية العمومية - المفلسة - رغم أن المشرع الجزائري سهل من إجراءات التعويض المتعددة⁽⁹⁾ .

والأكثر من ذلك لم يفرض على صاحب العمل الاحتفاظ بنفس النشاط لمدة خمسة سنوات وبالمقابل، يمكن للسلطة العمومية من التفاوض على وضعية

الفائض العمالي الذي يسود معظم المؤسسات الاقتصادية العمومية. لذا فقد ألزم القانون بالأوامر⁽¹⁰⁾.

إجبار حركة الحكومة الجزائرية على التقيد المزدوج بأمرين أولهما: يجب أن يكون الهدف من الخوصصة هو إعادة إدماج أو تحديث المؤسسة، مع ضرورة الاحتفاظ بالنشاط على الأقل لمدة خمسة سنوات. وثانيهما لا يسمح بإجراء الخوصصة إلا إذا تم الاحتفاظ بمناصب العمل كلياً أو جزئياً.

ويكمن الهدف من وراء ذلك في الإسراع في وثيرة ديناميكية بيع المؤسسات العمومية دون إحراج العمال، وإثارة شعورهم بالنتائج الاجتماعية القاسية، وربما تحفيزهم على شراء الوحدات بأنفسهم.

والواقع نعتبر بأن الخوصصة هي أعلى درجة لمستوى الهيكلة، إذ بفضلها حددت الإجراءات المفاهيمية والعملية للفرقة بينهما حينما أصدرت الوصايا والمتمثلة في وزارة إعادة الهيكلة مقررته⁽¹¹⁾.

حددت في مضمونها توجهات إعادة الهيكلة، وعلى هذا الأساس فقد اعترف الخطاب الرسمي على كون الخوصصة هي بمثابة أحد أهداف إعادة الهيكلة، ويستند نموذجه على إعادة تركيز المؤسسة الاقتصادية العمومية على وظيفتها القاعدية و تفرغها بالضرورة إلى وحدات إنتاجية متخصصة، و وجوب تماثل المصانع مع أنشطتها.

وفي الجوهر مهد إلى خوصصة المؤسسات الاقتصادية بتفريغ الأنشطة الفرعية الثانوية بالاعتماد على الأنشطة الأساسية خاصة التي تحقق الفعالية المطلوبة وتضيفها إلى وحدات ذات مردودية ضعيفة و وحدات ذات مردودية مقبولة و وحدات عاجزة، و هذا التصنيف المنطقي لأنه يعتمد على مؤشرات فعالية المؤسسة بكونها مؤسسة منتجة و ناجحة، أو مؤسسة عاجزة عن الإنتاج و فاشلة، و يتطلب البحث عن آليات إعادة بعثها من جديد في السوق.

ميكانزمات عملية للخروج من المأزق:

ومن أجل بلوغ الأهداف المسطرة للمؤسسة فقد حدد قانون تسيير رؤوس أموال سلع الدولة⁽¹²⁾، وشكلت الإجراءات العملية الآتية:

لقد نتج في كثير من الحالات عن التمرکز أو التوطن الجغرافي الشاسع للمؤسسات العمومية الاقتصادية بعدها عن مكان تواجد الموارد الأولية مما أدى إلى الزيادة في تكلفة السلع والخدمات وهذا ما لم يمكنها من تصريفها في السوق نظرا لأسعارها الباهظة السعر مقارنة مع السلع الأخرى لمؤسسات مماثلة تراعي هذا الجانب أهمية قصوى.

عموما فإذا نظرنا إلى الجانب الاقتصادي الكلي خاصة بعد التحولات الجذرية التي رافقت تطور حياة المؤسسة العمومية والقيود الإجبارية التي فرضت من قبل صندوق النقد الدولي⁽¹³⁾.

والبنك العالمي لوجوب تحرير التجارة الخارجية وتحرير الأسعار ، وإعادة ضبط الصرامة في التسيير الذي صاحبه تسريح كلي أو تقليص مستمر في عدد العاملين مع الاحتفاظ ببعضهم من أجل بلوغ فعالية المؤسسات المنتجة بالإضافة إلى التخفيض في عجز الميزانية عن طريق وضع سياسة نقدية ومالية محكمة أثرت كلها على أوضاع هذه المؤسسات.

لقد تطلب عمليا اتفاق الحكومة الجزائرية مع صندوق النقد الدولي الإسراع في التطبيق الآني لما يأتي:

✓ تحرير الأسعار كليا وتحرير التجارة الخارجية.

✓ تقليص من ميزانية الدولة.

✓ التسريح المكثف للعمال.

✓ توقيف الزيادات في الأجور.

لقد شكلت هذه الإجراءات العملية في الواقع محاولة نحو التوجه الليبرالي الاقتصادي بهدف ابتعاد الدولة عن التدخل في الحياة الاقتصادية الوطنية. ولا شك أن الوضع الاقتصادي الوطني لا يمكن عزله عن الإصلاحات السياسية الجذرية المتسارعة التي شهدتها بداية التسعينيات رغم اختلاف وتعقيد محاولة التقارب بين المنطق الاقتصادي والمنطق السياسي المتناقضين، فقد أثبتت لنا التجربة بأنها محدودة الأفق، لذا فإن إعادة التجربة يجب أن تراعي التطلعات الاجتماعية ومفاضلتها عن الديمقراطية السياسية لأن جماعة الإصلاحيين كان يحذوهم هدفان أولهما، هو محاولة تقييد تأثير الجماعات الضاغطة و زبونية السلطة السياسية المعارضة للإصلاحات الاقتصادية، وثانيهما الانفتاح الديمقراطي كشكل من أشكال تنازل السلطة السياسية للمجتمع مقابل تخلي الدولة عن بعض الأنشطة الاقتصادية وخاصة الأنشطة الاجتماعية.

فالديمقراطية تعوض في مستوى بعض الشرائح الاجتماعية خاصة الشرائح المتوسطة إذ تضيع أو تقلص بعض الامتيازات الاجتماعية أو بعض الحماية أو ضمانات الدولة لأن الليبرالية السياسية لا تعبر في تصورات منتجها كعملية تمكن التعبير عن التناقضات السوسيو-اقتصادية السياسية والثقافية المتخذة منذ ثلاثين سنة، فهي قبل كل شيء طريقة تهدف إلى الاعتراف بانسياب الدولة عن الطلبات الاجتماعية⁽¹⁴⁾.

لقد مثل بالفعل انسحاب الدولة تعويضا لإعادة إنتاج سلطتها باهتمامها أكثر بالنسق الاقتصادي لتعزيز هيمنتها بدل اتجاهها نحو الاهتمام بالفعالية لمواجهة العقلانية الاقتصادية الرأسمالية وإمكانيتها وربما بدل الاهتمام أكثر من ذلك برفض الديناميكية، والمبادرات والإبداع وخشيتها من قوة التصدعات الاجتماعية وعلى هذا الأساس فقد سعت إلى المحافظة على استقرار الأوضاع، ناهيك بأن الليبرالية الاقتصادية تزعج كثيرا أصحاب المصالح والامتيازات الاقتصادية والاجتماعية المحليين وعلاقتهم بالخارج.

ويمكن الاستنكار بأن كثيرا من المصالح الصناعية والتجارية والمالية الدولية نسجت قنوات علائقية مختلفة قائمة على امتيازات خاصة مع المؤسسات العمومية الجزائرية بمنحها أسواق مرجحة مع غياب المنافسة وإقامة مفاوضات شكلية، وضمان الدفع (المالي) من قبل الدولة... الخ، على هذا الأساس تم تغييب فعالية المؤسسات العمومية والتحكم في التجارة الخارجية وإدماج المنافسة الدولية بسبب العلاقات المصلحية والإمتهانية على حساب العاملين نظرا لمكانتهم المهمشة في صنع القرار الاقتصادي الوطني.

ويمكننا تحديد معنى عملية الخصخصة بأنها عبارة عن انتقال ملكية وسائل الإنتاج إلى القطاع الخاص ففي هذه الحالة نصطلح عليها خصخصة كاملة حقيقية، أما تنازل القطاع العمومي عن تسيير هذه الوسائل لصالح القطاع الخاص ففي هذه الحالة تصبح الخصخصة شكلية أو غير كاملة، وتسمى الأولى خصخصة الملكية، أما الثانية فتسمى خصخصة التسيير. والخصخصة لا تعني أن تتخلى الدولة عن جميع مؤسساتها، بل أنها لا تمس سوى المؤسسات التي تعاني من أزمات حادة ولا تؤثر على دور الدولة في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد فهناك بعض المؤسسات العمومية التي لا يمكن إطلاقا التنازل عنها كليا أو جزئيا لأهداف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

لقد حدد القانون الجزائري المتعلق بخصخصة المؤسسات العمومية لسنة 1995 مفهوما دقيقا للخصخصة إذ تعني القيام بمعاملة أو معاملات تجارية تتجسد:

✓ في تحويل تسيير المؤسسات العمومية إلى أشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص، وذلك بواسطة صيغ تعاقدية يجب أن تحدد كيفية تحويل التسيير وممارسته وفقا لشروطه⁽¹⁵⁾.

ويبقى خيار الخصخصة مرتبطا في تصورنا بجملة من الأسباب التي يمكننا تحديدها كما يأتي:

✓ اعتبار المؤسسات الخاصة من خلال ميكانيزماتها المرنة في التسيير وكذا التأقلم المعرفي والمالي.

✓ الخصوصية من خلال المصادر التي تملكها تمثل مصدرا للتراكم الصافي لتحويل وتنشيط الاقتصاد لأجل تجنب التحولات غير القانونية لهذه المصادر المستخلصة من البيع من خلال القنوات التقليدية للفوائد.

✓ أن البنيات التابعة للدولة صارمة على الرغم من النية الحسنة.

❖ الأسباب الداخلية والخارجية لمسار الخصوصية:

بناء على المعطيات الأنفة الذكر فقد أخذ مسار الخصوصية اتجاهها جذريا في تحويل المؤسسة العمومية الجزائرية (القابلة للخصوصية طبعا) بناء على أسباب مختلفة منها الأسباب الداخلية التي تجسدت فيما يأتي:

✓ فشل القطاع العمومي.

✓ ضعف الإنتاجية.

✓ غياب المنافسة.

✓ اللامعادلة الاجتماعية.

✓ احتكار القطاع الحكومي.

✓ الرؤى الاقتصادية الضيقة للدولة.

وضعية الاقتصاد الوطني الذي عرف تدهورا كبيرا خاصة بعد الانخفاض الذي حصل في أسعار النفط، مما زاد من تقليص الميزانية بالعملة الصعبة ما بين سنتي 1988 و1995.

بينما تعود الأسباب الخارجية إلى المشكلة التي ظهرت إزاء التدهور وفشل الإصلاحات الاقتصادية في تحقيق الأهداف الموجودة منها والمتمثلة في أزمة

المديونية، وبناء على الاختلالات التي عرفها القطاع الصناعي الوطني وتنمية قطاعية غير متكاملة بل ومفقودة الحلقات كان الالتزام الاقتصادي السياسي لأصحاب القرار وصناعته مقرونا بحتمية تبني خيار المفاوضات مع المؤسسات المالية الدولية الخاصة بإدارة الجدولة حيث شرع في إعادة الهيكلة⁽¹⁶⁾ رسميا مع هذه المؤسسات.

نعتقد بأن فرض نظرة لإصلاح وضع المؤسسات العمومية الاقتصادية والاستجابة إلى شروط التنظيم والتسيير الفعال بدءا من نظام التسيير وصولا إلى نظام صناديق المساهمة لم يؤد سوى إلى تفكك قوة تلك المؤسسات ، وقد أدى ذلك إلى جوانب إيجابية تجسدت خاصة في التقرب أكثر من عملية التخصص من أجل فعالية المؤسسة والتحكم في النظام المالي والمحاسبي ، فضلا عن جوانب سلبية مهدت إلى الخوصصة أكثر فأكثر نتيجة تشتيت جهود المؤسسة العمومية الاقتصادية وتقليل دورها في التنمية وإبعادها عن قدرة المنافسة على المستوى العالمي.

والحقيقة أن المؤسسات العمومية الاقتصادية لم تخلق الثروة، وبالتالي فإن مساهمتها في وثبة التنمية الوطنية كان محدودا وضيقا عدا تمركز تسييرها في جهاز إداري وضغط أصحاب المصالح والنفوذ في توجيهها بما يكرس تبعيتها إلى مركز القرار وبذلك ضبط إعادة إنتاج الالفاعلية المتناقضة مع المنطق الدولي الراهن. وعليه فقد تم اختزال مناصب العمل بحجة التصحيح الهيكلي مدعمين رفع البطالة لما يعادل 250,000 عاملا⁽¹⁷⁾.

لقد دلت كل مؤشرات المجلس الاقتصادي الوطني (CNES)⁽¹⁸⁾ على أن واقع المؤسسات العمومية الاقتصادية لم يدفع إلى التجديد في رأس المال المنتج والحد من التدهور المتزايد في الدائرة الاجتماعية التي ازدادت تفاقما، مؤكدا أن الركود الاقتصادي وندرة التمويل العمومي والاستقطاب السريع للمداخل زادت في خفض القدرة الشرائية. مما دل بأن المؤسسات العمومية الاقتصادية كانت في حالة الالفاعلية أو أن نسق الفاعلية مغلقا ومتأزما نتيجة الإختلالات الفرعية

الداخلية والخارجية للتنظيم والتسيير، لذا أصبح الميل نحو بديل نظامي اقتصادي شامل قائم على تحويل الملكية واقعا إستراتيجيا، بل واقعا تطلب تغييرات هيكلية في العمق مع تحديد علاقات تعاقدية تشمل علاقات الدولة بالمؤسسة.

ويمكننا تحديد المساهمة الفعلية لمؤسسات القطاع الخاص مقارنة بالقطاع العمومي في القيمة المضافة بحسب فروع النشاط الذي يمارسه، بهدف إدراك مستويات الفعالية المحققة أو غير المحققة وفق للجدول الآتي:

الجدول رقم (01) : مساهمة المؤسسات الخاصة والعمومية في القيمة المضافة بحسب فروع النشاط لسنة 1998.

الشكل القانوني للمؤسسات				فروع النشاط الاقتصادي
النسبة (%)	عمومية	النسبة (%)	خاصة	
01.16	11 137.7	31.27	368 524.5	التجاري
59.82	610 121.5	02.38	28 100	المحروقات
09.30	94 886.2	14.46	170 525.9	البناء و الأشغال العمومية
00.08	856.9	26.33	310 391	الفلاحة
06.45	65 791	11.49	135 514.2	النقل و المواصلات
23.17	2 363 907	14.03	165 429.4	نشاطات اقتصادية أخرى

100	1 018 884	100	117 848 5	المجموع
-----	-----------	-----	-----------	---------

الوحدة : مليون دينار جزائري.

المصدر: الجدول من إعداد الباحث، بناء على معطيات الديوان الوطني للإحصائيات ما بين سنتي 1994 و 1998، العدد 293 ديسمبر 1999.

يتضح لنا من الجدول بأن فعالية أو الترشيد الاقتصادي للمؤسسات الخاصة ارتبطت بأربعة نشاطات أساسية وهي:

النشاط التجاري الذي يمثل نسبة (31.27 %) و نشاط البناء و الأشغال العمومية بنسبة (14.46 %) والنشاط الفلاحي بنسبة (26.33 %) و كذا نشاط النقل و المواصلات بنسبة (11.49 %)، و يمثل مجموع هذه النشاطات نسبة (84 %) من مجموع القيمة المضافة التي حققتها المؤسسات الخاصة و التي تبلغ 33335 مؤسسة خاصة وطنية، أي ما يعادل نسبة (57 %) من المجموع العام، في حين لا تساهم بقية المؤسسات الخاصة التي يتهيكّل نشاطها الاقتصادي في ثمانية عشر فرع مختلف. و التي تبلغ 25549 مؤسسة خاصة أي ما يعادل نسبة (43 %) من المجموع، مع العلم أنها لم تسهم إلا بنسبة (16 %) من القيمة المضافة الإجمالية للقطاع الخاص سنة 1998.

إن فعالية أداء مؤسسات القطاع الخاص ارتبط بمدى توسيع بنية تهيكّلها في المجال الاقتصادي المنتج خاصة عن طريق تدعيم إنجازها لاستثمارات جديدة ومكثفة في مستويات قطاعية متنوعة ومتكاملة.

وفضلا عن ذلك فإن فعالية الأداء أيضا لنفس هذه المؤسسات ارتبط بمدى إسهامها في زيادة القيم المضافة المنشأة للرأس المال الوطني عن طريق ترشيد التسيير المحكم لتكنولوجيتها وأموالها ومواردها البشرية وخبيرها العلمية ... الخ. وقد اتضح لنا من تفاصيل القراءة الإحصائية السابقة لمعطيات فروع النشاطات الاقتصادية للقطاع الخاص ما بين سنتي 1994 و 1999⁽¹⁹⁾.

هو ضعف مساهمته في خلق القيمة المضافة ففي قطاع الصناعة الغذائية قدرت نسبته (04 %) وصناعة النسيج نسبة (0.55%) وصناعة الخشب والفلين والورق نسبة (0.26%) وصناعة الجلود والأحذية نسبة (0.10%) وربما نفسر هذا الضعف بقلّة تركيز المالك الخاص على الاستثمار الكلي بداخل هذه الصناعات المختلفة و توجهه بخاصة إلى تفضيل النشاطات التجارية.

والجدير بالذكر أن ضعف مساهمة القطاع الخاص في المحروقات الذي قدر بنسبة (02%) مقارنة بباقي القطاعات الصناعية الأخرى، ارتبط ذلك الضعف بسبب احتكار القطاع العمومي الشامل للمحروقات باعتباره القطاع الذي تم تصنيفه ضمن الصناعات الإستراتيجية والحيوية للاقتصاد الوطني.

كما تخفي المساهمة الهامة للقطاع الخاص في خلق القيمة المضافة على المستوى الوطني مقارنة بالقطاع العمومي بعض الحقائق المتعلقة بالحجم الفعلي لهذا الأخير، ومدى تأثير ذلك على القطاع الخاص الوطني. إذ ساهم قطاع المحروقات بقيمة قدرها 610121,5 مليون دينار جزائري في القيمة المضافة الإجمالية على المستوى الوطني، وهو ما يكافئ مساهمة كل نشاطات فروع البناء والأشغال العمومية و الفلاحة و النقل و المواصلات التابعة للقطاع الخاص، والتي قدرت بـ 616431,1 مليون دينار جزائري في نفس السنة، والتي مثلت نسبة (52 %) من مجموع القيمة المضافة للمؤسسات الخاصة على المستوى الوطني.

ونستنتج بالإضافة إلى ما سبق بأن مساهمة ما يقارب 16239 مؤسسة خاصة تنتمي إلى قطاعات البناء و النقل و المواصلات و الفلاحة تعادل القيمة التي تساهم بها أربعة مؤسسات عمومية تنتمي إلى نشاط المحروقات، لذا يظهر الحجم الذي يمثله قطاع المحروقات مقارنة مع قدرات وطاقات القطاع الخاص مما تطلب أهمية إدخال إصلاحات اقتصادية إستراتيجية تهدف إلى تحرير قطاع المحروقات مع

ضرورة إشراك الرأس المال الخاص الوطني و الأجنبي من أجل المحافظة على ضمان تطور القطاع الخاص و تشجيعه أكثر في خلق الثروة.

مع العلم أن مساهمة 68 مؤسسة خاصة في قطاع المحروقات بلغت 28100 مليون دينار جزائري من القيمة المضافة التي إنتجها القطاع الخاص سنة 1998 و هو ما يتجاوز مساهمة نفس القطاع في أنشطة الصناعات الحديدية و المعدنية و الميكانيكية و الالكترونية بمقدار 2461.8 مليون دينار جزائري في نفس السنة و بما يعادل 2483 مؤسسة خاصة.

عموما نستطيع استخلاص أن مساهمة القطاع الخاص مقارنة بالقطاع العمومي قد اتسم بأقل ديناميكية في فروع النشاطات الاقتصادية التي تنتمي إلى القطاع الأول لكونه لم يشهد إصلاحات جذرية كالتي أدرجت في القطاعين الصناعي و الخدماتي منذ سنة 2000، بالإضافة إلى انحصار النشاطات الأقل فعالية في بعض فروع النشاطات الصناعية التي لا تزال هشّة في توفير بيئة صناعية استثمارية جذابة لرؤوس أموال القطاع الخاص، وقادرة على توفير مناصب الشغل والمحافظة على استقرارها، وهذا لا يثبت أيضا بأن القطاع العمومي هو الوحيد الذي يستطيع خلق القيم المضافة أو القطاع الوحيد الذي تمكن مساهمة مؤسساته في مختلف فروع الأنشطة الاقتصادية من خلق الثروة، إذ لم تتحقق فعاليتها إلا قطاع المحروقات الذي شكل لوحده نسبة (60%) من المجموع العام مقارنة بباقي فروع النشاط الاقتصادي العمومي والتي شكلت نسبتها (39%) من لمجموع العام، وهي نسبة ضعيفة في تحقيق تراكم رأس المال الوطني نظرا لأسباب داخلية وخارجية مرت بها المؤسسات الصناعية العمومية.

فإذا كان التوجه نحو الخصوصية أمرا بديهيا فيجب إعادة النظر في وظيفة الدولة بل في تغيير وظيفة الدولة التي لن تحدد وفق علاقات فوقية، بل وفق علاقات تعاقدية تبعد نمط التسيير القديم المرتكز على الأوامر والتعليمات من

أعلى هرم السلطة، بل أن وظيفة الدولة تنحصر في المراقبة وضبط حركية الاقتصاد دون التدخل مباشرة في تسييره ، فهي وظيفة تنظيمية لا غير.

وفي ظل غياب أية حصيلة جديدة وعقلانية عن عملية الخوصصة لاسيما بعد حل المجلس الوطني للخوصصة فإن برنامج الخوصصة المسطر من قبل أصحاب القرار السياسي الاقتصادي الوطني⁽²⁰⁾.

شمل كثيرا من المؤسسات العمومية العامة، وعلى عكس ذلك فإن الكفاءة والفعالية الاقتصادية يكمنان في الملكية الخاصة التي تحقق نموا اقتصاديا ورفاهية اجتماعية، و يمكن للباحث تشخيص تلك القناعات والمبررات ضمن قناعات ومبررات ، فرضها المحيط الداخلي،

مبررات التحول من القطاع العمومي الى القطاع الخاص:

إذ يمكننا حصرها فيما يأتي:

✓ عجز ميزانية الدولة: إن المردودية الضعيفة التي أفرزها واقع المؤسسات العمومية الاقتصادية حتم على الدولة التدخل المباشر لتقديم في كل مرة إعانات مالية ، بسبب تبني الدولة لسياسة دعم المنتج والمستهلك مما أثر على توازنها المالية بل الاحتكام إلى قانون العرض والطلب.

فقد بلغت ديون الجزائر الخارجية (31.5) مليار دولار سنة 1999، وخدمة الديون استقطعت نسبة (43.4%) من تكاليف الصادرات، أي ما يعادل 4 مليار دولار، ولم تكن وضعيتها مريحة مقارنة بسنة 1994 التي قررت فيها الجزائر إنهاء تسديد الديون، إذ واجهت انخفاضاً في عملات الخام، وأصبحت عاجزة عن التقيد بالتزاماتها (...). ومنذ سنة 2000 تجاوزت خدمة الديون نسبة (65%) خاصة في مستوى الإيرادات الخارجية وأصبح البرميل الذي يعادل 14 دولارا يساعد الجزائر على التجاوز من جديد إعادة الهيكلة⁽²¹⁾.

وهذا ما يبرر الانعكاسات المالية على صحة نشاط المؤسسات الاقتصادية العمومية التي حكم على بعضها بالبقاء والمحافظة على بعض عمالها، و بعض المؤسسات الأخرى فرض عليها الإغلاق وتسريح العمال نهائيا.

✓ الالفاعالية الاقتصادية: الناتجة خاصة عن التدني في مستويات الربحية لمعظم المؤسسات الصناعية العمومية أنتجت صعوبات وعوائق في:

✓ تدهور الوضع الاقتصادي: الخاص بحالة المؤسسات الصناعية العمومية نظرا لغياب المنافسة وكذا تدخل الدولة واحتكارها للسوق، إذ قضي على المبادرات المنتجة الفردية التي قد يكتسبها مخزون المورد البشري مما أدى إلى عدم نجاحتها، بالإضافة إلى انعدام مرونة أجهزة مراقبة تسيير مختلف حلقات عمليات المؤسسات العمومية الاقتصادية نتيجة ثقل وتعقيد الهياكل الإدارية، وتعدد مستويات التدخل وعدم جدواها في كثير من الحالات وأخيرا تفشي ظاهرة البيروقراطية ، ليس على النمط الفيبري، التي شكلت أكبر عائق في تحقيق وثبة تنموية وطنية مستقلة نظرا لهدر الإمكانيات الفردية والجماعية والتضييق على استغلال الموارد وترشيد استعمالها.

-المستوى الثاني: خاص بقناعات وبميزات، فرضها المحيط الخارجي، ويمكننا أيضا حصرها كما يأتي :

✓ فشل النظام الاشتراكي: شكل فشل أسلوب الإنتاج الاشتراكي سابقا من تحقيق الفعالية وشروطها في تنظيم وتسيير علاقات الإنتاج في المؤسسات الصناعية العمومية وكذا انهيار المعسكر الشرقي، أحد أهم القناعات والمبررات التي تشكلت على أساس العامل الخارجي المؤثر في حتمية النظام الاقتصادي الداخلي، وبالتالي تنامي الاتجاه أكثر نحو خصوصية القطاعات الصناعية وغيرها في المجتمع.

✓ المؤسسات المالية العالمية والخصوصية: تؤثر المنظمات المالية (صندوق النقد الدولي والبنك العالمي) على البلدان النامية ، كونها تشرف تمويلا على معظم مشاريعها الاقتصادية الكبرى، وبالمقابل تمارس عليها ضغوطات واسعة ، وتقيّد توجهاتها السياسية أيضا إذ تدافع هذه المنظمات المالية العالمية على اعتماد المؤسسات القابلة للخصوصية رغم كونها ظلت رهينة عوامل عديدة على مستوى الداخلي منها صعوبة عملية خصوصية المؤسسات التي تعاني إجمالا من إختلالات عضوية ومالية كحالة العجز في الخزينة والميزانية والإختلالات في الأصول والعجز في التسيير. كما إرتبطت هذه المؤسسات بمحيط اقتصادي عام بطيء التغيير و لم ينال بعد ثقة المستثمر الأجنبي وبقيت العملية إلى حاجة ماسة إلى دعم الاستثمار الخارجي والأجنبي المباشر، وهو ما لحت إليه مقررات المجلس الوطني لمساهمات الدولة حين تطرقت للمشاكل التي عانت منها شركة ألفاسيد التي هددها الإفلاس.

وبغض النظر عن الحصيلة الضعيفة الخاصة بالتائج المنتظرة من نجاعة وفعالية تنظيم وتسيير المؤسسة العمومية الاقتصادية التي لم تبلغ الأهداف المرجية والتنافسية فقد أثار مشروع قانون الخصوصية تحفظات واسعة بخصوص المساهمة والمشاركة وحصص الأصوات في المؤسسات غير المعنية بالخصوصية والذي تجاوز الثلثين (2/3) إلا أن الترسنة القانونية والتشريعية الجديدة التي وضعها المشرع الجزائري حاولت تقديم أقصى الضمانات أمام المستثمر لأن الأمر تعلق بتسيير رؤوس الأموال التجارية التي أقرت بإنشاء هيئات مرنة بدلا من مجلس الوطني لمساهمات الدولة، وإلغاء الشركات القابضة لضمان استقلالية المؤسسات العمومية في مجال التسيير، وتحديد صلاحيات مجلس الإدارة ومحافظ المحاسبة والهيئات المسيرة الأخرى بما يتطابق مع القواعد القانونية ونصوص القانون التجاري فيما يحدد الأمر المتعلق بالخصوصية (أي وكالة الخصوصية ومجلس مراقبة عمليات الخصوصية).

إذ لم يتم اللجوء إلى الحصول على موافقة وزارة المساهمة سوى في عمليات فتح رأس المال الذي تجاوز نسبة (50%) فيما تعهد المؤسسات التي يتم التنازل عنها بالكامل أي بنسبة (100%) لوكالة الخوصصة التي أنشئت في محاولة استقطاب المستثمرين المهتمين بشراء المؤسسات.

الخاتمة:

الحقيقة أن المؤسسات العمومية الاقتصادية لم تخلق الثروة، وبالتالي فإن مساهمتها في وثبة التنمية الوطنية كان محدودا وضيقا عدا تتركز تسييرها في جهاز إداري وضغط أصحاب المصالح والنفوذ في توجيهها بما يكرس تبعيتها إلى مركز القرار وبذلك ضبط إعادة إنتاج الالفاعلية المتناقضة مع المنطق الدولي الراهن.

❖ هوامش البحث

(1) Benissad (M.E.H.): **Algérie restructuration et réforme conomique**(1979-1993), OPU, Alger, p189.

(2) Bouzidi (A.), « La privatisation des entreprises publiques industrielles en Algérie », revue, Reflets Et perspectives de la vie économique, tome XXXII, déc. Alger, 1993, p455.

(3) يؤكد لنا عبد المجيد بوزيدي في نفس المرجع السابق في الصفحة 174 بأن قبل مباشرة تنفيذ الاتفاقية "ففي أكتوبر 1991 تم التأكيد على تاريخ نهائي لاتفاقية قرض معتمدة على إصلاح جبائي و تسعيري ، وحددتها كشرط للتفاوض (بعده شهور قبل ذلك) و بإجبار فتح عن طريق القناة التشريعية إمكانية خصصة رأس مال مؤسسات الدولة. و رفض هذا الشرط من قبل وزارة الاقتصاد، و بعد ذلك لم تعد الخصخصة من المحرمات (Tabou)، و اتخذت كقرار في المستقبل للاقتصاد الجزائري، لا ينفذ إلا في ظل حكومة منتخبة وذات قاعدة اجتماعية".

(4) Ghiles (F.), **L'armée a-t-elle une politique économique ?** Chronique de douze années de compromis incertains, in Pouvoirs. Revue Française d'Etudes constitutionnelles et Politiques, n° 86, Seuil, Paris, 1998, pp85-106.

(5) CNES, Préliminaire sur les effets économiques et sociaux du programme d'ajustement structurel, 12^{ième} Session plénière, novembre 1998, Alger, p60.

(6) Andreff (W.) : **Le Secteur public à l'est : Restructuration industrielle et financière**, l'Harmattan, Paris, 1995, p236.

(7) Le nouvel accord de facilité de financement élargie (FFE) signé entre le gouvernement de Mokdad Sifi et le FMI daté de mai 1995.

(8) L' Ordonnance n° 95-22 du 26 août 1995.

(9) L' Ordonnance n° 97-12 du 19 mars 1997, et décret n° 97-329 du 10 septembre 1997.

(10) L'Ordonnance n° 95-22 du 26 août 1995, Article 4.

(11) أنظر مقرر رقم 17 مارس 1996.

- (12) Ordonnance n° 95-25 du 25 septembre 1995- l'article 24 stipule que «Le patrimoine des entreprises publiques est cessible et aliénable ».
- (13) خاصة بعد إبرام الاتفاق مع صندوق النقد الدولي (stand-by) بتاريخ 1991 /06 /03 تمتد على فترة 10 أشهر (إلى غاية 1992 /03 /31).
- (14) Lakehal (M.) :**L'Algérie de l'indépendance à d'urgence**, L'Harmattan, Paris,1992,p239.
- (15) أنظر في هذا الشأن الأمر رقم 95-22 المؤرخ في 26 أوت 1995، المتعلق بخصوصية المؤسسات العمومية.
- (16) شرع في إعادة الهيكلة رسميا في 31 ديسمبر 1993.
- (17) Bennoune (M.),**Esquisse d'une anthropologie de l'Algérie politique**, Illustre par, une stratégie algérienne de sortie de la crise (Acceptée, puis abandonnée par un pouvoir inapte), Ed.Marinnor, Alger, 1998, p208.
- (18) يمكن الإطلاع في هذا الشأن على ما ورد من إحصائيات غنية بالأرقام الدالة عن وضعيات قطاعات اقتصادية مختلفة الأنشطة من سنة 1993 إلى غاية سنة 1999 (مع افتقادها للتحليلات الأكثر دقة و انتقاد).
- (19) وهي معطيات إحصائية متعددة ، لم ندجها في الجدول رقم (20) نظرا لشدة تفاصيلها لذا اكتفينا باستخلاص ما يهمنا في هذا الجزء من التحليل فقط.
- أنظر ما ورد في مسألة خصوصية المؤسسة كليا في الدراسة القيمة لـ :
- (20) Sadi (N-D.),**La privatisation des entreprises publiques en Algérie. Objectifs, modalités et enjeux**, OPU, Alger, 2005, Chapitre5, p 392.
- (21) Stora (B.) et Ellyas (A.) ,**Les 100 portes du Maghreb. L'Algérie, Le Maroc, La Tunisie, Trois singulières pour allier islam et modernité**, Les Editions de l'Atelier-Editions ouvrières,Paris,1999, pp136-137.

عقلنة المنظمة ونظريات التنظيم

الدكتورة: لطيفة طبال

كلية الآداب والعلوم الإجتماعية

جامعة سعد دحلب البليدة، الجزائر

الملخص:

إنّ تقدم أي منظمة وفعاليتها يتوقف على مدى قدرتها في تحقيق أهدافها، ومن أهم هذه الأهداف العمل على زيادة قدرتها وكفاءتها الإنتاجية، يتوقف هذا الهدف على مدى استخدامها الأمثل للموارد المختلفة " الفنية، التكنولوجية، المادية، البشرية". أصبح موضوع السلوك العقلاني داخل المنظمات يشغل مساحة كبيرة من الفكر الإداري المعاصر، وعلم اجتماع المنظمات، حيث يعدّ دعامة أساسية لنجاح أي منظمة، يتوقف ذلك على مدى فهم المنظمة لهذه السلوكات، والتنبؤ بها والتحكم فيها وتطويرها على أسس علمية. ويدخل العنصر البشري في العملية التفاعلية بين المنظمة والبيئة الخارجية كلها، باعتباره أحد ركائز البناء التنظيمي، والتطور الإداري في المنظمة.

summary

The progress and effectiveness of any organization depends on its ability to achieve its objectives, and most important of these goals to increase their work efficiency and productivity, this goal is based on the optimal use of different materials " technical, technological, human. "Become the object of rational behavior in organizations is a large area of modern management culture, organizational sociology, which is a fundamental pillar for the success of any organization, depending on the degree of understanding of the organization of these behaviors, Prediction and control and developed on a scientific basis. And entering the human element in the interactive process between the organization and external environment as a whole, as one of the pillars of organizational and administrative development within the organization.

مقدمة

تقوم نظرية التنظيم في إطار المدرسة الوظيفية على مبادئ أساسية مستمدة من أصول هذه المدرسة، وذلك كتأكيد مفهوم التوازن والانسجام والتعاون. وهذا ما يؤكد كل من الباحثين باريل

و مورغان "Baril - Morgan (1980) في قولهما بأنّ كلّ نظريات التنظيم تقوم على فلسفة علوم وعلى نظرية اجتماعية⁽¹⁾.

وإنّ دراسة المنظمات أصبحت من المحاور الهامة في عدّة بحوث نفسية واجتماعية ويمكن تلخيص هذه الدراسة في ثلاثة محاور أساسية:

1. علم الاجتماع المنظمات، ويبدو جليا في إطار نظرية التنظيم البيروقراطي لكل من النظريات الماركسية، نظرية ماكس فيبر (Max weber) والاتجاه الحديث لكل من "موتون وتروزي" (Merton et Truzzi) في الدراسة البيروقراطية.

2. نظرية التنظيم التي تهتم أساسا بدراسة المنظمة الرسمية، والمشاكل المرتبطة بالتنظيم والتسيير، ويتجلى ذلك أساسا في أعمال المدرسة التaylorية.

3. أعمال مدرسة العلاقات الإنسانية والتي تعتنى أساسا بدراسة سلوك الأفراد داخل المنظمة لدى كل من "التون مايو" (Elton Mayo) و"لويد وارند" (L. Warner)، ومدرسة شيكاغو، والاتجاه التفاعلي.

ورغم تشعب مواضيع البحث وتعددتها في إطار المحاور المذكورة فإنّها تشترك في عدّة خصائص ومبادئ أهمها أنّها تتفق على تبني المدرسة الوظيفية.

عقلنة الإدارة:

تعرف الإدارة بأنّها: "عملية تنظيم وتحليل وإدارة القوى البشرية والمادية لتحقيق الأهداف والمشاريع التي أعدتها الحكومة"⁽²⁾.

واعتمدت نظرية الإدارة المرتبطة على التنظيم على فلسفة العقلانية والرشادة في العمل.

أولاً: التaylorية والإدارة العلمية

كان "فريدريك تايلور" (F. Taylor) من رجال الإنتاج والإدارة، ومن أوائل من اهتموا بتطبيق أسلوب علمي في تناول مشكلات الصناعة، فمفهوم العمل عنده يرتكز على ثلاثة محاور:

1. الاستمرار، ذلك أنّ كافة المهام يجب أن تؤدي بانتظام خلال فترة معينة من الزمن
2. الإنتاج، وهو النشاط الذي يميّز العمل عن غيره من الأنشطة الإنسانية.
3. الأجر، إذ أنّ الأفراد يمارسون العمل من أجل الحصول على مكافآت يوجهون بها حاجاتهم الاجتماعية والشخصية المختلفة.

أوضح تايلور في كتابه "مبادئ الإدارة العلمية" سنة 1911 بأنّ أسلوب التسيير والإدارة المتبع في المصانع الأمريكية والقائم على مبدأ أساسي وهو المكافأة المالية، تكون حسب المبادرة الشخصية لم يحقق الفعالية اللازمة في رفع الإنتاج، ولهذا فإنّ تسيير الإدارة والعمال حسب اعتقاد تايلور "ينبغي أن يكون وفق مبادئ علمية"⁽³⁾.

وكانت التaylorية تستهدف الاستخدام الأفضل للكائن العضوي الإنساني في التنظيمات الصناعية، من خلال تحليل التفاعل بين خصائص الأفراد والبيئة المحيطة بهم. فمن المسلّم به أنّ العامل إذا ترك وشأنه فأغلب الظن أنّه لن يصل بنفسه إلى أمثل الطرق لأداء عملية يدوية مثلاً طالما مدّة مزاولته لها. كذلك لا يجب أن يترك اختيار العمال للصدفة المحضة، بل لابد أيضاً أن تنظم هذه العملية على نحو يمكننا من وضع الشخص المناسب في المكان الذي يتلاءم وقدراته واستعداداته.

ولقد كان تايلور أول من حاول دراسة الحركات اللازمة لأداء الأعمال الصناعية وتسجيل الزمن الذي تستغرقه كل حركة منها، ثمّ تقدير الزمن الكلي اللازم لأداء الحركات المتتالية التي يتألف منها العمل.

وكان يعتقد - تايلور - أنّ الخبرة والتدريب على الحركات الصحيحة كفيلاّن بإيصال العامل من تلقاء نفسه إلى الطرق المثمرة، والحركات الصحيحة اللازمة لعمله، بل وكفيلاّن كذلك بإزالة الحركات الطائشة والداخلية المؤثرة في كفاءة العمل. وتناولت دراسة تايلور كلّ مرحلة من العمل بالملاحظة والتحليل والتجريب، أي تحليل العمل إلى حركات وعملياته الأولية التي لا يمكن تحليله إلى أبسط منها، ثمّ استبعاد الحركات الزائدة والطائشة، وتقدير الزمن اللازم لكلّ حركة من الحركات الضرورية تقديرا دقيقا، وأخيرا التآليف بين الحركات الأولية الضرورية في مجموعات تكون أنسب طريقة وأسرعها لأداء العمل وهي الطريقة المثلى الوحيدة التي يجب أن يتبعها كل عامل في أداء عمله⁽⁴⁾.

ويمكن أن نلخص التايلورية في المبادئ التالية:

- تقسيم العمل وتحديد كميا إذا أمكن، وهكذا التحديد يكون بتوزيع عمل ما على عدد من العمال لتحقيق أعلى مستوى تبسيط العمل والفعالية في الأداء.
- ينبغي أن يكون اختيار العمل قدر الإمكان مطابقا لمستلزمات ومتطلبات الأعمال التي يقومون بها، فتايلور يؤكد على عدم تعيين شخص نشيط وذكي في عمل دون مستواه ونشاطه الجسمي والذهني.
- تدريب العمال لأداء مهماتهم وفق ما تتطلبه خطط تحليل العمل، بالإضافة إلى المراقبة المباشرة بحيث لا ينبغي أن يصرفوا أي نشاط (طاقة) خارج الإطار المحدد لهم. وهذه المراقبة المباشرة إنّما تتم بواسطة المشرفين والمسيرين.

➤ المكافأة المالية اليومية للعمال كحافز مادي للعمال لتحقيق امتثالهم للأوامر والإجراءات المفصلة المتعلقة بأداء عمل ما⁽⁵⁾.

هنا أنّ التaylorية ركّزت على أربعة مفاهيم أساسية والمتمثلة في الطاقة، السرعة، التحمل، التكلفة.

وقد وجّهت عدّة انتقادات إلى المدرسة التaylorية منها:

✓ تعتبر المدرسة التaylorية تشكيلا للإطار الفلسفي قاعدته تجميد الروح الفردية وقيمتها صيغ هذه المبادئ بالطابع العلمي.

✓ وفي الحقيقة فإنّ هذه المبادئ لم توضع إلاّ لخدمة المبادئ الرأسمالية التي وجّهت بفضل إمكانياتها المادية - البحوث النفسية - الاجتماعية - لمعالجة مشاكلها المختلفة التي واجهتها في ميادين التخطيط والتنفيذ والتقييم.

✓ حلّلت العمل تحليلا ميكانيكيا واعتبرت الإنسان خاضعا للآلة، وبهذا فقد اهتمت بالعوامل الفيسيولوجية المؤثرة في أداء العمل. وقد استغل هذا النوع من التنظيم في رفع أرباب الأعمال على حساب العمال.

✓ وبالرغم من اهتمام "تaylor" بالعمال، فإنّ الاهتمام لم يتعدّد درجة صيانة العمال للبقاء "لمدّة أطول وبفعالية أكبر في دورة الإنتاج الرأسمالي.

✓ إنّ التقسيم الشبه - ذري للعمل قد أدى إلى نتائج سلبية على مستوى السلوك التنظيمي وذلك نتيجة اضطراب العمال خاصة في وحدات الإنتاج وفق العمل المتسلسل إلى تكرار حركات معينة والتي أدّت العمال بالإحساس بالملل، وبتفاهة الأشغال التي يقومون بها وبالتالي الإحساس بتفاهة مستواهم الاجتماعي.

وأدى بهذا الإحساس إلى حدوث مشاكل سلوكية عديدة منها، أخل بكمية ونوعية الإنتاج، وقد بيّنت عدّة دراسات في الولايات المتحدة الأمريكية مثلا، ارتفاع نسبة التغيب ودوران العمل وتسرب العمال والاستقالة والتذمر في أوساط العمال الذي يشتغلون وفق طريقة العمل المتسلسل في مصانع السيارات.

✓ لم تراخ المدرسة التaylorية العلاقات اللارسمية، الاتصال والتنظيم اللارسمي بين العمال أنفسهم والإدارة، فقد اهتمت هذه المدرسة بالتنظيم الهرمي للسلطة وبالالاتصال العمودي الرسمي كوسيلة لتنفيذ القرارات وتطبيق الإجراءات المتعلقة بالعمل.

فقدت المدرسة التaylorية فعاليتها في التسيير مما أدى إلى ظهور عدّة نظريات حاولت تدارك سلبات هذه المدرسة القائمة على روح الفردية وتعويضها بمبادئ لا تهمل الجوانب النفسية الاجتماعية للعامل.

تحليل وتعقيب:

قدمت الحركة العلمية في الإدارة مقترحات عديدة هدفها تحقيق المستوى الأمثل من الإنتاجية والكفاءة التنظيمية وتمثل القضايا محور الاهتمام الرئيسي في النظرية الإدارية بالتخصص، التدرج الهرمي للسلطة التنظيمية، تفويض السلطة، نطاق الضبط، وترتيب الوحدات الفرعية التي يتألف منها التنظيم، وتعقبا على ذلك:

✓ تجاهل عوامل خارجية مؤثرة عند الحديث عن الكفاية والإنتاجية مثل العمالة التنظيمية ومدى توافرها في البيئة الخارجية والقيود المفروضة من قبل تشريعات العمل واتفاقيات النقابات العمالية.

✓ تجاهل دوافع الأفراد في كل مستويات العمالة التنظيمية على افتراض أنّ العمال هم امتداد للألات، وهم مجرد أدوات منفذة للعمل المطلوب منهم وفق تعليمات مفصّلة وواضحة.

✓ تجاهل للسلطة غير الرسمية من خلال قيادات جماعات العمل غير الرسمية.

ترى هذه النظرية أنّ التنظيم نسق مغلق، ومن ثمّ فإنّ الإطار التصوري لها فيه كثير من نقاط الضعف التي تتصف بها مداخل النسق المغلق، وقد قامت حركة الإدارة العلمية على أساس الاختيار العلمي للعامل ودراسة الزمن والحركة. وقد

تبت هذه الحركة مفهوم الإنسان الاقتصادي بمعنى أن الإنسان يعمل بطريقة مطابقة للعقل من أجل تحقيق مصالحة التي تتمثل في الحصول على النقود، فالأجر هو الحافز الرئيسي الذي يحفز الإنسان على العمل⁽⁶⁾.

والملاحظ من خلال تتبع التاريخي لحركة الإدارة نلاحظ أن "تايلور" قد نجح في صياغة بعض المبادئ التي تمثل واجبات الإدارة في المصنع يمكن أن تكون بديلة عن أسلوب المحاولة والخطأ الذي شاع الاعتماد عليه خلال هذه الفترة. ومن أهم المبادئ التي نؤكددها في حركة الإدارة العلمية ثلاثة مبادئ:

1. استخدام الزمن والحركة بهدف الوصول إلى الطريقة المثلى والوحيدة لأداء العمل وهي الطريقة التي تسمح بتحقيق أعلى متوسط إنتاج يومي. والسؤال المطروح دائما هل يمكن الاعتماد على هذا المبدأ في مؤسساتنا الاقتصادية التي تعرف في غالبها مشكل ضيق الوقت وعدم كفايته!!....

بالنسبة للعملية الإنتاجية إضافة إلى عشوائية حركة العمال وعدم انتظامها مما يفسر المعدلات المنخفضة في الإنتاج وعدم الوصول إلى المعدلات والمقاييس العالمية سواء في الإنتاج أو الجودة!؟.

2. منح العمال الحوافز التشجيعية التي تدفعهم إلى أداء العمل وفقا للطريقة التي تمّ التوصل إليها بأسلوب علمي.

3. استخدام خبراء متخصصين للإشراف على الظروف المختلفة المحيطة بالعامل مثل وسائل العمل، وسرعة الآلات، وطريقة الأداء⁽⁷⁾.

وإنصافا لحركة الإدارة العلمية يلاحظ أنها اهتمت بالعقلانية وحدها، واستندت إلى فكرة تقسيم العمل، وأكدت على أهمية المكافأة الاقتصادية أو الحوافز المادية على اعتبار أنه الحوافز المثالية والوحيدة لأداء العمل.

ولتحقيق أعلى درجات من العقلانية داخل التنظيمات الاقتصادية لابد من مراعاة الجانب التنظيمي بمعنى ترتيب منسق للأعمال اللازمة لتحقيق الهدف وتحديد السلطة والمسؤولية المعهود بها للأفراد الذين سيتولون تنفيذ هذه الأعمال⁽⁸⁾.

إضافة إلى القواعد واللوائح والصلات بين الأفراد، بمعنى تجديد المسؤوليات والسلطات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف وتنظيم العلاقة بين الأفراد والقائمين بها⁽⁹⁾.

وتكمن أهمية التنظيم العقلاني داخل التنظيمات الاقتصادية في:

1. الحيلولة دون التداخل بين الأعمال ومنع التنازع في الاختصاصات والصلاحيات وه يحدد الأهداف، والمسالك التي يمكن الوصول إليها، مع العمل على توجيه الجهود وزيادة فاعلية الأفراد.
2. الاستخدام الأمثل للطاقات البشرية، وذلك بتحديد المهام لكل فرد في المنظمة.
3. سهولة الاتصال بين مختلف الإدارات والأقسام والفروع في المنظمة.
4. ارتباط السلطة (الإدارة المؤسسة) بالقانون فهو الذي يحدد حدودها ومقدارها ومن له الحق في ممارستها، مع قدرة صاحب السلطة على التأثير في الآخرين، وإقناعهم بالتصرف كونه يمثل سلطة رسمية، أو قدرات شخصية، أو كليهما معا⁽¹⁰⁾.

نظرية التكوين الإداري

جاءت هذه النظرية كفكرة متلازمة تقريبا لأفكار نظرية الإدارة العلمية، خاصة بعد أن وضع المهندس الفرنسي "هنري فايول" (H.Fayol) أسس هذه النظرية محاولا تطوير بعض أفكار الإدارة العلمية، ويركز على عدد من القضايا

والمبادئ الإدارية التي يمكن أن تعزز من تطوير المؤسسات والمنشآت الإنتاجية الصناعية والإدارية.

جاءت أفكار "فايول" (H.Fayol) ممتزجة بخبرته الواقعية، كمدير لأحد المنشآت الصناعية الكبرى والتي كانت تعمل في قطاع التعدين وذلك عام 1888، كما حرص على أن يعرض أفكاره في كتاب يعرض أفكاره في كتاب بعنوان الإدارة العامة الصناعية، والذي نشر عام 1916 وتمت ترجمته إلى الإنجليزية لأول مرة عام 1949.

ويرى كثير من محلي تطور التراث السوسيولوجي والإداري أنّ نظرية الإدارة العلمية (لتايلور) والتكوين الإداري يكمل بعضهما البعض عندما اهتمتا عموما بقضايا العمل والإدارة كالمؤسسات الإنتاجية الصناعية والفارق بين النظريتين يكمن في أنّ النظرية الأولى اهتمت بدراسة مستوى الإدارة المباشرة حيث وجّه أبحاثه لدراسة أقل المستويات الإدارية، والتنفيذية في المصنع ثمّ تدرج إلى أعلى المستويات في حين النظرية الثانية "فايول" (H.Fayol) ركّزت على دراسة الإدارة العليا والاهتمام بالمدير الإداري والإدارة التنفيذية ثم تدرّج من القمة إلى أسفل المستويات الإدارية والتنفيذية الدنيا.

ومن أبرز الإسهامات التي تنتمي إلى أفكار "فايول"، أنّه سعى لتحليل جميع ظاهر النشاط الواقعي داخل التنظيمات والمؤسسات الصناعية، ويمكن تصنيفها إلى ست مجموعات رئيسية وهي:

- ✓ الأعمال الفنية.
- ✓ الأعمال التجارية.
- ✓ الأعمال المالية.
- ✓ الأعمال الأمن أو الضمان.
- ✓ الأعمال المحاسبة.
- ✓ الأعمال الإدارية.

كما حاول علماء الاجتماع التنظيمي الاستفادة من آراء "فايول"، عند دراستهم للتنظيمات والمؤسسات الإدارية والصناعية، وذلك عن طريق تحليل كتابه حول الإدارة العامة الصناعية وقسمت أفكاره إلى ثلاث أفكار وملاحظات أساسية وهي (11).

أولاً: القيم الإدارية

ركّز "فايول" (H.Fayol) على وجود عدد من القيم الإدارية العقلانية التي يجب توافرها لدى العاملين داخل المؤسسات والتنظيمات الإدارية والصناعية وتتمثل في قيم طبيعية أو بدنية، مثل الصحة، القوة والشكل العام، وقيم عقلية، وتشمل القدرة على الفهم والدراسة والتحليل والحكم على الأشياء، وقيم أخلاقية، وتتمثل في النشاط والحيوية، والعزيمة وتحمل المسؤولية والتحلي بالأخلاق والمثل والمبادئ كما أشار أيضاً إلى أهمية توافر قيم أخرى تعزز من عمليات الابتكار والتجديد والاطلاع المستمر لتوفير المعلومات حول نوعية المهام المستندة إلى العمال مهما كان وضعه الوظيفي أو المهني بها.

أعطى "فايول" أهمية كبرى للخبرة العملية، وقدرات العامل الفنية والتي تماثل نفس النسبة والأهمية للقدرة الإدارية لدى فئة المديرين أو أصحاب السلطة العليا، كما حرص وأكد على أن كلاً من العامل والمدير يحتاجان بصورة مستمرة لتعزيز هذه القدرات سواء أكانت فنية أم إدارية، وذلك عن طريق ما يعرف بالتعليم المستمر للوسائل الفنية والإدارية.

ثانياً: المبادئ العامة للإدارة

أكد "فايول" على وجود عدد من المبادئ العامة للإدارة التي توجد في المؤسسات والمنشآت أيا كان نشاطها في المجتمع، كما أنّ هذه المبادئ لا يمكن أن تتسم بالجمود ولكنها تتسم بالمرونة التي يمكن تحديثها، حسب حالة المؤسسات أو المنشآت ذاتها، ومن أهم هذه المبادئ:

✓ تقسيم العمل: ويقوم هذا المبدأ حسب زيادة التخصص.

- ✓ السلطة والمسؤولية: ويقصد بالسلطة هنا السلطة الرسمية، التي تمد المديرين بالقوة الرسمية والتنفيذية وتحمل المسؤولية العامة.
- ✓ النظام: ويشكل ذلك احترام القواعد والنظم واللوائح والعمل على إطاعة الأوامر الرسمية وتطبيق الجزاءات.
- ✓ وحدة الأمر: تلقي الأمر من الرئيس المباشر.
- ✓ وحدة التوجيه: لا بد وأن ترتبط الأنشطة عامة بخطة واحدة ونحو تحقيق هدف محدد، ويطبق على جميع الأقسام الداخلية والخارجية.
- ✓ الخضوع: ويقصد بهذا المبدأ، أنّ الفرد ومصالحه الفردية والشخصية يجب أن توجّه لخدمة الصالح العام، ويجب على الإدارة التوفيق بين المصالح الفردية والعامّة في حالة وجود تعارض بينهما.
- ✓ المكافأة: لا بد من توافر هذا المبدأ كعنصر عادل وأساسي للقيام بالأعمال والمهام التي توجّه للأفراد من قبل الإدارة.
- ✓ المركزية: يجب تركيز السلطة بصورة مركزية حتّى يتمّ تنفيذ الأفعال والأوامر، وذلك حسب الظروف الواقعية وتحقيق الأهداف العامة.
- ✓ تدرّج السلطة: (أول تسلسل السلطة)، وخاصة من المستويات العليا إلى الدنيا ويجب الالتزام به عند تحديد العلاقة المهنية والإدارية بين الرؤساء والمرؤوسين.
- ✓ الترتيب (النظام): يقصد بهذا المبدأ تحديد أماكن محدّدة لعمل الأفراد، ووضع الأشياء المادية وترتيبها حتى يسهل الاتصال بهم أو الحصول عليها بسرعة.
- ✓ المساواة: تنطلق العلاقة بين المرؤوسين والرؤساء عن طريق مبدأ المساواة وعلى أساس الاختلاف في العمل والقيام بتنفيذ المهام بصورة محددة ودقيقة.

✓ ثبات الأفراد: ضرورة ثبات الأفراد في أماكن أعمالهم بقدر الإمكان
لعامل الخبرة والتخصص والتدريب وقلة التكاليف.

✓ الابتكار (Initiative): يجب أن تتسم كل من خصائص الفردية للعاملين
أو الإدارية بروح الابتكار وذلك من أجل وضع الخطط والأهداف
وتنفيذها بصورة عامة.

✓ روح التعاون: أكد هذا المبدأ على أهمية وجود عنصر التعاون والتنسيق
بين الأفراد بروح الجماعة أو فريق العمل وزيادة عناصر الاتصال بينهم.
ثالثا: عناصر الإدارة:

ركّز "فاويل" على أهمية الإدارة وحدّد مجموعة عقلانية من وظائف الإدارة
مثل التخطيط، التنظيم، إصدار الأوامر والتنسيق والرقابة والضغط والسياسة
والتحكم، إضافة لهذا أكد على أهمية التنبؤ التي يجب أن يتصف بها المسؤول ولا
سيما عند وضع ورسم السياسات والخطط.

كما أكد على أهمية وجود العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات
العاملة بالمشروعات، مع حسن اختيار وتدريب العمال والمرؤوسين والعمل على
تنفيذ وظيفة التنظيم التي تشمل على تنظيم الموارد، وتشمل القوى العاملة ورأس
المال والمواد اللازمة للإنتاج مثل المواد الخام والطاقة وغيرها.

كما ركّز على البناء التنظيمي للمنظمة والمركزية وتقسيم العمل
والتخصص⁽¹²⁾.

يمكن أن نسجّل عدّة ملاحظات فيما يخص نظرية "فاويل" حول التنظيم الإداري:

✓ يمكن اعتبار النظرية صالحة من حيث الطرح والتصوير رغم المسافة الزمنية
التي تفصلنا بها، وهي جدّ متوافقة مع النظريات التنظيمية الحديثة.

✓ تعتبر أفكار "فاويل" الإدارية نقطة الانطلاق لكثير من الأطروحات حول
النماذج التسييرية الحديثة.

✓ غالبية المنظرين في الحقل التنظيمي أخذوا المبادئ الأساسية لفايول وطورها سواء الفرنسيين أو الأمريكيين.

✓ تعتبر المبادئ 14 لفايول مبادئ تتسم بالعقلانية والمنطق خصوصا إذا طوّرت وأثريت لتكون صالحة للواقع التنظيمي التي تعيشه كثير من مؤسساتنا الإدارية والاقتصادية.

ركّز كثير من العلماء على نظرية "فايول" فطوّروها أمثال "روينسون" (Rebenson). و"موني" (Monney) و"رايلي" (Raily) و"براون" (Brawn) و"لورفيك" (Urwick) و"جوليك" (Gulick) وغيرهم آخرون الذين عملوا على تقديم عدد من المبادئ والأفكار العامة التي يمكن أن يستعين بها كل مدير في إقامة نوع من البناءات الرسمية، والعمل على إدارة المؤسسات أو التنظيمات وذلك عن طريق اتباع القواعد العقلانية الرشيدة التي قد حدها صاحب التنظيم البيروقراطي وهو "ماكس فيبر" (Max Weber).

كما ركّز أصحاب هذا الاتجاه على ضرورة أن يهتم المدير بعد ذلك بتحديد مجموعة من القواعد أو البناءات الرسمية التي يتمّ اتباعها داخل المؤسسات التنظيمية. خاصة وأنّ هذه البناءات تقوم من أجل تحقيق عدد من الأهداف العامة، الأمر الذي يتطلب تحديد الوظائف الرئيسية داخل المؤسسات وفي جميع الأنشطة الإدارية والفنية، إنجاز المهام والأعمال التي تصنف ضمن إطار هذه الوظائف أو تندرج تحت مسؤولية من يقومون بها، كما لا يقوم المديرون بالوظائف العليا الرسمية فحسب بل يهتمون بعمليات التنسيق للأنشطة الفعلية.

مما جعل صفة أصحاب هذا الاتجاه هي اعتبار الإدارة عملية (Processus) تنفذ بواسطة التنسيق بين مجموعة الأعمال التي تؤديها كافة التخصصات داخل التنظيمات.

مدرسة العلاقات الإنسانية وعقلنة السلوك التنظيمي:

عانت المؤسسات الصناعية المسيرة وفق المبادئ التaylorية في الولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من عدّة مشاكل تنظيمية وسلوكية، كالعجز عن الإنتاج وتحسينه، وعدم ضمان ولاء العمال، إضافة إلى الغيابات والإضرابات... لذا جاءت مدرسة العلاقات الإنسانية، ببعض المبادئ النظرية والتقنيات للتغلب على المشاكل التي واجهت المؤسسة الرأسمالية المسيرة وفق المبادئ التaylorية، وبالرغم من الطابع الإنساني الذي اكتسبته هذه المدرسة، فإنها لا تخرج عن الإطار الرأسمالي العام.

يقصد مصطلح العلاقات الإنسانية ذلك الاتجاه المحدد في الدراسة التي يعالج موضوعاته من منظور التعقل والرشد، بل يؤكد الجوانب السلوكية والجماعية، فينظر إلى الفرد لا بوصفه عضواً في التنظيم العقلي الرشيد فحسب، بل باعتباره ينتمي إلى جماعات اجتماعية. ظهرت في موقف العمل تلقائياً، لها قيمتها، ومعاييرها الخاصة، فضلاً عن ارتباطاته المتعددة، بجماعات أخرى خارج نطاق العمل مثل الأسرة، جماعة الجوار والطبقة الاجتماعية وهذه الجماعات كلها تأثير قوي في تحديد اتجاهاته نحو موقف العمل.

ولهذا فإنّ الدراسات التي جاء بها "التون مايو" (E. Mayo) قدّمت أدلة كافية على أنّ المصنع يؤلف نسقاً اجتماعياً تمارس فيه الجماعات غير الرسمية دوراً حيويّاً. ويجب أن ينظر إلى العامل باعتباره كائناً إنسانياً اجتماعياً لخص حاجاته ورغباته واتجاهاته ومشاعره وانتماءاته الاجتماعية التي تؤثر في أدائه لعمله، واستخدام المدرسة مفاهيم رئيسية كانت هي الأدوات التصورية التي استعانت بها في دراسة السلوك الاجتماعي الواقعي للتنظيمات.

فقد قام "مايو" وجماعته (1927 - 1932) بتجارب حول الإضاءة وتأثيرها على الإنتاجية، ولهذا الغرض كوّن مجموعتين، الأولى مجموعة تجريبية والثانية مجموعة شاهدة، وبعد أن أنقص في الإضاءة على الأولى لاحظ ارتفاع

الإنتاج في المجموعتين، وقام بتجربة على الثانية بعد إدخال عدّة متغيرات تحفيزية كالأجر، الاستراحة، التوقيت، وقد لاحظ أنّ أيّ تغيير في إحدى المتغيرات يؤدي إلى ارتفاع الإنتاجية، ومن هنا يمكن أن نستنتج أنّ المعنويات الجيدة للعمال هي نتيجة للعلاقات التي تورطت مع مسؤوليتهم، هذه التجارب أجريت في مصانع "هاوثورن" التابعة لشركة ويسترن اليكتريك الأمريكية (Western Electric) فبدأت هذه الدراسات من أجل استكشاف العلاقة بين ظروف العمل الفيزيائية والإنتاجية، ثم اتسعت بحيث أصبحت دراسات تتناول جماعات العمل من حيث البناء والروح المعنوية، والقيم والاتجاهات والمعايير الدافعية.

تأتي أهمية "هاوثورن" كمنطلق ومصدر أساسي لمدرسة العلاقات الإنسانية خاصة ونظرية التنظيم عامة للاعتبارات التالية⁽¹³⁾.

1. تعتبر دراسة "هاوثورن" (Hawthorne) أولى الدراسات التي تمّ إجراؤها على بيئة تنظيمية.
2. يعود الفضل إلى دراسات "هاوثورن" في اكتشاف جماعة العمل داخل التنظيم الصناعي.
3. تقديم تصور جديد للمصنع كتنظيم اجتماعي على عكس نظرية "تايلور" (Taylor). وهذا واضح في كتابات "ديكسون"⁽¹⁴⁾ (W. Dickson) و "روثلز برجر" (Roethlis Berger) و"التون مايو"⁽¹⁵⁾ (E. Mayo)، وقد تضمن المؤلفان نتائج تجارب "هاوثورن"، والرؤية المتطورة للنظرية الاجتماعية.

أسفرت نتائج تلك الدراسات عن وجود فجوة كبيرة بين العمال والإدارة وما يحدث من جراء تلك الانعزالية من مشكلات في الاتصالات الرأسية (الأعلى والأسفل) عبر التدرّج الهرمي للمستويات التنظيمية.

تحليل وتعقيب:

كشفت دراسات "هورثون" (Hawthorne) أنّ العمال لا يقدمون على العمل تدفعهم الرغبة الملحة في الحصول على المزيد من المال فقط، وإنما تتحدد اتجاهاتهم وسلوكياتهم وإنتاجياتهم عن طريق العلاقات الاجتماعية المتبادلة بينهم. كما كشفت الآراء السابقة لكل من "التون مايو" (E. Mayo) وفريق بحث جامعة "هافارد" عن مدى التغييرات التي طرأت على دراسة المؤسسة والتنظيمات الصناعية، والاهتمام عموماً بالعلاقات الإنسانية داخل المؤسسة كمنطلق عقلائي، وعلى إثر ذلك تطورت دراسات مدرسة العلاقات الإنسانية، وبالتحديد خلال عام 1954 عندما شكّلت لجنة علمية بقيادة "لويد وارنر" (L. Warner) بجامعة شيكاغو (Chicago) وضمت كل من "جاردنر" (Gardner) و"دافيز" (Davis) و"هربسون" (Harbison) و"هوجيز" (Hoges) و"فوت وايت" (W.F Whyte) لتشكيل هيئة متخصصة للبحوث الصناعية بالجامعة المذكورة.

اهتمت بدراسة العلاقات الإنسانية خارج المؤسسات الصناعية، بل ركّزت في اتجاهها عن العلاقات الاجتماعية سواء للأفراد أو الجماعات أو أيضاً علاقة المؤسسة أو المصنع ككل بالمجتمع المحلي، ومدى التأثير المتبادل بينهما. وقد استعمل "وارنر" (Warner) وفرقته مصطلحات سوسيولوجية في أبحاثهم مثل الدور، المكانة والثقافة عند تحليل البناء الاجتماعي للمصنع والبيئة الخارجية، ويظهر هذا في دراسة "وارنر" (Warner) على "اليانكي سيتي" (Yankee city) ودراسته لمصانع الأحذية، ومحاولته عموماً لمعرفة العلاقة المتبادلة بين المصنع، والمجتمع المحلي، ولاسيما بعد أن زاد حجم المصنع وتوسع في أقسامه الإنتاجية، وحدوث مجموعة من التغييرات التي لم تكن قد شهدتها هذه المدينة (اليانكي Yankee) قبل ظهور هذه المصانع بصورة عامة، ومن أبرز العوامل الخارجية التي سعى "وارنر" لتحليلها بصورة ميدانية وهو عامل التكنولوجيا الذي تمّ تطبيقه في

مصانع الأحذية وتغيره عن النمط التقليدي لهذه المصانع خصوصا بعد إدخال الآلات والمعدات الحديثة في هذه الصناعة.

ومن أهم أوجه النقد التي وجهت إلى مدخل العلاقات الإنسانية التحيز ضد النزعة الفردية وضد المعقولية أو الرشد (العقلانية).

النظرية البيروقراطية ودراسة التنظيمات الصناعية:

أجرى "فيبر" (Weber) الكثير من الدراسات الميدانية في المجتمع الألماني على الكثير من المؤسسات والتنظيمات الاقتصادية والصناعية وذلك في إطار تأسيسه المؤسسة السياسية الاجتماعية التي تمّ إنشاؤها في ضوء التوجهات السياسية للدولة الألمانية، نحو أهمية الجامعات ومراكز البحث العلمي في دراسته المشكلات الصناعية والإنتاجية، وحرص "فيبر" (Weber) في هذه الدراسات على اختبار تصورات النظرية حول البيروقراطية، كما استخدم الكثير من مناهج البحث وطق وأساليب جمع البيانات.

أولا: النموذج المثالي للتنظيمات البيروقراطية

يعتبر النموذج المثالي نموذجا تنظيميا دقيقا له علاقات تاريخية بالأحداث التي تحيط بنا، وله كذلك صلة وثيقة بكل من مجتمعنا وعالمنا، وكما يتضح ذلك من العملية العقلانية حيث يعتبر بناء النموذج المثالي، محاولة للتعبير عن كل النظم العلمية، التي تتقدم بطريقة عقلانية داخل النموذج نفسه.

يتميز مصطلح النموذج المثالي (العقلاني) للبيروقراطية لدى "فيبر" (Weber) كنوع من التنظيم التسلسلي، والبعد العقلاني يتضمن قطاعات كبيرة وخاصة في المجالات الإدارية الكبرى. أما استعمال هذا المفهوم ليميز به نوعا معينا من البناء وبصفة خاصة التنظيم العقلاني، لمعرفة العناصر البعيدة عن الكفاءة والفعالية، ولرفضه للتحريفات الشائعة عن البيروقراطية التي ظهرت في العديد من الكتابات المختلفة.

وجاء تمييز "فيبر" (Weber) لمفهوم البيروقراطية باعتبار أفضل نظام تحت حكم القانون، والتي تعمل على حلّ المشكلات بصورة أفضل⁽¹⁶⁾.

وقد تعرّض "فيبر" (Weber) للعناصر التي يتميّز بها النموذج المثالي للبيروقراطية كما يلي:

يرتبط التنظيم بالقواعد الوظيفية وبمستوى من الكفاءة الإدارية، كما يقوم على مبدأ تقسيم العمل. حيث يخضع كل عضو من أعضاء التنظيم إداريا ووظيفيا للفرد الذي يعلوه ويفوقه في المرتبة الوظيفية وهذا التسلسل يأخذ طابعا أو شكلا هرميا، والقواعد والإجراءات الوظيفية تقوم على أسلوب رتيب خاص.

ويوضّح "فيبر" (Weber) بعض العناصر التي تحدد وضع علاقة الموظف سواء بينه وبين الأعضاء أنفسهم أو بينه وبين التنظيم ككل وهذه العناصر نوجزها فيما يلي:

1. يكون فرد في حرية شخصية، ولكن امثاله واحترامه للسلطة يكون طبقا للقواعد اللاشخصية.

2. علاقة التنظيم بالفرد واضحة، محددة المعالم وحسب التسلسل الداخلي للتنظيم، كما أنّ وضع الفرد مرتبط حسب المكانة الوظيفية والإدارية التي يشغلها.

3. كل موظف أو فرد له قدر معين من الكفاءة الإدارية والاقتدار⁽¹⁷⁾.

4. يكون الموظف بعيدا عن التعاقد الشخصي والعلاقات الشخصية داخل العمل غير موجودة.

5. الموظف يعامل كفرد.

6. يختار الموظفين حسب أسس تصنيفية مميزة مثل إجراء اختبار مميز أو الحصول على شهادات أو خبرة فنية أو كليهما.

7. كلّ موظف يتقاضى راتباً محدداً، حسب مقدرته وكفاءته وإنجازته ووضعته الإداري الداخلي في التنظيم وليس على أساس مكانته الاجتماعية، والملاحظ على ما جاء في إنكار "فيبر" (Weber) بأنّ التنظيم البيروقراطي يتميّز عن بقية أشكال التنظيم الأخرى البطولية (الكاريزماتية) والتقليدية بالفوق من الناحية التقنية. فقد درس "فيبر" (Weber) نماذج التنظيم المختلفة التي عاشتها أوروبا، مستخلصاً ثلاثة نماذج مختلفة لأشكال التنظيم، ويرجع "فيبر" (Weber) هذا الاختلاف بين هذه النماذج الثلاثة إلى الاختلاف الجوهرى الموجود بين كل نموذج وآخر على مستوى الأسس الشرعية لكل نموذج.

8. والنموذج البيروقراطي للتنظيم على أنّه الأكثر عقلانية، والذي يؤدي إلى زيادة الكفاية الإنتاجية، نظراً لاعتماده على الموضوعية وتغليب اعتبارات الخبرة والكفاية على الاعتبارات الشخصية⁽¹⁸⁾.

كما أنّه كلما كان التمسك بالتنظيم والقواعد الإدارية الرشيدة كلما نقصت العشوائية، والأخطاء لأنّ النموذج المثالي يستمد السلطة من العقلانية وهذا يظهر في المبادئ التالية:

1. الاعتماد على مجموعة من القواعد المجردة في تنظيم العلاقات بين المشرفين والمنفذين والرؤساء والمرؤوسين وهذه القواعد المجردة لا تقوم على أي أساس شخصي ذاتي.

2. والمتخصص في منشأتنا ومؤسساتنا الاقتصادية يلاحظ أنّها تتخبط في تدهور العلاقات بين المشرفين والمنفذين واشتداد الصراعات والتوترات لأنّ الأصل في العمل كان مبني على اعتبارات شخصية تفاضلية ومبني على تفريق العمال لا على أساس مهني، أو الخبرة أو الكفاءة بل على أسس شخصية، مما انعكس على التسيير والتنظيم العام للمؤسسة الاقتصادية.

3. وضع هيكل نظامي يحدد الوظائف والمراكز وفق تسلسل هرمي بحيث يضمن هذا الهيكل عملية المراقبة.

4. التوظيف والترقية حسب الكفاءة التي يظهرها الأفراد في وظائفهم، وليس بحسب المحاباة أو القرابة وغير ذلك من العوامل اللاموضوعية.

5. في هذه النقطة تعرف مؤسساتنا الاقتصادية كفاءة وتميزا في مسألة الترقية والتوظيف، فالكل يبحث عن وسائل وعلاقات شخصية حتى وإن كان يحمل شهادات جامعية فإن ذلك لا يكفي بل لابد من شهادات أخرى اسمها العلاقات الشخصية، المحاباة... الخ.

ومن أجل نجاح المؤسسة الاقتصادية يجب أن تتميز بالخصائص التالية:

1. التسلسل أو التدرج المرتبي.
2. التخصص الدقيق وتقنين الأدوار.
3. الاختيار العقلاني للأشخاص.
4. فصل الملكية عن التسيير.
5. الخضوع لنظام دقيق من الانضباط والرقابة القانونيين.
6. وجود القواعد والإجراءات غير الشخصية، وبالتالي وجود المكاتب.
7. وحدة الإشراف ومركزية القرارات⁽¹⁹⁾.
8. الجزاء حسب الاستحقاق.
9. المكتبية (استقلال المكتب أو المركز عن الشخص الذي يشغله).

النظرية البيروقراطية عند فيبر (Weber)

تعتبر البيروقراطية حسب "فيبر" (Weber) وصف لتنظيم الجهاز الإداري للمنظمة، وكيف يؤثر على أداء وسلوك العاملين، فهي سلطة المكتب المستمدة من التعليمات والأوامر والإجراءات التي يتضمنها التنظيم الرسمي، وتعتبر البيروقراطية النموذج المثالي للتنظيم والذي يقوم على مبدأ التقسيم الإداري والعمل المكتبي، وتهدف البيروقراطية إلى إلغاء الطابع الشخصي من حيث توزيع الأعمال أو وسائل أداء العمل وتقييم الأداء. ولتسهيل ذلك لابد من وجود لوائح ونظم وقواعد تحكم عملية التقسيم الإداري، وتحديد الخطوط الفاصلة بين مختلف الوظائف ضمنا لعدم حدوث ازدواجية في العمل أو تضارب بين وحدات العمل، ولابد من وجود مسارات محددة للاتصال الرسمي يتمّ تحديدها من قبل الإدارة العليا، وبذلك يمكن الحد من المؤثرات الشخصية على مشاغل الوظيفة⁽²⁰⁾.

في نظرية المنظمات لدى "فيبر" (Weber) تتضمن دائما علاقات للسلطة تمنح بعض الأفراد حق إصدار الأوامر إلى الآخرين داخل التنظيم يزدودوا بنوع من السلطة والنفوذ. وقد ميّز "فيبر" (Weber) بين ثلاثة نماذج للسلطة يستند كل منها إلى نوع معيّن من العقلانية وهذه النماذج هي كما يلي:

1. السلطة الكارزمية (الملهمة): وتستمد شرعيتها ومنطقها من خصائص وقدرات استثنائية شخصية للقائد، وهذه الخصائص المهمة تعطي القائد حق القيادة والسيطرة وقوة التأثير على الأتباع.
2. السلطة التقليدية: وتستند في شرعيتها إلى القيم والعادات والتقاليد، ونفوذ القائد هنا، وقوة تأثيره يستمد من خلال الحق المكتسب الموروث وقبول وولاء الأتباع له.

3. السلطة القانونية: يستمد القائد نفوذه بحكم القانون والنظام، وهذا النوع هو المفضل في التنظيمات والمجتمعات الحديثة والأكثر عقلانية، حيث يمارس القائد سلطته من خلال نظام وقواعد ترتبط بالمركز الوظيفي الذي يشغله الفرد في وقت معين، وقد يتولى القائد هذه الوظيفة عن طريق التعيين بموجب القوانين والأنظمة أو الانتخاب⁽²¹⁾.

لقد كان مقال "ميركون" نقطة انطلاق لعدد من الدراسات التي قامت بفحص المشكلة على المستوى الواقعي نذكر منها على سبيل المثال ما ذهب إليه ألفن جولدنر (A. Gouldner) من أن الخصائص المميزة للتنظيمات البيروقراطية لا يمكن أن تكون خصائص عقلية فقط، بل إن هناك جوانب تستحق الاهتمام وتبدو واضحة في كافة التنظيمات، مثل الحاجة إلى الانتماء والولاء، والتناقضات بين الأهداف العامة والخاصة، وهذه سمات تشترك فيها التنظيمات مع غيرها من الجماعات الاجتماعية⁽²²⁾.

ظهرت ثلاثة اتجاهات أو مستويات للتحليل فيما يخص الاتجاهات الحديثة

وهي:

الأول: يمثل اهتمام بعض الباحثين بتفسير السلوك الفردي داخل التنظيمات، وينظر هذا الاتجاه للتنظيم باعتباره البيئة التي تشكل سلوك الأفراد على نحو معين، ويحاول الباحث أن يدرس علاقة التنظيم ببعض المتغيرات الاجتماعية النفسية التي تظهر في سلوك الأفراد، وهذا هو المنظور السلوكي، الذي تمثله أعمال "مارش" (J.Marsh) و"سيمون" (H.Simon) و"وليام فوت وايت" (WF.Whyte).

أما المستوى الثاني:، فيركز على الوحدات البنائية والعمليات الاجتماعية داخل المنظمات، وقد يختار الباحث عند هذا المستوى جماعات العمل أو بعض

أقسام التنظيم الفرعية أو السلطة، أو التخصص، أو الاتصال أو التسلسل أو غير ذلك من أبعاد التنظيم.

أما المستوى الثالث: فيتناول فيه الباحث دراسة التنظيم ككل، فيعتبره وحدة تدخل في نسق أوسع من العلاقات، ويهتم بتحليل أثر البيئة النظامية الثقافية في بنائه، مثلما فعل كل من ليبست" و"ترو" و"كولمان" (1956) في دراسة لهم إلى أن "الحقيقة التي مؤداها أن دراستنا قد اشتملت على عينة مختارة من أعضاء التنظيم النقابي، وأن جانباً من التحليل قد تناول السلوك الفردي، لا يجب أن تبعدنا عن جوهر المسألة ذلك أن يؤرّة التحليل ليست هي الفرد" ولكنها التنظيم بأكمله.

يرى "روبرت ميتشل" (R. Mitchel) أن رجال النخبة ينسقون فيما بينهم وخاصة أنهم يسلكون المعلومات والملفات المتعلقة بكل شيء وينفردون باتخاذ القرارات الهامة في المستويات الإدارية العليا فقط، وهكذا يستطيع قائد النخبة الذي يستقر في مركز القوة أن يستخدم جميع الوسائل والإمكانات المتوفرة لديه للقضاء على أية محاولة تظهر منافسته أو التمرد عليه.

ونظرية "روبرت ميتشل" (R. Mitchel) متقاربة جداً من نظرية "برونو ريزي" (Bruno Rizzi) الذي اعتبر أن البيروقراطية هي الطبقة المسيطرة والمتحكمة في مصير الجميع، سواء في الدول الغربية أم الشرقية هي المسيطرة والاستبداد في استغلال البروليتاريا باسم الدولة والاستلاء على وسائل الإنتاج.

أما عند الكاتب الفرنسي "ميتشل كروزبي" (Crozier.M) فإن البيروقراطية أو الجهاز البيروقراطي أصبح يقوم على أساس الثقة المتبادلة بين كبار المسؤولين في الدولة وبين الموظفين الذين يتمّ توظيفهم لتقديم خدمات للشعب وليس على أساس الكفاءة والجدارة في العمل.

ثم إن كثرة المطالب الاجتماعية وتنوعها قد دفع بالبيروقراطيين أن يتفاوضوا مع الأفراد والجماعات الضاغطة المعنية بأية قضية.

وخلال عمليات التفاوض يحرص البيروقراطيون على إرضاء الجماعات الضاغطة والأفراد الذين يتعاملون مع الجهاز البيروقراطي بكثرة بحيث إنّ القرارات النهائية تتخذ بصفة فردية وتكون النتيجة أنّ البيروقراطية تسيطر على الموقف والتحكم في عباد الله ويستتب الأمن والاستقرار بالبلاد⁽²³⁾.

تمتاز نظرية "كروزي" بتحليل هائل لانشغالات البيروقراطية ورغبة أعضاء الجهاز البيروقراطي لمهادنة الجماعات المهنية والأحزاب السياسية ورجال الأعمال الذين ينسقون مع كبار الموظفين في الدولة ويتوسطون لدى رؤساء البيروقراطيين لمنحهم مكافآت وترقيات والانتقال إلى مناصب رفيعة. ولهذا فالبيروقراطيون لا يشغلون أنفسهم بالقضايا التي تهم المجتمع ككل بقدر ما يهتمون بالقضايا التي تخدم مصالحهم الذاتية ومصالح الجهاز البيروقراطي نفسه.

ويعتقد "كروزي" بأنّ نفوذ الدولة واحتكارها للسلطة، هو في الحقيقة امتداد لنفوذ البيروقراطية، ومثيلاتها من الجماعات المهنية والنقابية والثقافية التي تسيطر على قطاعات معينة، فالخبير البيروقراطي يفرض نفسه في ميدان اختصاصه، والصحافي يحتكر ميدان اختصاصه لنفسه، ويؤثر في الأمور حسب أهوائه، والنقابي يعتبر نفسه هو الوحيد الذي يعرف مطالب الحركة العمالية، وتتلخص وجهة نظر "كروزي" أنّ مصالح البيروقراطية هو الاعتماد على القوانين والقرارات والمراسيم للتغلب على المشاكل في وقت معيّن، وبمرور الزمن تصبح تلك القوانين لا معنى لها بعد أن تغيّر الوقت وتغيّرت الأوضاع. كما أنّ الأفراد يتحايلون على القوانين ويستغلون منها ما يخدم مصالحهم.

ويتجاهلون كلّ الإجراءات التي لا تخدم مصالحهم وبقدر ما تحاول الحكومات فرض قوانينها على المواطنين، وتضييق على الأفراد المتلاعبين بثروات الشعوب بقدر ما تنشط السوق السوداء والمزايدات بشأن الحصول على الأشياء المحظورة، ولهذا فإنّ الحلّ الأساسي يكمن في نشر المعرفة وتعميمها، وتكوين الذين يعملون بوح جماعية وبأسلوب بسيط، بحيث يمكن الاستغناء عن المستهترين الذين

يحتكرون العلم والمعرفة، ويتحكمون في مصير الشعوب باسم الشرعية، والتخصص والدفاع عن النقابات المهنية.

الخاتمة

لفهم ميكانزمات عملية تسيير المنظمة وما تعلق بها من أدوار قيادية وفق إستراتيجيات تعمل وفق رؤية وخطة، تنطلق من خلفية علمية وعقلانية تمس البعد البشري، والتنظيمي لايتأتى فهمه إلا من خلال جملة من النظريات العلمية السالف ذكرها .

فالبعد التنظيري للمدارس السوسولوجية بدء بالمدارس الكلاسيكية وصولا إلى المدارس الحديثة، أجمعت أن العنصر الأساسي في العملية التنموية وهو الإنسان، أو ما نسميه بالموارد البشري، والذي يعتبر الحلقة الأساسية في التنظيم والتسيير، وهذا ما ركزت عليه مدرسة العلاقات الإنسانية والنظرية البيروقراطية ونظرية ميشال كروزبي، وكل هذه النظريات عملت على إرساء البعد العقلاني في التسيير والبعد العلمي في التنظيم وهذا ما تأكد في ثنايا هذا المقال .

❖ هوامش البحث

- (1) مصطفى عشوي: أسس علم النفس الصناعي التنظيمي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992، ص 45.
- (2) عمار بوحوش: الانجازات الحديثة في علم الإدارة، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص17.
- (3) مصطفى عشوي: مرجع سبق ذكره، ص73.
- (4) Durant (C) : Le travail enchainée ,ed le seuil, Paris, 1978, p47 .
- (5) مصطفى عشوي: مرجع سبق ذكره، ص 74.
- (6) Etzioni (A: Modern organisation, N.Y : England chefs, prentice halb, 1964,p21.
- (7) محمد علي محمد: علم الاجتماع التنظيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 139.
- (8) Terry George, **Principales of management**, C F H ed (home wood richard) D.Trwin, inc, N.Y 1992, p239.
- (9) محمد مختار عثمان: مبادئ علم الإدارة، ليبيا، جامعة قار يونس، 1991، ص110.
- (10) محمد قريوتي، مهدي زويلف: المفاهيم الحديثة في الإدارة، عمان، المطابع المركزية، الطبعة الثالثة، 1993، ص166.
- (11) علي عبد الله محمد عبد الرحمان: علم الاجتماع الصناعي، النشأة والتطورات الحديثة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1999 ص ص90-91.
- (12) مهدي زويلف:إدارة المنظمة نظريات وسلوك، المكتبة الإدارية، الأردن، 1996، ص46.
- (13) اعتماد محمد علام، دراسات في علم الاجتماع التنظيمي، مرجع سبق ذكره، ص91.

- (14) Roethlis (J.F) and Dickson (J.W) : **Management and the worker** Cambridge Mars. Harvard university press 1959, p20.
- (15) Mayo. (E) : **Human problems of industrial civilisation**, New York the king Press ,p241.
- (16) Bendix (T) : Bureaucracy : **International encyclopaedia of social sciences**, vol (1-2), N.Y, the Macmillan press, 1972, p206.
- (17) عبد الله محمد عبد الرحمان: مرجع سبق ذكره، ص 150.
- (18) محمد رفيق الطيب: مدخل للتسيير، أساسيات، وظائف، تقنيات، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 64.
- (19) مصطفى عشوي : مرجع سبق ذكره، ، ص 70.
- (20) Garry Dessler, **Organisation theory** : Integrating structure and behaviour, (Englewood cliffs : prentice, Hall, tnc, 1986, p30.
- (21) Mouzels, (N.P) **Organisation and bureaucracy**,an Analysis of modern theory (Chicago, Aldine, 1989), p15.
- (22) Gouldner (A) :" **Organizational Analysis**" In Merton et. AL, Sociology today : Problem and prospects. (N.Y, Basic books, in publication, 1959 p.406.
- (23) Crozier (M), **On ne change pas la société par decret**, Paris Grasset. 1979, p20.

مفهوم التنمية في فكر مالك بن نبي

الأستاذ: العابد ميهوب

كلية الآداب و اللغات و العلوم الاجتماعية و الانسانية،

قسم العلوم الإجتماعية ، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر

الملخص :

تعتبر التنمية عملية تغيير شاملة، فهي موجهة و معقدة، و تضم كافة جوانب الحياة بكل تعقيداتها و تراكماتها، كما تستهدف إحداث تغيرات بنائية و وظيفية في المجتمع، و لتحقيق أكبر قدر من الرفاهية للإنسان . لذا فقد اهتم الكثير من المفكرين في تقديم مقاربات و نظريات و تصورات و تحليلها بغية الكشف عن آليات التغير و أساليب التنمية. و الدراسة هي محاولة لتقديم رأى و تصور المفكر الجزائري (مالك بن نبي) حول موضوع التنمية، الذي قدّم اسهاما نظريا آخذا بعين الإعتبار فكرة الحضارة منطلقا من فكرة الإنسان نفسه قبل كل شيء.

Abstract:

In view of the fact that development is a comprehensive, guided and complicated operation of change. It contains all the living sides, with its complexity and its accumulation. It aims at creation of constructional and functional change in the society, and to realize a very important of welfare for the men. Therefore many thinkers pay attention to present approachers, theories and conceptions with their analysis in order to discover the machinaries of change and ways of development .

This study is an attempt for presenting Malek Ben Nabi' s opinion and his conception about the development. Who gives a theoretical contribution and takes into considiration the idea of civilisation, and starts from man himself before all.

مقدمة:

يجمع أغلب المنظرين في علم الاجتماع و الاقتصاد على أن التنمية هي عملية تغيير موجهة و معقدة و شاملة تضم كافة جوانب الحياة الاقتصادية و السياسية و الثقافية و الاجتماعية و الإيديولوجية، وتستهدف إحداث تغيرات بنائية و وظيفية في المجتمع، و سعيا لتحقيق أكبر قدر من الرفاهية للإنسان. فقد أفلحت في استقطاب اهتمام المفكرين و العلماء و الفلاسفة منذ عصور قديمة لدراستها و تحليلها بهدف الكشف عن آليات التغير و أساليب التنمية. و كانت هاته التصورات رؤى و وجهات نظر شخصية لتناول مشكل التنمية و معرفة مداخلها العلمية والمنهجية بغية استثمارها في واقع المجتمعات مواصلة لعملية التقدم و التطور أو استنهاضا للواقع المتخلف.

و نحاول في هذه الدراسة أن نقدم وجهة نظر أحد مفكري العالم العربي و الإسلامي الذي حُضي فكره بالدراسة في كافة جوانبه، إلا أن الجانب التنموي منه بقي مجهولا لدى الدارسين على مستوى التخصيص و التدقيق، نقصد بذلك المفكر " مالك بن نبي " الذي عالج مشكلة العالم العربي و الإسلامي في إطار (مشكلات الحضارة) انطلاقا من تشخيص فكرة التخلف و ربطها بالاستعمار، وصولا إلى بناء الحضارة متأصلة في مرجعياتها، وأسسها، ومكتسبة لمناعة ضد التغريب أو المسخ، ومنبثقة عن محفز ديني يتوافق والطموحات الاجتماعية والمساعي ذات الأبعاد الإنسانية في صياغها الحضاري الناشئ والمتنظر، هي مشهد آخر مختلف، و متألق ذو خاصية إسلامية مطبوعة ومتفتحة على حضارات أخرى في نطاق التبادل الإيجابي دون الانصهار فيها، أو محاولة تقليدها، والانسلاخ عن هويتنا، ومرجعياتنا.

حاول هذه الدراسة أن تجيب عن التساؤلات التالية:

1 - ماهي أسباب التخلف و مظاهره ؟

2- ماهي مقومات التنمية في فكر مالك بن نبي و ركائزها ؟

3- ماهي رهانات التنمية عند مالك بن نبي ؟

1. أسباب التخلف في فكر مالك بن نبي: تحاول طائفة من الباحثين معالجة قضايا التنمية و التخلف من المنظور الاقتصادي الخالص، من خلال تحديد متغيرات التطور و التقدم في الدول المتقدمة، لكن المقاربة التي قدّمها المفكر (مالك بن نبي) في هذا الموضوع أضافت إلى الطرح التي قدّمته نظرية التنمية في العالم المتقدم التي ركّزت على الجانب المالي إلى دراسة و تحليل الإنسان نفسه، و قد أرجع مالك بن نبي أسباب التخلف إلى العوامل التالية :

1.1: القابلية للاستعمار: أشار مالك بن نبي إلى مفهوم " القابلية للاستعمار" كمفهوم تحليلي لواقع المسلمين ما بعد الموحدين عموماً و ذلك بسبب التخلف الذي عمّ في بلاد. فقد استكان المجتمع إلى الراحة و الدعة، و لا ترجع هذه الحالة الانهزامية إلى الاستعمار بل هناك كما يقول مالك بن نبي : " معاملاً آخر ينبعث من داخل الفرد ، الذي يقبل على نفسه تلك الصبغة، و السير في تلك الحدود الضيقة التي رسمها الاستعمار و حدّد له فيها حركاته و أفكاره و حياته " و يضيف في معرض تحليله أن الخطا الأمة منذ عهد الموحدّين هو الذي أدّى إلى بـ" القابلية للاستعمار، ليس من شك بأن تلك الأفعال الاستعمارية من اقتلاع و تدمير و تغيير و تغريب كانت لها الآثار السلبية و التخريبية على المجتمع و الإنسان الجزائريين في مختلف الأبعاد الأخلاقية و النفسية و العقلية و الاجتماعية و الاقتصادية... الخ⁽¹⁾.

2.1 عدم الفعالية: وكان من نتائج هذا الانفصام الأخلاقي ، أن المسلم يحمل أفكاراً صحيحة ولكنه لا يستطيع تطبيقها في دنيا الواقع، بفعل الخمول لأن البيئة التي تحيط به و تغذيه بثقافتها أصبح مثلها الأعلى هو الزهد و الصوفية ، و لا يتمثلون بعمر بن الخطاب أو بعبد الله بن المبارك أو الإمام مالك ، (والمسلم في هذه الحالة إنّما يغالط نفسه ، فيهرب إلى هذه التعليقات الصوفية الكاذبة)⁽²⁾.

وفي المقابل، نجد عند الغربيين أفكاراً قد لا تثبت أمام النقد الموجه لها ولكنهم استخدموها إلى أقصى ما يستطيعون، مثل : (فكرة التقدم)، والمسلم يحمل القرآن ولكنه لا يستفيد منه كثيراً في التخطيط لنهضة قادمة، فعقلية ما بعد الموحدين تشله عن الإبداع ، لأنه لم يكن على المستوى الثقافي الذي يحيط الاختراع بالرعاية، أمثلة على هذا الخلل :

➤ **ذهان السهولة (مرض السهولة) :** يميل المسلم في تقويمه للأشياء إما للغلو فيها أو للخط من قيمتها ، ويتمثل هذا في نوعين من الأمراض : فإما أن الأمور سهلة جداً ولا تحتاج إلى تعب وكد فكر ، والحل بسيط، وإما أن الأمور مستحيلة ، وأبرز مثال على مرض (السهولة) . وهناك من يظن أنه مجتهد رنانة تحل مشاكل المسلمين ، وبعضهم يكره أن تدعوه إلى تفكير عميق في موضوع ما من الموضوعات لأنه يؤثر السهولة ويكتفي بتفسير سطحي ، وعندما تخطط السياسة طبقاً لمبدأ السهولة فإنها سوف تجتذب إلى تيارها كثيراً من الناس ذوي النوايا الطيبة ، الذين يقدرون الأشياء بناء على سهولة الحاضر لا على صعوبات المستقبل⁽³⁾ . و أيسر طريق لأصحاب السياسات الانتهازية أن يستخدموا كلمات مثل: الاستعمار والإمبريالية والوطنية؛ للتغريب بالشعوب، هذه الكلمات التي (تليق جداً لتشجيع المنحدر حتى يكون الانزلاق عليه نحو السهولة ميسوراً جداً⁽⁴⁾ .

➤ **ذهان الاستحالة (مرض الاستحالة):** وقد يحدث العكس، فيرى المسلم أن الأمور مستحيلة ويقف أمامها عاجزاً، وهي في الحقيقة غير مستحيلة ولكن ربما يضحكها عمداً حتى لا يتعب نفسه في الحل، أو أنه يشعر بضآلة نفسه وصغر همته فيحكم عليها بالاستحالة، وقد مرت فترة كانت بعض الشعوب تنظر إلى صعوبة إخراج المستعمر من بلادها⁽⁵⁾ . وقد تجد اليوم بعض المسلمين الذين ينتظرون (معجزة الرجل الوحيد) كأن يأتي

صلاح الدين آخر ليوحد المسلمين من جديد ، ويعتقدون استحالة أية محاولة لاستئناف حياة إسلامية .

3.1 عدم توازن آليات التبادل التجاري: تعمل الدول الرأسمالية على استغلال الدول المتخلفة من خلال ربط اقتصاد الثانية بالأولى، حيث تحاول الإمبريالية و الطبقات الحاكمة المحافظة على اقتصاديات بلدان العالم الثالث، و استمرارية الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية الراهنة في البلدان النامية. و ذلك حتى تبقى هذه الدول مستمرة في القيام بدورها كمنتج للمواد الخام اللازمة للصناعات الغربية ، كما تعترض الدول المتقدمة أن تتحول الدول النامية إلى مصنعة و تنمية نفسها ذاتيا ، لأن ذلك يقلل اعتماد الدول النامية على الدول المتقدمة في تصريف المواد الخام التي تنتجها، هذا من جهة، و من جهة أخرى فإنه يؤدي إلى تقلص دور البلدان النامية كسوق لتصريف المنتجات الأجنبية . و في ذلك يقول مالك بن نبي : " فمثلا ليس هناك أي سبب ظاهر لأن يكون سعر الحلفا الجزائرية أقل ثلاثين أو أكثر من سعر منتجاتها _ عجينة السليلوز و الورق _ المصنوعة في انكلترا⁽⁶⁾ .

4.1 الميل إلى التكديس: يعترى الإنسان العاجز مرض نفسي يتمثل في التكديس، ذلك أن إنسان الكتلة يعتقد أن المخرج من الأزمة الممتدة في ضميره تكمن في نقص الأشياء، لذا لجأ إلى تكديس أغلب الأشياء، والذي هو ظاهرة عامة في العالم الإسلامي، فكم من ورشة ومؤسسة تعمل على جلب الوسائل الحديثة، لكن بدل استغلالها في مشاريع تنموية، تقبع في مستودعات ومخازن، تفقد قيمتها يوما بعد يوم.

ولقد حذر "فرانسيس بيكون" المجتمع البريطاني من داء التجميع والتكديس واعتبره أحد أوهام العقل، وأبرز سمة مرضية في نفسية إنسان العصور الوسطى، ولقد شبه بيكون العملية التكديسية بالتجميع النملي، ذلك أن النمل يعمل على تكديس المواد دون بنائها في حين أن النحل يبني ثم يكس. والتكديس كسلوك

مرضي لا يحل المشكل بقدر ما يزيد في عمق التخلف، وتدهور قيمة الإنسان مهما كانت منزلته الاجتماعية.

5.1 الذرية : هي نزوع العقل إلى التجزئة والذرة الفكرية، وتصبح المشكلات العامة مجرد أجزاء مفككة، كل جزء قائم بذاته في تصورات العقل، وبالتالي تغدو مجرد أكوام، تفقد صورة التكامل وتبتعد عن منهج التركيب المتألف. إن الذرية علامة من علامات عجز العقل أو أزمته، والعجز أدق من الأزمة، لأن الأزمة قد تكون حاضرة حتى في مرحلة قوة العقل وشموليته، لكن العجز مرتبط بالانحطاط.

ويذكر مالك بن نبي أن المستشرق الإنجليزي "هاملتون جب" أستاذ بأكسفورد، اتهم العقل الإسلامي بالذرية في كتابه (LES TENDANCES MODERNES DE L'ISLAM) ومالك لا يوافق جب في جوهرية الذرية في العقل الإسلامي، لأن الذرية حالة من حالات كل عقلي، تتجلى في مرحلة البداوة والبدائية التي تصيب الكائن الحضاري وفق مبدأ الحتمية التاريخية.

ولم تستطع النهضة تعديل العقل أو إصلاحه، بل العكس تماما وقع العقل الإصلاحية في الذرية، كما نلاحظ ذلك عند محمد عبده ومحاولة الاستنجاد بالعقل الكلامي لفهم قضايا عصرنا. والذرية رغم كونها مجرد عرض إلا أن الفكر الإسلامي لم يستطع التحرر منها، قياسا بالعقل الياباني الذي عدلها في غضون نصف قرن من عمره الحضاري، يقول مالك بن نبي: «فلن يكون هذا العجز سوى عارض خاص بعقل ما بعد الموحدين، ولم تستطع - الاستطاعة عند بن نبي تكمن في التفعيل - الحركة الحديثة أو حركة الإصلاح تعديل الاستعداد العقلي في هذه الناحية تعديلا جوهريا».

6.1 الاغتراب و الانبهار بالغرب: تعمل النظريات الغربية في مجال الفكر التنموي ذات العلاقة بالظاهرة الاستعمارية على تكريس الاغتراب و الانبهار بمنتجاته و فتوحاته الثقافية ، فتذهب من خلال نظرية الانتشار الثقافي أن التنمية يمكن أن

تحقيقها من خلال العناصر المادية و الثقافية السائدة في الدول المتقدمة إلى الدول النامية. و تنمية القدرة على التقمص العاطفي التي يقترحها " دانييل لرنر" تلك القدرة التي تمكنه من اكتساب كل ما هو جديد ، كما أن وسائل الاتصال و انتشارها في المجتمع و تعرض الأفراد لها يعد مؤشرا منت مؤشرات التحديث .

يرى ابن نبي أنّ كل من دعاة الإصلاح والتحديث اتفقا على تجاهل واقع أمتهم كنقطة انطلاق أساسي لبناء مشروعيهما النهضويين , فعاد دعاة الإصلاح بأفكارهم إلى الماضي للتشبث به والدفاع عنه من دون تمحيص ولا نقد , وتمثل دعاة التحديث مذاهب فكرية غربية لها واقعها الخاص الذي نشأت فيه . وهو ما أدى إلى التلفيق والفوضى أحيانا وإلى اصطدام الجهود أحيائين أخرى مما عرقل السير في طريق النهوض .

2. مظاهر التخلف: و قد حدّد مالك بن نبي مظاهر التخلف التي اتسم بها إنسان ما بعد الموحدين و الانحدار الحضاري إلى مجموعة من الأعراض نذكر منها:

1.2 غياب عالم الأفكار: حين يصاب المجتمع بحالة التخلف و الركود يكون في ذلك الوقت عالم الأفكار منعزلا أو طغيان أفكار دخيلة عن النسق الاجتماعي الأصيل ، فلا يستطيع الإنسان القيام بعمل مثمر حين يكون عالم الأفكار لا يساعد على النشاط و الابتكار و الفاعلية ، فيسكن الإنسان في ماضيه بعيدا عن مقارعة الواقع ومناكفته. و يرى مالك بن نبي أن أهمية الأفكار في حياة مجتمع تتجلى في صورتين فهي إما أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، و إما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممرضة، تجعل النمو الاجتماعي صعبا أو مستحيلا⁽⁷⁾.

ذلك أن النشاط الإنساني داخل المجتمع هو انعكاس لعالم الأفكار، و عملية التنمية متوقفة على طبيعة الأفكار التي يحملها الأفراد ، فإن مالك بن نبي يرى أن ما يسود العالم الإسلامي من اختلاط و فوضى في الميادين الفكرية و الخلقية أو في ميادين السياسة ، إنما هو نتيجة ذلك الخلط من الأفكار الميتة، تلك البقايا غير

المصفاة، من الأفكار المستعارة التي يتعاطم خطرها كلما انفصلت عن إطارها التاريخي والعقلي في أوروبا⁽⁸⁾.

2.2: تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية : وهي حالة تنتج عن سيادة النزعة الفردانية التي عكست معيار القيم، وتعارض مصالح الأفراد والجماعات فيما بينها الذي أحدث الاصطدام الداخلي وقضي على العمل التكاملي الجاد وأدى إلى إهدار الكثير من الطاقات الاجتماعية وصرفها فيما لا جدوى منه. و حين ترتخي شبكة العلاقات الاجتماعية في مرحلة الانحطاط الحضاري، و تكون بذلك عرضا من أعراض التخلف الذي يسود المجتمعات المتخلفة و تذوب فيه الأفكار البناءة و الفاعلة .

3.2: فوضى الأفكار والتكديس: فالمجتمعات النامية هي التي تحقق الانسجام و التوازن بين عالم الأفكار و الأشياء و الأشخاص، لكن فوضى التكديس والنزعة الذرية والخلط في عالم الأفكار هو ميزة البلدان المتخلفة. والتكديس ظاهرة اجتماعية تظهر في المجتمعات في مراحل تخلفها، لأنها في هذه المرحلة لا تفكر و لا تنظم أعمالها طبقا لأفكار و قوانين، وإنما تكدّس الأشياء⁽⁹⁾.

فالمجتمعات التي دخلت في مراحل التخلف الحضاري ، تختل الموازين عندها و تحصل الفوضى ، فتسيطر الأشياء على الإنسان ، و يرتد المجتمع إلى المرحلة الطفولية ، فتستمرئ السهولة و ينزلق الإنسان نحو الشهوات و الأشياء، فيغرق بذلك المجتمع في فوضى الأشياء و الأفكار و التكديس .

4.2: الشيبية : للشيء حضور قوي وسحر في الذات، لتعلقه بالذات والشهوات، وسد الحاجات الملحة، كما يعد عند الشعوب ذات البعد الواحد معيار القوة والحضارة، والسلوك الاجتماعي عندما يطغى عليه الشيء ترى جميع الممارسات تحاول أن تركز عليه كمطلب وقاعدة. وغاية الشيء بكل ما يحمله من أبعاد يعود سلبا أحيانا على الإنسان وخاصة إذا أصبح محور تفاعلات

الذات، والإنسان الجاهلي كان غارقاً في عالم الأشياء فتحول سلوكه إلى مادي ولم يخرج نموذجاً عن نطاق الشيء (فرس، امرأة، سيف، رمح، الخ).

وعندما يفقد الإنسان السيطرة على الشيء يتحول فكره وسلوكه إلى النزعة التشتيتية، يصبح الكم اللغة السائدة والمعياري الناقد. ومثّل جمال الدين الأفغاني في تصورات النزعة الشيئية حين انزلق فكره في عالم الأشياء، وأعتقد أن حل المشكلات الحضارية يكمن في الشيء.

وإن نبي يحاول من خلال إبراز الشيئية كنزعة مرضية أن يلفت الانتباه أن الإنسان ليس كما ولا مادة، بل الإنسان جوهر روحي مادي. إن الإنسان ليس في نظر المسلم (الكم) الذي تجري عليه تجارب المخبر، وعمليات المصنع وحاجات الجيش، فالإنسان ليس (الكم) بل (الصفة).

5.2: الحرمان الاجتماعي: للتخلف مظاهر كثيرة و عديدة، و في شقها الاجتماعي نلاحظ ظاهرة الحرمان الاجتماعي و الذي يتمثل في عدم قدرة الفرد على التكيف مع الواقع من جهة ، و من جهة أخرى في عدم قدرة المجتمع على توفير الضمانات الاجتماعية للأفراد، و يتقرر على أساس كيفية تلبية الحاجة كل أسلوب الاقتصاد، و إنما طبقاً لطبيعة المال الذي يقضي نظاماً خاصة بتوزيع محدود يحدّه الإمكان المالي ، أو طبقاً لإرادة حضارية تفرض شبكة توزيع شاملة تشمل السكان كلهم منذ اللحظة الأولى. فإذا تقرر هذا النوع الأخير لتلبية الحاجة ، دون إخضاعها لشرط الإمكان المالي ، نستطيع مبدئياً رسم شروط الديناميكا الاقتصادية في صورة مسلمتين :

أ/ لقمة العيش حق لكل فم .

ب/ العمل واجب على كل ساعد.

و بالتالي فإن الفرد في المجتمعات المتخلفة ما زال بعيد عن هاته المسلمة ، المتأرجحة بين الحق و الواجب في إطاره الاجتماعي ذو البعد الاقتصادي⁽¹⁰⁾.

6.2 : النزعة السياسية و فئة الانتقاليين وسلوك الاستبداد: إن احتدام الصراع بين مجموع الأفراد والساسة منذ القدم، ولم يستقم العمل السياسي والممارسة السياسية إلا من خلال الدساتير والمواثيق فقط ، لكن عندما يكون الشعب في ذروة الحضارة. ولعل أبرز مؤشر لمعالم الانهيار يكمن في السياسة، أن مشكلة العالم الإسلامي بدأت حين وقع الشرخ في كيان المجتمع من حادثة السقيفة وصفين. إذ بدأت النزعة الاستبدادية تتجذر في أذهان الحكام ونفسياتهم، بل أصبحت الصورة النمطية للعلاقة بين الراعي والرعية يشوبها الغموض. ومجتمع ما بعد الموحدين، مارس ساسته أشنع صور الاستبداد وغلبت المصالح الشخصية القيم الأخلاقية والإنسانية، وغدا المجتمع مذرذرا مفككا، تسوده الطبقية. وإذا ما تعذر هذا العامل، فإن القطيعة المعنوية سوف تعزل الدولة عن المواطن وتشل الطاقات الاجتماعية، أو تشتتها تشتيتا تكون نتائجه: عدم الانسجام وعدم التناغم. وعندما بدأت الشعوب تخرج من نطاق الأمية وتتخطى أوهام العقل رويدا رويدا، بدأت الحرب السياسية تتلون من جديد بألوان الإغراء والوعود، والشعارات البراقة، خصوصا حين ترفع شعارات خلافة وتصرح بوعود مغرية.

3. مقومات النهوض التنموي: بعد أن شخّص مالك بن نبي أسباب التخلف و مظاهره التي تمحورت حول طبيعة الإنسان من جهة، عدم التحكم في آليات و متغيرات التنمية الحديثة من جهة أخرى، قدّم مالك بن نبي أسباب النهوض و مقومات المشروع التنموي التي لخصها في النقاط التالية :

1.3 : الاستثمار الاجتماعي مقابل الاستثمار المالي: و هي خاصية تتميز بها دول العالم الثالث المتخلف التي وجدت أنظمتها نفسها تعيش في مجبوحه من العيش بعد أن شكلت اقتصاد ريعي يعتمد على المال دون الاستثمار في الموارد البشرية التي أصبحت ميزة خاصة في دول المحور الآخر (واشنطن - موسكو) التي تحاول دوما أن تنمي الإنسان و تستثمر فيه، و أكثر من ذلك فهي تحاول أن تستقطب

الكفاءات في الدول الأخرى من أجل تطوير ذاتها و اقتصادياتها. لأن المال وحده لا يبني الدول بقدر ما يبنيه المجتمع بما يملكه من استعدادات ذهنية و عقلية ، و هنا يتبادر الى أذهاننا أمران :

أ/ إن أمريكا لا تستطيع بإمكانها المالي أن تشتري مدينة نيويورك.

ب/ بينما تستطيع بإمكانها الاجتماعي بناء أو إعادة بناء مئات مدن مثل نيويورك⁽¹¹⁾.

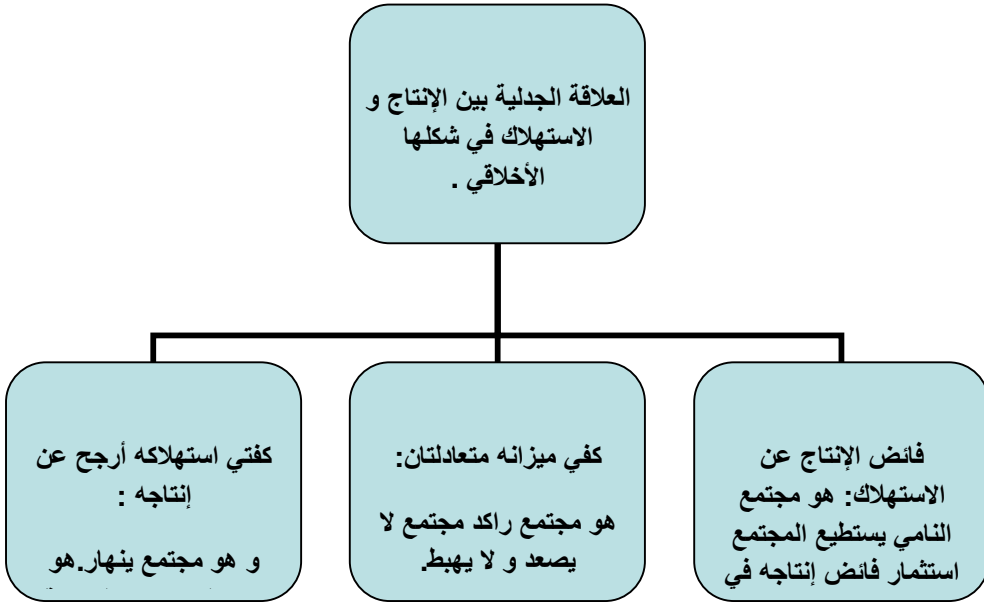
بل أن المثل الأعلى الذي يقدمه مالك بن نبي في هذا المجال هو كيف خرج المجتمع الألماني من نكسة الحرب العالمية الثانية التي دمرت البنية الفوقية للأمة الألمانية ، لكن لما كان عالم الأفكار ومصدر ابتعاث القيم فيه مازال ينبض، فإن عملية الإحياء و إعادة الإبتعاث في ألمانيا لم يدم طويلا⁽¹²⁾.

و اعتمدت الصين على إمكانياتها البشرية في بناء الأمة الصينية ، و استفادت من التجارب الفاشلة (تجربة التعدين)، حيث لم تقم بتفتيت التنظيم الاجتماعي السائد فيها منذ الكونفوشيوسية و هو (النمط الزراعي) الشيء الذي جعلها تتقدم بنسب متسارعة في اقتصادها مطبقة في ذلك خطط تنموية تعتمد على الذات وتستثمر في الإنسان الصيني و التراب الصيني و الزمن المتوفر في كل أرض⁽¹³⁾.

2.3: اخلقة عمليتي الإنتاج و التوزيع: انطلق مالك بن نبي في نقد النظام الرأسمالي من خلال الأساس المذهبي لـ (آدم سميث) القائم على إرادة المال و فتح الباب على مصراعيه للرأسمالية المتوحشة على حساب المصلحة العامة في المجال السياسي و المصالح الخاصة بالمنتجين و المستهلكين، و تفكيك المجتمع و تقسيمه طبقيا باسم الحرية المالية من خلال مبدأ (دعه يعمل دعه يسير).

جُبل الإنسان فطريا على حب السهولة و إتباع المنحدر إذا لم يكن له مدفوعا الى الأعلى بالقوة الضاغطة، فالمسلم حين دخل المعترك السياسي لم يكن ليؤسس نظرة إستراتيجية شاملة لما بعد الاستقلال، فقد كان يطالب بحقوقه السياسية دون عمل

واجباته الأخلاقية حينما كان يركض وراء استقلال لا تؤيده مقومات السيادة الحقيقية للشعوب. هذا العور و القصور تحدد معالمه الأساسية في الجانب الثقافي و في الأساس الأخلاقي . فالسياسة التي بالحقوق دون العمل على تمكين المجتمع من القيام بواجباته هو انتهاك حقيقي للمجتمع .



شكل يوضح : طبيعة العلاقة بين الأخلاق و الاقتصاد في مجال الاستهلاك و الإنتاج، المصدر : الباحث .

فيقول مالك بن نبي في هذا الشأن فلو اصطالحنا على المدلول العام للمفهومين أن "الواجب" هو ما نعطيه مثلا للمجتمع، و أم "الحق" هو ما نأخذ، و أنها يمثلان على محور القيم الجبرية قيمتين مختلفتي العلاقة على طرفي الصفر، لو اصطالحنا على ذلك لجاءت صياغة العلاقة بينهما في صورة معادلة : واجب + حق = 0 .

و كذلك بالنسبة للاستهلاك و الإنتاج: الإنتاج + الاستهلاك = 0

فهذه التجربة الإنسانية يجب أن تعيد للاقتصاد أخلاقياته و تتلافى الانحرافات الإباحية المتمثلة في الرأسمالية و ورطة الماركسية المادية التي سلبت الإنسان ما يميزه عن الآلات و الأشياء⁽¹⁴⁾.

إن هاته المعادلة الرياضية ذات الطابع الثقافي بين الإنتاج والاستهلاك، هي علاقة أخلاقية اقتصادية تدل على حالات يحقق المجتمع إحداها حسب اتجاهه الثقافي .

3.3 : الأخذ بالمعادلة الاجتماعية للمجتمع: ركّز مالك بن نبي كثيرا على التفريق بين الإنسان و الفرد، في المثال الذي قدّمه عن الإنسان الألماني و الإنسان الاندونيسي من خلال مشروع (الدكتور شاخت) الذي نجح في المجتمع الأول و فشل في الثاني ، ذلك لأن المخطط مستمد أساسا من تراب ألمانيا من جهة ، لاستعدادات الشعب الألماني الذهنية و الثقافية و من جهة ثانية. فنجاح الخطة في ألمانيا بسبب الأخذ بالمعادلة الاجتماعية التي تختلف عن غيرها من المعادلات الاجتماعية الأخرى من حيث الزمان و المكان و التراب . فتعثر التجربة الاندونيسية كان بسبب الخطأ في تقدير المعطيات البشرية في المجال الاقتصادي التي حاول فيها (شاخت) أن يسقط التجربة الألمانية على الواقع الاندونيسي، بينما الواقع الإنساني لا يفسر على أساس معادلة و بعد واحدة بل حسب المعادلتين :

أ/ معادلة اجتماعية: تختلف من مجتمع إلى آخر، و في مجتمع واحد تختلف من عصر إلى آخر حسب الاختلاف في درجة النمو و التخلف.

ب/ معادلة بيولوجية : تسوي بين الإنسان و أخيه في كل مكان ليستطيع هذا كل ما يستطيع الآخر ، إلاّ فيما فضّل فيه بعض الأفراد عن الآخرين⁽¹⁵⁾.

و كحل لهاته المعضلة يطرح مالك بن نبي هذه المعادلة الاجتماعية في صيرورة تاريخية ليستنتج أن التجارب الشخصية و استثمار المنجز الإنساني في الحضارات الأخرى هو العامل الوحيد لإنجاح الخطط الاقتصادية. فيرى أن المجتمع الغربي عموما قد صاغ معادله الاجتماعية - و مازال - بتدرّج الأيام والسنين ، بينما المجتمع الصيني فإنه يصنعه اليوم بيده، تحت إشراف إدارة متوترة تحت ظروف

قاسية، كما هو الحال في المجتمع الياباني . أما المجتمع الإسلامي فهو في حيرة بين أمرين:

أ/ إما أن يترك الأيام تصوغ معادلتها الاجتماعية أو تعيد صياغتها لتمكينه من مواجهة التحدي الذي يوجهه له عالم اقتصادي غريب عنه، و هذا طريق طويل تعبده تجارب و محن المجتمعات الأخرى.

ب/ إما أن تطرح المشكلة صورة منهجية مثلما فعلت اليابان و الصين ، أو مثلما فعل (تايلور) و مدرسته في الغرب الذي اكتملت معادلتها الاجتماعية في صورة النظرية التaylorية⁽¹⁶⁾.

4.3 : ضرورة الاكتفاء الذاتي: إن التكتل في إطار محور (طنجة - جاكرتا) ضرورة يملها المصير المشترك لهاته الدول، فالإكتفاء الذاتي يتحقق في إطار أمة واسعة عربية أو إسلامية ، و هو نفسه الشعور الذي كان تهدف إليه أوروبا من خلال السوق الأوروبية المشتركة أو الإتحاد الأوروبي الذي استمدته من (شارلمان) أو ما يسمى "بالإمبراطورية المقدسة"، أو كما كانت عليه دول أوروبا الشرقية في إتحادها مع الإتحاد السوفياتي سابقا، لكن على المجتمع العربي الإسلامي أن يأخذ في عين الاعتبار ضرورة الاستقلال الفكري عن الغير . مع الأخذ في الحسبان حدود الإمكانيات الفردية لمواجهة الضرورات الداخلية و الخارجية . و الأخذ بالتجارب الأخرى للمجتمعات، فنحن لا نملك شروط (الاقتصاد التكاملي) أي أن نستهلك ما نتج دون الحاجة الى الغير كما هو الحال في أمريكا و الصين و روسيا بدرجة أقل، فمالك بن نبي يرى أنه من الواجب تنظيم حياتنا الاقتصادية، على شروط تحقيق حلقة اقتصادية كاملة داخل حدودها، متخذة أساسا شروطا الاستثمار الاجتماعي التي قدمناها في صورة مسلمتين ربما يكون تطبيقهما في حدود الوطن الواحد، على درجة الصعوبة، و لكنها تنخفض بمقدار ما تتسع رقعة التطبيق.

5.3: بناء شبكة العلاقات الاجتماعية: تعرّف بأنها: مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية التي توفر الصلات الضرورية داخل العوالم الثلاث: الأشخاص والأفكار والأشياء⁽¹⁷⁾.

و يعد بناء شبكة العلاقات الاجتماعية أول عمل تاريخي يقوم به مجتمع، إذ أن ميلاده مرهون باكتمال و تلاحم هذه الشبكة داخل النسق الاجتماعي في إطارها الاقتصادي و السياسي و الثقافي. و تخضع فاعلية الأفكار - في أي مجتمع - لشبكة العلاقات الاجتماعية، فكما كانت أكثر متانة بين الأفراد، كان العمل فعالاً مؤثراً⁽¹⁸⁾.

و يستتج مالك بن نبي فاعلية النشاط المشترك بين الأشخاص في المجتمع، و العلاقة بين هذه الشبكة و بين المجتمع " فإذا ما تطور مجتمع ما على أية صورة، فإن هذا التطور مسجل كما و كيفا في شبكة علاقاته الاجتماعية في صورة توتر أو ارتخاء في التوتر، أو في تفكك الشبكة نهائياً عند مرحلة أفل المجتمع⁽¹⁹⁾.

و يعد تشكيل هاته العلاقة أول عمل يؤديه المجتمع من أجل قيام بمشروع تنمية أصيل تكون فيه طبيعة العلاقة بين أفراد المجتمع اللبنة الأولى في الاستئناف الحضاري، و لهذا يخلق الدين الإسلامي نظاماً اجتماعياً يصير فيه الفرد الى أفراد كثيرين ، و تعد شبكة العلاقات الاجتماعية الأداة الجامعة لكل الطاقات الحية في المجتمع، و يتجلى هذا التماسك في صورة نشاط مشترك يقوم به المجتمع وظيفته تجميع هذه الطاقات الفردية لمصلحته بفضل هذه الشبكة .

6.3: التنمية السياسية: وهذا يستدعي ضرورة مراجعتنا لتصوراتنا النظرية وسلوكياتنا العملية، اتجاه مسألتى الحق والواجب، بحيث يجب أن نؤسس فلسفة نهوضنا على أساس القيام بالواجب عن قناعة والمصحوبة بالشعور بروح المسؤولية.

وتحقيق انسجام عمل الفرد مع عمل الدولة من خلال العمل على رآب الصدع وتقليص الهوة الموجودة بين الحاكم والمحكوم بتوجيه نشاطات كل منهما إلى

اتجاه موحد تتجانس فيه جهودهما وتتكامل، فالفعل السياسي لن يحقق نجاحه إلا إذا تبناه أفراد المجتمع، في إطار تعاون وتفاعل إيجابي بين عمل كل من الدولة والفرد. كما يجب ربط السياسة بالأخلاق والعلم، وذلك باستبعاد التحايل والخداع والمكر من الممارسة السياسية، وربطها بقواعدها العلمية التي تراعي الجوانب الفكرية والنفسية والاجتماعية المعبرة عن خصوصيات الأمة. وبالموازاة مع ذلك يجب العمل على توفير الوقاية والحماية للمنجزات المحققة.

7.3 : إعادة الدور الاجتماعي للدين : يبنى المشروع التغييرى النهضوي عند مالك بن نبي على فكرة الدينية التي هي أساس كل تنمية في أي مجتمع، فالتنمية التي تستهدف تغيير الفرد من الداخل يجب أن تحتوي على روح دينية، وقد اهتم ابن نبي بالدين من حيث وظيفته الاجتماعية في صياغة الإنسان الحضاري، و بناء شبكة العلاقات الاجتماعية، وفي تكوين اللحمة بين عالم الأشخاص والأفكار والأشياء.

و من هنا نجد أن الوظيفة الاجتماعية لدين تحقق في شكل تركيب يهدف الى تشكيل قيم تمر من الحالة الطبيعية إلى وضع نفسي زمني ينطبق على مرحلة معينة للحضارة، وهذا التشكيل يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية، و يجعل من الوقت الذي ليس سوى مدة زمنية مقدرة بساعات، تمرّ وقتا اجتماعيا مقدرًا بساعات عمل، و من التراب الذي يقدم في صورة فردية مطلقة غذاء إنسان في صورة استهلاك بسيط، مجالا مجهزة مكيفا تكييفًا فنيا، يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة، تبعا لظروف عملية الإنتاج. و تكمن قيمة الفكرة الدينية عند مالك بن نبي في وظيفتها الاجتماعية، لا في أصلتها الذاتية، و من هذا المنطلق فرق بين صدق الفكرة الدينية و فاعليتها، فالدين وإن كان صحيحا فإنه يفقد فاعليته الاجتماعية بسبب الإنسان، و على العكس من ذلك يرى أن الدين و إن كان باطلا فإن فاعليته تظهر حسب الإنسان الذي يحمله. و يدعو إلى ضرورة إرجاع الفاعلية الاجتماعية للعقيدة من خلال معالجة ظاهرة الانفصام

المرضي الذي يعيشه المسلم المعاصر، ولعل الحل يكمن في تأسيس علم جديد يسميه ابن نبي "علم تجديد الصلة بالله" وظيفته أن يُشعر المسلم بوجود الله وليس أن يُبرهن له على وجوده.

8.3: بناء الإنسان الجديد غير القابل للاستعمار: وتكمن وظيفة هذا الإنسان الجديد في التعرف على ذاته من دون نكران لها ولا تمجيد، وإنما بعقلانية الممحص والناقد الموضوعي، كما يجب عليه أيضا أن يتعرف على الآخر من دون عقدة رفض ولا عقدة انبهار، وإنما بمعرفة موضوعية تُظهر حقيقة الآخر بإيجابياته وسلبياته. ليجد بذلك مكانه المناسب في خريطة التطور الحضاري للمجتمعات والأمم. وبعدها يسعى لتعريف الآخر بنفسه، من خلال البحث عن آليات التواصل معه، ومحاولة معرفة حاجات الإنسانية لغرض خدمتها.

9.3: تحقيق الفعالية: وذلك من خلال ربط الفكر بالعمل، فعلاج الجدل العقيم والخطابة الجوفاء يكون بالجمع بين العلم النظري والعمل التطبيقي أي ربط العلم بأهداف عملية معبرة عن متطلبات الواقع.

لقد ركّز مالك بن نبي على بناء الإنسان الجديد القوي بمعرفته لذاته ولغيره والمدرّك لدوره والمؤمن بأهمية رسالته، ولا يكون هذا إلا بالتركز على التجديد والتغيير فيما يتعلق بالجانب النفسي لأنّ معجزة التغيير مستوطنة في نفسية الفرد لا فيما يحيط به من وسائل مادية. وطريق النهضة حسب ابن نبي يمر عبر شارع الواجبات المقدسة في ضمير كل فرد من أبناء الأمة، فالشعب الذي يريد التحضر يعمل ويجتهد في كل يوم وفي كل دقيقة وفي مختلف مجالات حياته. ودخولنا للمجتمع العالمي وضمان مكانة محترمة بين الأمم يفرض علينا أن نسلك طريقا جديدا لم يسلكه غيرنا وأن نقدم للإنسانية بعض الحاجات التي افتقدتها في عصر العلم والمادة رغم أنّها في أمس الحاجة إليها. كما يجب أن ندرك أن كل فكرة تودع في التربة ستتحول إلى مشروع ثقافي مجسد في الميدان إن هي وجدت الأرضية الملائمة واللحظة التاريخية المناسبة.

4. ركائز التنمية عند مالك بن نبي:

يؤسس مالك بن نبي لفكرة التنمية من مدخل متكامل يأخذ بالنظرة الكلية للمجتمع، ورفضاً للتفسيرات التجزيئية والتبضيعية لها. وذلك أن المجتمع وحدة كلية مترابط أجزاءها، وتتساند فيما بينها، ولا يمكن أن تفهم إلا من خلال علاقتها مع بالأعضاء الآخرين. أي أن فهم أي نظام أو ظاهرة اجتماعية إلا في ضوء علاقتها بالسياق الاجتماعي العام الذي توجد في إطاره، أي أننا عند دراسة ظاهرة التخلف لا بد من مراعاة كافة مكونات البناء الاجتماعي مثل البناء الديمغرافي، والنسق الإيكولوجي، والنسق الاقتصادي، والنسق السياسي، والنسق التعليمي، والنسق القرابي والبناء الطبقي... إلخ⁽²⁰⁾.

و قد نقد مالك بن نبي المقاربات النظرية التي تأسست في أعقاب الحرب العالمية الثانية و ما قبلها، التي أنتجتها المنظومة الغربية مفسرة و يحلل واقع غربي يبحث عن أسواق تارة، و يبرر إستعمارات تارة أخرى. هذا و قد حاول تحليل أسباب إخفاق المداخل التنموية التي تبنتها الدول العربية والتي أرجعها إلى الأسباب التالية:

أ/ عدم تشخيص غاية النهضة بصورة واضحة .

ب / عدم تشخيص المشكلات الاجتماعية تشخيصاً صحيحاً.

ج/ عدم تحديد الوسائل تحديداً يناسب الغاية المنشودة و الإمكانيات.

و يحدد مالك بن نبي شروط التنمية من خلال عوامله الثلاث، فهي حجر الزاوية لإرادة التغيير، فلا طريقة سوى: الإنسان، والتراب، والوقت، وإرادته لتلك الحركة، فهذه هي رأسمال المبدئي وكل ما عدا ذلك: من القصور الشاخات، والجامعات والطائرات، ما هي إلا مكتسبات النهضة، وليست عناصر أولية لعملية النهضة⁽²¹⁾.

و يضيف قائلاً: "وليس من الضروري ولا من الممكن أن تكون لمجتمع فقير المليارات من الذهب كي ينهض، وإنما ينهض بالرصيد الذي وضعت العناية الإلهية بين يديه من الإنسان والتراب والوقت"⁽²²⁾.

والتنمية رهن بمدى فعالية الإنسان وحركته من أجل إنجازها ، وليست المادة وحدها العاملة على التغيير بل التركيبة الثلاثية بقيادة الإنسان، فإن "القضية ليست قضية أدوات ولا إمكانيات إن القضية في أنفسنا، إن علينا أن ندرس أولاً الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن؛ سكن المجتمع والتاريخ، ذلك ما تشير إليه النظرة في تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ ، فنرى المجتمع حيناً يزخر بوجود النشاط، وأحياناً نراه ساكناً لا يتحرك يسوده الكساد وتغمره الظلمات، وهل هذه المظاهر غير تعبير عن حركة الإنسان أو ركوده"⁽²³⁾.

1.4 : الإنسان : لقد بين ابن نبي أهمية الإنسان في التنمية، بكونه المحرك لعناصر النهضة الأخرى ولكن كيف تتحقق فعالية الإنسان في الحركة التغييرية، إنه يرى ذلك من خلال توجيهه في ثلاث نواح هي:

أ - توجيه الثقافة.

ب - توجيه العمل.

ج - توجيه الرأسمال.

ثم يبين مفهوم فكرة التوجيه بأنها "قوة في الأساس، وتوافق في السير، ووحدة في الهدف، فكم من طاقات وقوى لم تستخدم، لأننا لا نعرف كيف نستخدمها، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها، حين زحمتها قوى أخرى، صادرة عن نفس المصدر متجهة إلى نفس الهدف، فالتوجيه هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت، فهناك ملايين السواعد العاملة، والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل، المكون من ملايين السواعد والعقول، في أحسن ظروفه الزمنية،

والإنتاجية، المناسبة لكل عضو من أعضائه، وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن أساساً فكرة توجيه الإنسان⁽²⁴⁾.

ويذكر ابن نبي أن النهضة في العالم الإسلامي بها منعطفات خطيرة، وأول شرط من شروط تحقيقها هو الإنسان الذي يتمثل فيه مفهوم التغيير قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) سورة الرعد، الآية: 13. وأول ما يراد تغييره هو منهجية التفكير وطريقته، وذلك عن طريق توجيهه الثقافي؛ لأن الثقافة: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها منذ ولادته كراسمال في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته"⁽²⁵⁾.

ولكن كيف تعود الثقافة إلى العمل ضمن وظيفتها في التنمية؟ يرى ابن نبي أنه لكي تعود لذلك فلا بد من تنظيفها من الانحراف، وذلك بتصفية العادات والحياة مما يشوبها من معوقات للنهضة، المتمثلة في المتعالمين. ويرى أن التوجيه مرتبط بالمفاهيم الفكرية المؤسسة على أصول ثقافية، والثقافة الإسلامية هي الأساس في كل تغيير، فلا بد من التوجيه لأنه "ينبغي أن يكون المهمة الأولى في خطة النهضة الإسلامية، لأن تحقيقه هو الذي يوجد الشرط الأول لتحويل الجهود في نطاق هذه النهضة إلى جهود فعالة"⁽²⁶⁾.

1.1.4: توجيه الثقافة: في حديث مالك بن نبي عن تكوين الإنسان، و تحت عنوان (توجيه الثقافة)، يتعرض لدلوها فيقول... والثقافة من الأشياء الأساسية التي تتطلب بإلحاح تعريفا بل تعريفيين :

الأول : يحددها في ضوء حالتنا الراهنة .

الثاني: يحددها حسب مصيرها.

لأن جيلنا هذا حدّ فاصل بين عهدتين: عهد الكساد والخمول، و عهد النشاط و المدنية⁽²⁷⁾.

لذا نرى مالك بن نبي يبحث عن أسس أية ثقافة من الثقافات، و ينتهي به المطاف إلى أن يحصر عناصر الثقافة في المبادئ التالية :

1.1.1.4 : التوجيه الأخلاقي : إن المقصود من التوجيه الأخلاقي هو تأثير العقيدة الدينية في مجال السلوك البشري إذ هي عنصر أساسي في الثقافة، من خلال تأصل غريزة الحياة في جماعة، بحيث يستخدم هذه الغريزة ويهدها ويوظفها بروح خلقية سامية، هذه الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض، تأتيها مع نزول الدين، ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضها ببعض⁽²⁸⁾.

إنه يرى أن الدين هو الأساس الأخلاقي الضروري لعمل التنمية، لأنه منهج تغيير يوجد من المتفرقات تآلف يعمل على بناء النهضة، وهذا واضح في الإسلام حيث عمل على تجميع الأنصار والمهاجرين، وتمّ ميلاد أول مجتمع إسلامي، أصبح كجسد واحد، وظهر ذلك من خلال اكتساب قيم جديدة. فهو يرى أن التغيير التنموي مرتبط بالتغيير الفكري، الذي له ارتباط بالمنحى الثقافي، المؤسس على أصول العقيدة الإسلامية .

2.1.1.4: التوجيه السلوكي العملي: ويقصد به العقل التطبيقي الذي يجسد الفعالية في النشاط سواء على صعيد الفكر أو العمل، فالمجتمع الإسلامي الأول كان يعيش طبقاً لمبادئ القرآن، أما اليوم فهو يتكلم تبعاً لمبادئ القرآن، وذلك لعدم وجود المنطق العملي السلوكي⁽²⁹⁾.

فإن العقيدة الإسلامية لم يعد لها فعالية في سلوك الفرد ما كان لها من فعالية على عهد النبي (ص)، حيث يوجد انفصام بين العقيدة والسلوك " لا يحتفظ المسلم باستقلاله ابتداء من اللحظة التي يغادر فيها المسجد، فهو يسقط تحت سطوة قانون العدد، وبدلاً من أن يؤثر في الوسط طبقاً لمثله الأعلى ومبادئه، نجد أن الوسط هو الذي يؤثر عليه⁽³⁰⁾.

و يرى مالك بن نبي أن أساس النهضة هو تمثل العقيدة الإسلامية، وذلك بتحديدتها من خلال كونها مصدراً للثقافة الإسلامية، من خلال ربطها بالمفاهيم المنطلقة من الأساس العقائدي وتحويلها إلى منطق عملي لا عمل منطقي، فإنه في هذه الحالة نكون قد سرنا في الاتجاه الصحيح، وهو يرى أن من أسس و شروط التنمية : الإنسان والوقت والتراب ولكن لا بد من ربطها بالعقيدة الإسلامية فهو يرى "أن السبب في ذلك أن هذه العوامل الثلاث تتطلب إلى جانبها عاملاً آخر لا غنى عنه، وهو العامل النفسي، هذا العامل الذي يصطلح على تسميته بالعقيدة، فنحن إذن أمام قضية واضحة وضوحاً كاملاً، إن الشروط اللازمة لتكون النهضة موجودة بين أيدينا فعندنا أكرم العناصر الموجودة في العالم، وعندنا أخصب المساحات الترابية وعندنا الساعات الزمنية الكافية للإبداع والابتكار⁽³¹⁾ .

فالمسلم يقتل الوقت والعلم والمال، فكيف ينفق العلم ويستغل المال؟ ينفقها في وجوه غير فعّالة، حيث العبثية واللافعالية متجذرة في ذاتنا فالعالم الإسلامي اليوم يفتقد الضابط الذي يربط بين العمل وهدفه، وبين السياسة ووسائلها، وبين الثقافة ومثلها، وبين الفكرة وتحقيقها والسياسة تجهل الوسائل، والثقافة لا تعرف المثل العليا، وعندما أراد المجتمع أن يسير طبقاً لمبادئ القرآن فقد سار في الاتجاه المعاكس، حيث بدأ يتكلم تبعاً لمبادئ القرآن وذلك لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي، فليس الذي ينقص المسلم منطق الفكرة بل الذي ينقصه منطق العمل، فهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاماً مجرداً، فنحن نعيش في أحلام التغيير وينقصنا المنطق العملي⁽³²⁾ .

3.1.1.4 : توجيه العمل : يقصد مالك بن نبي بتوجيه العمل: سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد بما في ذلك جهد الراعي، والحرفي، والتاجر، والطالب، والمثقف والفلاح، لكي يضع كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء، فهو تأليف لكل هذه الجهود لتغيير وضع الإنسان وإيجاد بيئة جديدة فإن العمل مهم في تحقيق مصير الأشياء.

وتوجيه العمل ليس عنصراً أساسياً في المجال التنموي، ولكنه متولد من شروط النهضة الثلاث، فالخطب والمواعظ لا تأتي ثمارها ما لم تتوج بالعمل، فالمسلمون بدؤوا يشيدون مسجدهم الأول بالمدينة حيث كانت أول ساحة للعمل، وهذا التوجيه المنهجي للعمل هو شرط عام أولاً، ثم وسيلة خاصة لكسب الحياة بعد ذلك، لأنه كلما تقدم التوجيه المثلث - توجيه الثقافة والعمل ورأس المال - للإنسان المسلم تغير وجه الحياة حتماً فيكتمل ويحتل مستوى أرفع⁽³³⁾.

2.1.4 : توجيه رأس المال: يرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي غني في المجال المادي من حيث التراب والمال حيث البترول الذي هو عصب أي تنمية، ولكن كل ذلك لا يمكن أن يركب عوامل النهضة إذا لم يوجه توجيهاً نابعاً من فكرة دينية تربط بين الفكر والعمل، وهو يرى أن العالم الإسلامي يملك ثروة ولكنه لا يملك رأسمال، لأنه يرى أنه هو الذي يتحرك، ومن ثم يوجه على أساس المنهج الثقافي المنتج، فهو يرى ارتباطاً بين توجيه رأس المال والنهج الثقافي، فالمقصود من توجيه رأس المال هو إنه "لا يتصل بالكم، بل بالكيف، لتصبح كل قطعة مالية متحركة متنقلة توجد معها العمل والنشاط، أما الكم فإن ذلك الدور الثاني دور التوسع والشمول⁽³⁴⁾.

إذن فلا بد من تحريك المال وتنشيطه، بتوجيه أموال الأمة البسيطة، وذلك بتحويلها من ثروة مكدسة إلى رأس مال متحرك، ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد، فلا بد من منهاج يحدد تخطيطاً مناسباً نبي عليه حياتنا الاقتصادية.

2.4 : التراب: عندما يضع مالك بن نبي هذا العنصر لا يقصد منه دراسة خصائص التراب وطبيعته ولكنه يدرسه من خلال قيمته الاجتماعية، حيث تتحقق من خلال قيمة مالكيه، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة يكون التراب غالي القيمة، وعندما تكون الأمة متخلفة يكون التراب رخيص، ثم يضرب مثلاً من الجزائر، حيث موت الأرض الخضراء، وانتشار الصحاري وعدم فعالية الإنسان في مواجهتها؛ لتقاعسه عن العمل، ولذلك فهو يوجه الإنسان إلى العمل

مع هذا العنصر الأساسي فيقول: "ومهما يكن من بدائية وسائلنا فإن علينا أن نعمل، فالعمل لازم لزوم دراسة طبيعة الأرض والمناخ، فإننا لن نستطيع أن ننقذ ذريتنا من الأجيال القادمة إلا بالعمل الشاق، وعندما تتحقق تلك المعجزة بانتصارنا على أنفسنا وعلى أهوال الطبيعة فإننا سوف نرى أية رسالة في التاريخ نحن منتدبون إليها، لأننا نكون قد شرعنا في بناء حياة جديدة، ابتدأت بالجهود الجماعية بدل الجهود الفردية، ولسوف تظهر أمامنا بعد ذلك أعمال جليلة خطيرة، ولكنها سوف لا تخيفنا، لأن شعبنا أخضع التراب، ومهد فيه لحضارته، ولم يعد شعباً يخاف نواب الزمن⁽³⁵⁾.

3.4: الوقت: يريد مالك بن نبي من خلال هذا العنصر أن تعود الأمة عملياً لإدراك قيمة الوقت وكيفية استغلاله، فالوقت "يتدفق على السواء في أرض كل شعب، ومجال كل فرد ولكنه في مجال ما يصير ثروة، وفي مجال آخر يتحول عدماً"⁽³⁶⁾.

فالعالم الإسلامي يعرف شيئاً يسمى الوقت الذي ينتهي إلى العدم؛ لعدم إدراك معنى الوقت ومعنى الزمن، لأن إدراك معنى الزمن يحدد معنى التأثير والإنتاج إذا دخل في تكوين الفكرة والنشاط، فالحياة والتاريخ الخاضعان للتوقيت الذي كان وما يزال يفوتنا قطارهما، فنحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق، وخطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا⁽³⁷⁾.

وذلك إذا حاول كل فرد منا "تخصيص نصف ساعة يومياً لأداء واجب معين فإذا خصص كل فرد هذا الجزء من يومه في تنفيذ مهمة منتظمة وفعالة فسوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة من ساعات العمل لمصلحة النهضة الإسلامية في جميع أشكالها العقلية والخلقية والفنية والاقتصادية والمنزلية، وسيثبت نصف الساعة هنا عملياً فكرة الزمن في العقل الإسلامي، أي في أسلوب الحياة في المجتمع، وفي سلوك أفرادها، فإذا استغل الوقت هكذا فلم يضع سدى ولم يمر كسولاً في حقلنا، فسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي"⁽³⁸⁾.

وبذلك تتحقق النهضة و التنمية المطلوبة. وفي نفس الوقت الذي يؤكد فيه مالك بن نبي على أهمية عنصر الزمن في حركة التنمية وصعودها فإنه يحذر من الاستغراق في العمل والجهد من أجل الإنتاج، حتى لا ننسى الجوانب النفسية في حياتنا كالغرب الصناعي.

5. رهانات التنمية

تراهن التنمية في الوطن العربي عموما على شقين أساسيين لا بد من توفيرهما من تحقيق بعد إستراتيجي يضمن للأجيال صيرورتها و التحكم في متغيرات المستقبل:

1.5 : التنمية على الصعيد الداخلي: يذهب مالك بن نبي في تشخيصه للتنمية و رهاناتها في الدول المتخلفة أنه يجب توفير أسباب الوثبة الاقتصادية التي تحقق أهداف المجتمع في تكريس سياسة تنموية تبعد بها عن خانة المجتمعات المتخلفة، و تتمثل هذه الرهانات - بإيجاز - في :

1.1.5 : فلاحته و هي تزيد أو تنقص بدرجة وسائله البدائية: إن تحقيق الاكتفاء الذاتي يبدأ بالدرجة الأولى بالرجوع بالمجتمع إلى النمط الاقتصادي السائد في المجتمع من القدم، و الراجع أن الجزائر - و المغرب العربي عموما - كانت تعتمد بالدرجة الأولى الزراعة التي هي عصب الاقتصاد، و أن أية نهضة تستهدفها هذه الدول لا بد أن تأخذ بالزراعة في حساباتها. و قد كان القضاء على النمط الزراعي الشائع في الجزائر عن قصد بغية تحطيم النظام الزراعي السائد، و تعويضه بالجانب الصناعي الذي أخذت منه الدول المتخلفة جانب استخراج المواد الخام ، و تركيز الصناعة في المدن من أجل تفريغ القرى من سكانها، و القضاء المبرم على المجتمع، و تحويله من مجتمع يتضامن تضامن آلي إلى مجتمع يتضامن عضوي، و بالتالي تتفكك شبكة العلاقات الاجتماعية. و بالتالي فقدان التماسك الاجتماعي.

و كان اهتمام مالك بن نبي بالفلاحة كمن أجل ضمان لقمة العيش الكريم لكافة أفراد المجتمع.

2.1.5 : ما يملك من مواد خام في السوق و في باطن الأرض : إن التخلص من الهيمنة الأوروبية و دول المركز باستغلال المواد الخام الموجودة و تحليصها من السيطرة الاستعمارية سواء كان ذلك بدأ بعملية التنقيب أو التحويل أو التصدير ، و يرى أن من الواجب على دول العالم الثالث أن تحسن استغلال موادها الخام ليس أن تعمل على تصديرها خاما من الباب، و تستورده مصنعا من النافذة... كل منتج نصدره إلى الخارج كما تنتجه الطبيعة يكون تصديره بالنسبة إلى الحالة الاجتماعية في بلد معين خسارة تحدد اقتصاديا ما يسمى (بلد متخلف)⁽³⁹⁾

3.1.5 : العمل المتوقع الذي يمكن أن نحوله إلى واقع يعد بساعات العمل: تولي النظرية الاجتماعية في أدبيات التنظيم المؤسسة الحديثة جانب الاستثمار في الموارد البشرية عناية كبيرة لما له من دور فعال في تحديد نسبة نجاح المؤسسة اقتصاديا ، لأن الاستثمار المالي وحده غير كاف لإنجاح التنمية دون الاهتمام بالجانب الاجتماعي ، فقد نوفر لقمة العيش لفئة من المجتمع و نترك البقية أفواها تفغر أفواها بحثا عن لقمة العيش، تتوكأ على ما تمنحه فئة "العمل المتوقع" و هي العمال الذين يشتغلون فعلا، مما تؤدي بها إلى الهجرة و تركه من نزيف في طاقاته العاملة أو القادرة على العمل حين تهاجر بحثا عن العمل، و هي غالبا ما تكون ذات كفاءة عالية⁽⁴⁰⁾.

أما المجتمعات التي تلجأ منذ البداية إلى الاستثمار الاجتماعي للإنسان و محاولة تطوير ذاته من خلال الإمكانيات المتاحة و الطاقات الموجودة من خلال معادلة (الإنسان والتراب والزمن)، و يخلص مالك بن نبي إلى ضرورة أن تعي البلدان المتخلفة أن القدرة المالية وحدها لا يبني اقتصادا متينا، بل أن الاستثمار الحقيقي هو الذي يهتم بالجانب الاجتماعي ، أن ليس لها للخروج من مأزق التخلف إلا عن طريق الاستثمار الاجتماعي الذي يتيح لكل السواعد و لكل الأفواه أن تجد قوتها⁽⁴¹⁾.

4.1.5: أولوية الإنتاج على الاستهلاك: إن معادلتني (الحقوق و الواجبات) و (الإنتاج و الاستهلاك) من الأمور التي شغلت فكر مالك بن نبي الاقتصادي. و يوضح تأثيرهما على نمط و حياة المجتمع من خلال الصيغة الرياضية التالية:

$$\text{حق} + \text{واجب} = \text{صفر} . \text{إنتاج} + \text{استهلاك} = \text{صفر}$$

إن التخلص من التخلف و تبعاته السوسيواقتصادية يجب أن يبدأ من نبذ ذهان السهولة و الاستكانة الى الراحة والدعة، الى التشمير عن سواعد الجد و مضاعفة الجهد، و الاهتمام بالإنتاج على حساب الاستهلاك.

2.5: التنمية على الصعيد الخارجي :

1.2.5: مراجعة أسعار المادة الخام في السوق العالمية : و هذا لأن الاستعمار من البداية ربط اقتصاديات الدول النامية باقتصاده، من خلال الزج بالمواد الخام الموجودة في هذه الدول في البورصات العالمية ، أي سوف يؤدي حتما الى انهيار الميزان التجاري في هذه الدول ، لأن قيمة المبيعات لا تساوي شيئا من قيمة المقتنيات التي تفرضها الدول المصنعة. لذا نجد مالك بن نبي يحاول أن يفك العلاقة بين المواد الخام التي تملكها الدول النامية، و بين العملة المتداولة في السوق العالمية، و التفكير بجد و وضع آليات و تدابير جديدة تتماشى مع مكامنزمات السوق لأنه من غير المعقول أن يشتري الغرب المواد الخام بالسعر الذي يراه، و يبيع سلعته كيفما يريد، لذا يقترح "مصرف المادة الخام" عوضا عن مصرف "العملة الصعبة" من خلال وضع تشريعات و قوانين يحمي أسعار المواد الخام من المضاربة ، و ذلك بتوحيد الجهود بين كافة الأطراف و تنسيق بينها في استراتيجيات التنمية لكي تتماشى مع هذا الطرح الجديد .

2.2.5: التكتل الاقتصادي بين دول العالم الثالث: إن التكتل الاقتصادي بين الدول هو ميزة العصر الحديث كما هو موجود في أوروبا في صيغة (الإتحاد الأوروبي) و (الآسيان) بين دول آسيا ، و يبقى الإتحاد هو صمام الأمان للدول الصغيرة لكي لا تلتهم من قبل التكتلات الكبيرة، و تعمل هذه الأخيرة على

التفرقة بين الدول ، و التعامل معها فرادى من أجل فرض شروطها على الآخر. و قد تفتن المفكر مالك بن نبي الى قيمة التكتل و ما ينجر عنه فائدة على المجتمعات المتخلفة. و قد تعرض مالك بن نبي الى فكرة (كومنولث إسلامي) باعتبارها موضوع بحث يرمي الى تخطيط وحدة جغرافية سياسية معينة أو الى مجرد معرفة نظرية للوقوف على معلومات أوسع بشأن هذه الوحدة يوجب أن يتضمن هذا البحث بعض الحقائق الأساسية و المقتضيات التي تميز موضوع البحث و تبرر الحل الذي يراه إيجاداً.

ومن جملة الحقائق الأساسية هي احتفاظ العالم الإسلامي في المرحلة التي يجتازها الآن بـ (وحدته الروحية) التي تعد عاملاً جامعاً أساسياً ومبدأً موحداً يجب أن يطبق، في أي مرحلة لتخطيطه تطبيقاً يناسب تجانس المشروع من الناحية السيكلوجية و تناسق عناصره من الناحية الفنية⁽⁴²⁾.

لذا يدعو مالك بن نبي الدول العربية الى توحيد الرؤية الاقتصادية نظيراً و تطبيقاً و الدخول في الفضاء الاقتصادي العالمي ككتلة موحدة في شكل (السوق العربية المشتركة).

الخاتمة

قدّم مالك بن نبي إسهاما يدخل ضمن إطار الفكر الحضاري عموما، الذي يقدم للإنسانية جمعا فكريا تكرع من معينه أجيالا يتعقبها الزمن، إذ أن سنية الطرح و عمقه لا يعدو أن يكون طرحا متحيزا لجهة دون أخرى، فهو فكر إذا ما تناولته أي جهة مهما موقعها و إيديولوجيتها فحليفها النجاح. ومن النقاط التي نوجزها في الخلاصة حول عملية التنمية عند ابن نبي ما يلي:

1. الارتباط الوثيق بين التنمية و الحضارة، فالتنمية كما يراها مالك بن نبي هي متطابقة مع فكرة الحضارة، ذلك أن النمو حضارة و التخلف انحطاط. و الحضارة في جوهرها عند مالك بن نبي : " هي مجموعة الشروط المعنوية و المادية التي تيسر لمجتمع معين أن يقدم كل فرد ، في كل طور من أطوار وجوده ، من الطفولة إلى الشيخوخة ، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه " أي أن التنمية عند مالك بن نبي تأخذ الثقافة كمحتوى و كوعاء لها لكي تضمن المشاركة الاجتماعية الكلية لها .

2. إن التنمية هي عملية تغيير شاملة تستهدف الظروف البنائية و الوظيفية للمجتمع، فإن ذلك لا يكون إلا بالتكامل و التكتل مع جهات أخرى ، أو داخل النسق نفسه في إطار التكامل بين أعضاء البلدان بين محور طنجة - جاكرتا . و تقوم الاقتصاديات الحديثة على فكرة التكامل و التبادل بين الدولة إذ لا تقوم مشاريع التنمية الكبرى على اقتصاد محلي بل تقوم على أسس علمية متينة، وعليه فإن التكامل بين دول العالم الإسلامي لإرساء ما يسميه مالك بن نبي بـ "الاقتصاد المشترك أو الموحد" صار ضرورة إستراتيجية لتحقيق الهبة الاقتصادية المطلوبة لتحقيق على الأقل الاكتفاء الذاتي، أي الحلقة الاقتصادية التي تستطيع الانغلاق على نفسها إذا اقتضت الضرورة الداخلية ذلك⁽⁴³⁾.

3. ارتباط الجانب التنموي بالجانب الديني الذي يريد التطور و التقدم، إذ أن من شروط هذا الإقلاع أن يربط المخطط و المنظر للتنمية بين عقائد و ثقافة المجتمع

المخطط له، و هي نفس القناعات التي انطلق منها المجتمع السوفياتي و الصيني في تمثّل التنمية كآلية للخروج من التخلف. و قد ضرب مالك بن نبي مثلا عن بناء المسجد النبوي فقد كان الصحابة يحملون حجرا واحدا، و كان عمار بن ياسر يحمل على كتفيه حجرتين ، فرآه الرسول - ص - فقال له : " لكل هؤلاء نصيب في الجنة و أنت لك نصيبان " فقد كان العامل الديني دورا محورا في دفع الصحابي الجليل الى حمل حجرتين مرة واحدة .

و الجانب الروحي و استثمار الطاقة الروحية الكامنة في نفسية الإنسان المسلم لتحقيق الفعالية التي تعد أهم محور ركّز عليه مالك بن نبي في الدفع بالتنمية قدما صوب تحقيق غاياتها القصوى ، و عكس ذلك ما أصاب الأمة من ذهان السهولة و الصعوبة على حد سواء في تعطيل هذا المشروع الاقتصادي في محور طنجة - جاكرتا، هذا الجانب الروحي هو الذي أسس لحضارة الإسلام في قرونها الأولى، حيث فتحت الأمصار و شيدت دول و حضارات انطلقا من الجانب الروحي القوي التي تتمتع بها دولة الإسلام.

4. يرى مالك بن نبي أن وعي الجانب الاقتصادي لا يتم إلا من خلال وضع خطة تربوية في إطارها الثقافي يعيد من خلاله الى الإنسان دوره الطبيعي في الحياة و يزوده بالأفكار الحية، الذي هو حجر الزاوية بالنسبة لأي إقلاع حضاري و تنموي يبقى في حاجة ماسة الى إطار تربوي يخلق من خلاله ثقافة تنموية تكون فيها الأفكار الحية و النافعة دورا فعالا في خلق فرص التنمية و النهوض.

5. الاهتمام بالجانب الفكري إذ يتجه هذا الجانب الى تأطير عملية التنمية بآراء و تصورات فكرية تأخذ على عاتقها تمحيص و نقد المداخل و المذاهب الاقتصادية الكبرى و استثمارها في الواقع العربي والإسلامي ، لناخذ بمستويات الوعي الاقتصادي لتنمية المجتمعات المتخلفة و إعادة صياغة النماذج الإنتاجية و الاستهلاكية و التبادلية و التوزيعية و تحسين المواقف تجاه ركائز الاقتصاد و على رأسها المال. و يكمن إعادة الوعي التنموي للأمة في النقاط التالية :

أ/ التثمين الحقيقي لدور الكميات و الأرقام في تحديد مجال التنمية مقابل الطاقات النفسية و الاجتماعية الكامنة والتي تظل في مرحلة حييسة الاحتمال في حين تصير عند الإقلاع من عناصر الإمكان الاقتصادي.

ب/ إعادة الاعتبار للاستثمار الاجتماعي مقابل الاستثمار المالي و المادي .

ج / إعادة الاعتبار لوظيفة الادخار مقابل وظيفة الاستهلاك .

د / الوعي بعدم عدالة أنماط التبادل القائمة مما يستدعي أنماط جديدة أو على الأقل التفكير في أنماط جديدة نابعة من التصور السليم للقيمة مادامت المذاهب الاقتصادية هي التي تصنع أنماط تبادلها.

6. مراعاة الجانب الاجتماعي و المعيشي، إذ يؤكد مالك بن نبي على المستوى الاجتماعي أن توازن المجتمع بين الحق و الواجب، بين الإنتاج و الاستهلاك ، هي المعادلة التي يستقيم من خلالها المجتمع و يحقق المعادلة الاجتماعية المطلوبة التي هي شرطا أساسيا من شروط النهوض التنموي .

و يقصد مالك بن نبي بالجانب المعيشي عن الحق في التأمين الاجتماعي، الذي ينطلق في تأمين حد الكفاف من العيش ، فإن توفير لقمة العيش لحفظ النوع يعد طرفا حاسما فيما يسميه مالك بن نبي " بتحقيق الديناميكا الاقتصادية " إذ لا يمكن تصور اقتصاد تنمية بطريقة مستقلة عن اقتصاد متين لتحقيق القوت⁽⁴⁴⁾ .

و الشعب الذي يقوم بعملية التنمية هو الشعب الذي يملك الحد الأدنى من قوته ليفعل آليات التعمير و سبل النهوض.

7. الجانب السيكولوجي: أثر بُعد الإنسان المسلم عن دينه في مجال التشريع للمجتمع على الناحية النفسية للإنسان التي تتطلب نفسية مرتفعة تعلق من خلالها همم الأفراد و الجماعات داخل المجتمع، و تركز المداخل الحديثة في التنمية على الجانب السيكولوجي كثيرا لما له من أثر على المردود التنموي كما يوضح ذلك (دافيد ماكيلاند)، و(دانيل لرنر) و(وافرت هيجن) في المدخل السيكولوجي

للتنمية الذين يذهبون الى أن درجة الدافعية أو الحاجة الى الإنجاز هي الدعامه الأساسية للتنمية الاقتصادية ، وأن تغيير الاتجاهات والقيم و السلوكيات تعد شرطاً أساسياً لخلق مجتمع حديث.

8 - التأكيد على الجانب التخطيطي، فإذا كان التخطيط يعرف بأنه الموازنة بين ما هو مطلوب و ما هو متاح عملياً، و هو يعني تعبئة و تنسيق و توجيه الموارد و الطاقات و القوى البشرية المتاحة لتحقيق أهداف اقتصادية أو اجتماعية متفق عليها . ومنه لا يمكن قيام عمل تنموي في غياب تخطيط علمي يسمح بتطبيق الخبرات و التجارب على الصورة المرجوة. لذا يؤكد مالك بن نبي على ضرورة الأخذ في الحسبان الإنعاش الزراعي و الموازنة مع المتطلبات الصناعية و المتطلبات الزراعية بما يتماشى و الإمكانيات المتوفرة في العالم الإسلامي، و بما يقتضيه سلم الأولويات في التنمية. و في هذا المستوى يتحدث مالك بن نبي عن تخطيط التنمية بتحديد الأهداف النهائية و المرحلية و إحصاء الإمكانيات المتوفرة و اللازمة بالطرق العلمية لا التخمينية، و وضع حسابات دقيقة للمراحل التي يجب أن تجتازها المرحلة، و تكييف ظروف الإسكان و المواصلات و التموين لمتطلبات التنمية.

9 - البعد الثقافي للتنمية عند مالك بن نبي، و هو طرح جديد بالنسبة لنظرية التنمية ، إذ أن التكامل بين الإنسان و التراب و الزمن ، في تلاحم هذه الأعضاء بالدين ، يؤدي إلى إيجاد الشروط المادية للحضارة، و التي تتمثل في إيجاد صيغة أخلاقية للحقوق و الواجبات في المجتمع .

10 - توفير الإرادة للتنمية، فهي عكس الركود و التكديس و الذرية و الشئئية، إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه، و هذا بمقتضى قوله تعالى : (إن الله لا يغيروا ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). و إرادة التنمية هي محور الابتعاث و مكنم القوة التغييرية لدى أي شعب. لأن الاقتصاد في عرف مالك بن نبي ما هو إلا إسقاط

البعد السياسي على نشاط إنساني معين، فبقدر ما تبقى السياسة مرتبطة بمبادئ أخلاقية معينة، يبقى الاقتصاد وفيًا للمبادئ ذاتها .

11 - ضرورة الإتحاد و التكتل من أجل بناء الحضارة بين الدول الإسلامية أو بين الدول العربية، فقد طرح مالك بن نبي فكرة " محور طنجة _ جاكرتا "، و فكرة " كومنولث إسلامي " و الذي اهتمت إليه دول آسيا في ما يعرف بـ (دول الآسيان) أو طريقة (طيور الأوز)، فيما ما بقي المشروع يراوح مكانه بين الدول العربية كـ (مجلس التعاون الخليجي) أو (إتحاد المغرب العربي).

❖ هوامش البحث

- (1) مالك بن نبي، آفاق جزائرية، ط2، مكتبة عمار، مصر، 1964، ص 23.
- (2) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط2، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، دار الدعوة، القاهرة، 1970، ص43.
- (3) مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1960، ص27.
- (4) مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مرجع سبق ذكره، ص27.
- (5) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص 80.
- (6) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ط3، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1978، ص 36.
- (7) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط4، دار الفكر ترجمة عبد الصبور شاهين. إشراف ندوة مالك بن نبي. الجزائر، ص14.
- (8) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص 153.
- (9) مالك بن نبي، تأملات، ط5، دار الفكر، إشراف مالك بن نبي، الجزائر، ص 166.
- (10) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص70.
- (11) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص74.
- (12) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص74.
- (13) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص77.
- (14) عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1984، ص53.
- (15) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص91.

- (16) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص 96.
- (17) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص 27.
- (18) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره، ص 38.
- (19) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره، ص 42.
- (20) كمال التابعي، تغريب العالم الثالث ، دراسة نقدية في علم الاجتماع التنمى ، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1995، ص 151
- (21) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سبق ذكره، ص 67.
- (22) مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص 60.
- (23) مالك بن نبي، تأملات، مرجع سبق ذكره، ص 125
- (24) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص 78.
- (25) مالك بن نبي، شروط النهضة، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص 83.
- (26) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره، ص 101.
- (27) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص 89.
- (28) مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سبق ذكره، ص 79.
- (29) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص 96.
- (30) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره، ص 105.
- (31) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سبق ذكره، ص 17.
- (32) ملك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص، ص 96، 95.
- (33) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص 108.
- (34) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص 112.

- (35) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص، ص 135، 136.
- (36) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص، ص 135.
- (37) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص 140.
- (38) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سبق ذكره، ص، ص 140، 141.
- (39) مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، مرجع سبق ذكره، ص 188.
- (40) مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، مرجع سبق ذكره، ص 194.
- (41) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص 62 .
- (42) مالك بن نبي، فكرة كومونولث إسلامي، ط6، دار الفكر ، دمشق، سوريا، 2006، ص12.
- (43) مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سبق ذكره، ص 107.
- (44) مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، مرجع سبق ذكره، ص 161.

الدراسات النفسية

تقييم وضعيات تقويم الكفاية في السيورة الديدائكية

دراسة ميدانية

الأستاذة: ليلي دامخي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

استهدفت الدراسة رصد مستوى توظيف المعلم للتقويم في الوضعيات التعليمية داخل السيورة الديدائكية، لبناء مؤشر الكفاية وكذا الكفاية القاعدية. ولتحقيق هذا الهدف تم انتقاء أداة "شبكة الملاحظة" قصد تقييم أداء المعلم في كل الوضعيات التعليمية. و طبقت الدراسة على عينة من معلمى المرحلة الابتدائية، والمتوسطة. مثلت "4 معلمين" تم ملاحظة أداءهم في "06 مواد دراسية. وقد كشفت النتائج على أن مستوى توظيف المعلم للتقويم في كل الوضعيات التعليمية مثل نسبة ضئيلة. وفسر هذا بافتقار المعلم ليس إلى التكوين بمقتضيات التدريس بالكفايات فقط، بل إلى التكوين الديدائكي والنفسي والبيداغوجي .

Abstract :

The aim of this search is to discover the level of the use of the evaluation by teacher in learning positions inside didactic process to build the indicator of competence and basic competence. To realize this purpose; we chose the observation card to estimate the performance of the teacher in all learning positions. The search applied on sample of teachers of primary and middle stages; presents four teachers, and then we notice their performance in six subjects. We find that the level of the use of teacher to the estimation in all learning positions presents low percentage and this is not explained the absence of teacher's training of requirements of teaching competence only but the absence of didactic, psychic, and pedagogic training too.

إن التحديات الحالية التي فرضتها الحداثة غيرت من معادلة التقدم الحضاري الذي أضحى مقترنا بمستوى الاستثمار في المجال البشري. و قد دفع هذا بالعديد من المنظومات التربوية، لإعادة توجيه مراميها نحو الاهتمام بمؤهلات الفرد المعرفية لتحقيق الجودة كمواصفة للمتح الفرف المستهدف من التربية.

وقد مثل نموذج " مقارنة الكفايات " الاختيار البيداغوجي لإصلاح المنظومة التربوية الجزائرية. حيث تم إجرائيا تغيير مضامين الكتب المدرسية حتى توافق النموذج الإصلاحى. غير أن هذا التغيير فرض أيضا تغييرا في الممارسات البيداغوجية المتعلقة بالتدريس والتقويم كفعل لا يقل أهمية عن باقي عناصر المنهج التعليمى. إذ أن التقويم في ارتباطه العضوى بالتدريس، يخبر عن مستوى بلوغ المقاصد التربوية، ليس هذا فحسب بل تصحيح الثغرات في الفعل التعليمى / التعليمى بما يرفع من فعالية الأداء.

و انطلاقا من هذا تأتي هذه الدراسة التقييمية لمحاولة رصد مستوى توظيف المعلم لأساليب التقويم داخل السيرورة الديداكىكية لتحقيق الكفاية المستهدفة على مستوى الدرس وكذا الوحدة التعليمية.

أولا: تحديد مشكلة الدراسة

ترتكز بيداغوجيا الكفايات على نموذج متمركز حول المتعلم متأسس على مرجعية معرفية " لجون بياجى و برونر"، في اهتمامهما بالعمليات المعرفية لدى المتعلم التى تنتهى به إلى صناعة المعرفة، واكتساب مهارات يوظفها في حل وضعيات أو مشكلات عملية في الحياة المدرسية أو خارجها. غير مسبوقة و تتسم بنوع من التعقيد، كما أنها تعبر عن إبداع المتعلم. هذا التحول في فلسفة التعلم شكل تحديا لدى العديد من المنظومات التربوية، لإعادة توجيه غاياتها نحو الاهتمام بالمؤهلات المعرفية للفرد لبلوغ مستوى الجودة والتميز في الأداء. وهو ما

دفعها لتبني مقاربة جديدة في التعليم تنسجم والمتطلبات الحداثية. ولدواعي تتعلق بتحقيق الفعالية في المخرجات التعليمية، عكف المشرفون على شؤون التربية في المنظومة التربوية الجزائرية على إصلاح المناهج التعليمية. وهو ما يبرز نوعاً من التحول في التوجه نحو الاهتمام بفلسفة التكوين، بتبني المقاربة بالكفايات كضرورة بيداغوجية، فرضتها الحاجة إلى تحقيق النجاح في التربية. حيث تم استحداث مقررات ومضامين تعليمية في المنهاج المدرسي وفق بيداغوجيا الكفايات. غير أن بلوغ الفعالية في الأداء منوط حقيقة- في جانب منه- بالدور الذي يلعبه التقويم باعتباره مقوم أساسي في نجاح الفعل البيداغوجي. خاصة إذا تم تفعيله داخل السيرة الديدانكتيكية بصورة تسهم تدريجياً في بناء مؤشر الكفاية على مستوى الدرس، والكفاية القاعدية على مستوى الوحدة التعليمية، ضمن ما يسمى بالوضعية الإدماجية. إذ أن التقويم يقدم لنا في كل وضعية مؤشراً على مستوى الأداء والمسافة التي تفصل أداء التلميذ عن الأداء المتوقع، كتغذية راجعة تعدل أو تدعم الاستراتيجيات التعليمية/ التعلمية نحو بلوغ الهدف. وفي المقابل فإن اعتماد التقويم كأداة لقياس ومراقبة المنتوج التعليمي للتلميذ كفعل معزول عن التدريس، دون تفعيله داخل السيرة الديدانكتيكية، من شأنه أن يعيق بلوغ تلك الغايات المحددة للفعل البيداغوجي وفق هذه المقاربة.

و تأسيساً على ما سبق فإن السؤال الذي يطرح يتعلق بمدى توظيف المعلم لوضعيات التقويم داخل السيرة الديدانكتيكية؟ يندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية :

- 1- ما مدى توظيف المعلم للتقويم داخل السيرة الديدانكتيكية على مستوى وضعية الانطلاق لبناء مؤشر الكفاية ؟
- 2- ما مدى توظيف المعلم للتقويم داخل السيرة الديدانكتيكية على مستوى وضعية بناء التعلّيمات لبناء مؤشر الكفاية ؟

3- ما مدى توظيف المعلم للتقويم داخل السيرورة الديدداكتيكية على مستوى وضعية استثمار المكتسبات لبناء مؤشر الكفاية ؟

4- ما مدى توظيف المعلم للتقويم داخل السيرورة الديدداكتيكية على مستوى نشاط الإدماج لبناء الكفاية القاعدية ؟

ثالثا: أهداف البحث

* رصد مستوى توظيف المعلم للتقويم ضمن كل وضعية من الوضعيات الديدداكتيكية.

* تقييم وضعية بناء الكفاية القاعدية على مستوى النشاط الإدماجي .

* إثراء الرصيد العلمي والتربوي الذي ربما يتيح لنا تقديم نتائج تساعد في تعميق فهمنا للمشكلات التربوية ومحاولة تجاوزها.

رابعا: أهمية البحث

* يعد البحث في موضوع بيداغوجيا الكفايات جديد جده هذه المقاربة في مناهجنا التعليمية التي مثلت الإصلاح التربوي الحالي للمدرسة الجزائرية بأطوارها الثلاث.

* أهمية الموضوع المطروح والمتعلق بجانب هام من الفعل الديدداكتيكي، والمرتبط بوضعيات تقويم الكفاية لدى التلميذ .

خامسا : تحديد مفاهيم البحث

1. تقييم: قياس مدى توظيف المعلم لوضعيات التقويم داخل السيرورة الديدداكتيكية.

2. المقاربة بالكفايات: إستراتيجية تعليمية تتضمن إكساب المتعلم مجموعة القدرات والمهارات المدججة التي يوجهها المتعلم باستثمارها في حل وضعية - مشكلة جديدة.

3. وضعيات التقويم: تمثل الوضعيات التعليمية التي يوظف فيها المعلم التقويم المناسب بصورة تنسجم وأهداف كل وضعية ديداكتيكية.
4. السيرورة الديداكتيكية: هي الخطط والوضعيات التي يعتمدها المعلم في توجيه التلاميذ نحو تحقيق الهدف البيداغوجي وتشمل :
 - 1.4 وضعية الانطلاق: هي المرحلة التي يتم فيها معرفة مدى تحكم التلميذ في المعارف السابقة التي لها علاقة بأنشطة الدرس، وذلك لتحديد مستوى التلميذ والتمهيد للمراحل اللاحقة.
 - 2.4 وضعية بناء التعليم /التعلم: تمثل المرحلة التي يتم فيها بناء التعلمات الجديدة استنادا إلى وضعيات "مشكلات" يعتمد فيها المعلم على الاستراتيجيات التعليمية والتقويمية.
 - 3.4 وضعية الاستثمار والتوظيف: تمثل المرحلة التي يتم فيها توظيف مكتسبات الدرس ضمن وضعية يحقق بها التلميذ مؤشر الكفاية.
 - 4.4 الوضعية الإدماجية: هي الوضعية التي يتم فيها وضع التلميذ أمام مشكلة غير مسبوقة تتيح له إدماج وتجنيد مكتسباته السابقة في حلها.

الإطار النظري للدراسة

أولا: مفهوم المقاربة بالكفايات

1. مفهوم المقاربة

جاء في معجم علوم التربية معنى المقاربة على أنها كيفية دراسة مشكل أو معالجته أو بلوغ غاية ، وترتبط بنظرة الدارس إلى العالم الفكري الذي يجذبه فيه لحظة معينة وترتكز كل مقاربة على إستراتيجية للعمل (نظريا: إستراتيجية، طريقة ، تقنية) (تطبيقيا : إجراء، تطبيق، صيغة، وصفة). كما تختلف أشكال المقاربات من مقاربة تحليلية إلى مقاربة بيداغوجية إلى مقاربة تقنية⁽¹⁾.

2. مفهوم الكفاية

قبل أن نقدم مفهومًا للكفايات في معناها الاصطلاحي نحاول أن نزيل اللبس الذي يحصل باعتماد مفهوم للكفاءة بدل مفهوم الكفاية، من خلال المفهوم الذي قدمه "عبد الرحمن التومي" وتمكن من الفصل في الموضوع بطريقة علمية استنادًا إلى مرجعيات لغوية. فلفظ الكفاءة يعني المثل والنظير في قوله تعالى " ولم يكن له كفؤًا أحد" في حين لفظ كفاية تعني سد الخلة أو بلوغ المراد من الأمر، ووجد أن الصواب هو كفاية من فعل كفى⁽²⁾.

و قد جاء في معجم علوم التربية مفهوم الكفاية على أنها قدرة فرد أو مؤسسة على الإنتاج، وكلما كانت الكفاية الإنتاجية عالية دل ذلك على أن الإنتاج يتصف بالوفرة والتنوعية الجيدة. فالطالب ذو الكفاية العالية يحصل على مقدار أكبر في وقت قصير وبجهد قليل. ويرتبط المفهوم في المجال البيداغوجي بالتنوعية و المردودية العالية في التحصيل⁽³⁾.

وقد ذهب "محمد الدريج" إلى إعطاء مفهوم الكفاية اعتمادًا على خلفية وجود فهمين رئيسيين هما الفهم السلوكي البيهافوري والفهم الذهني المعرفي، ويتلخص في كون الكفاية إمكانية غير مرئية تتضمن عددًا من الانجازات و الأداءات، غير أنها قابلة للاكتساب بواسطة التعلم⁽⁴⁾.

فالمهارات والقدرات التي تكون الكفاية لا يمكن أن نقيسها أو نكشف عنها إلا من خلال السلوكات الظاهرية التي تمثل نشاط المتعلم، لهذا فالكفاية تمثل تجاوزًا للتصور السلوكي المتخشب الآلي للأهداف لأنها ليست سلوكية بحد ذاتها، ولكن سلوكيتها تستمد من النشاط الوظيفي الهادف الذي يصدر عنها، والذي يتضمن عمليات عقلية ومهارات علمية تنظم في خطوات إجرائية⁽⁵⁾ توجه في أداءات خارجية نحو أداءات إجرائية تمثل المستوى الأول من الكفايات.

ويعتبر "جاردنير H. rGardne" مفهوم الكفاية معادلة لمفهوم الذكاءات المتعددة التي تعتبر مقارنة لأجراة مفهوم الكفاية ، لأنه يقدم مجموعة من الكفايات القصوى التي تمثل الامتياز والجودة على اعتبار أنها حالة تقترب من المطلق ومن مستوى الانجاز من درجة عالية والتي لا يتمكن منها إلا النزر القليل⁽⁶⁾

في مقابل هذا النوع هناك كفايات دنيا تمثل حسب "دولاند شير" قدرة على القيام بمهمة ما بشكل ملائم و يرادف معنى الدرجة السفلى من المعارف والمهارات⁽⁷⁾ فالكفاية إذن تمثل المهارات والقدرات المحققة لدى المتعلم والتي يدمجها في حل وضعيات غير مسبوقة تعد مؤشرا لتحقيق الكفاية التي قد تصل إلى حد التمام لدى المتعلم.

ثانيا : مفهوم الديدكتيك

جاء في معجم مصطلحات علوم التربية أن ديداكتيك "Dedactique" يمثل الدراسة العلمية لتنظيم وضعيات التعلم . ويهدف هذا العلم إلى وضع الاستراتيجيات البيداغوجية المتعلقة بشروط إعداد الوضعيات (المشكلات) المقترحة على التلميذ قصد تيسير تعلمه .

ويرتبط مفهوم الديدكتيك بتخطيط التعليم "السيرورة الديدكتيكية" والمتضمنة للوسائل الديدكتيكية الضرورية للفعل البيداغوجي. ويهتم الديدكتيك ببناء الأهداف ويدخل ضمن هذا المجال الصناعات ، وطرق واستراتيجيات التعليم وإيصال المعارف والمهارات وكذا طرق وأدوات التقييم⁽⁸⁾ .

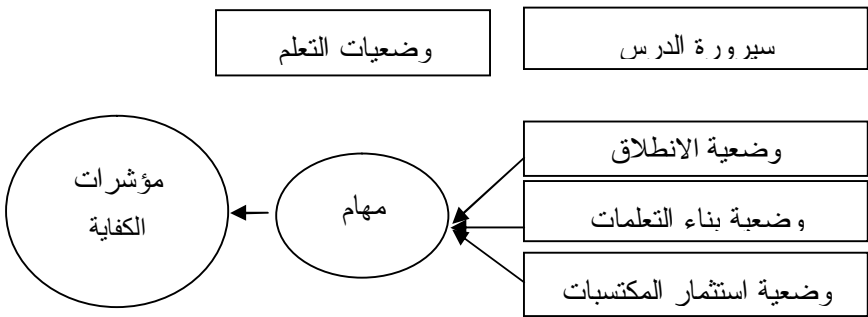
فالديدكتيك يمثل الفعل التعليمي للمدرس ويرتبط بتخطيط الوضعيات التعليمية وتنظيم الوسائل الديدكتيكية ووضعيات التقييم بما يحقق الأهداف التعليمية.

ثالثا : تقويم وضعيات بناء الكفاية

تعني الوضعية التعليمية مجموعة من المعلومات المسيقة "Contextualisé" التي يطلب من التلاميذ مفصلتها بهدف انجاز عمل محدد. ويكتسي مصطلح وضعية في ظل المقاربة بالكفايات وضعية تضع عائقا معيناً تبعا لسلسلة من التعلّمات⁽⁹⁾ تخلل التوازن المعرفي للتلميذ ، وحتى يستعيد ذلك التوازن يستثمر قدراته المعرفية ومكتسباته السابقة ويوظفها لينتهي في النهاية إلى حل المشكل . وهي-حسب شارل دولورم – أي المكتسبات السابقة تمكن الفرد من رد فعل مناسب في الأوضاع الحرجة⁽¹⁰⁾.

فالبيداغوجيا الموجهة صوب الكفايات تعبر عن تحول من التعلم المتمركز حول المواد حيث يتم التأكيد على المعارف إلى تحديد الاعمال التي يتوجب على التلميذ ان يكون قادرا على القيام بها بعد التعلم⁽¹¹⁾. ولذا فان الفعل البيداغوجي المتمركز حول المتعلم يجعل المتعلم واعيا بضرورة تعلماته و مسؤولا عن مكتسباته ومستقلا في اختيار أنسب الاستراتيجيات الذهنية لمواجهة تحديات التعلم. ويستلزم بناء الوضعيات تخطيطا للضرورة الديدكائيتكية على مستوى وضعيات التعلم⁽¹²⁾.

ويمكن أن نمثل ذلك بالترسيمة التالية:



ترسيمة رقم (1) للوضعيات الديدكائيتكية

وتهدف وضعية الانطلاق إلى تقويم المكتسبات السابقة للتلميذ أي التعرف على تعلماته الضرورية لتحقيق كفاية الدرس⁽¹³⁾.

ويؤدي هذا النوع من التقويم وظيفة تشخيصية لنقاط الضعف و القوة لدى التلميذ، بما يوفر تغذية راجعة "Feedback" تفيد في إزالة العوائق المعرفية لدى التلميذ التي تحول دون تمثله للخبرة الجديدة . وحتى يتمكن المعلم من التخطيط للمراحل اللاحقة .

وترتكز الوضعية الديدانكتيكية في مرحلة بناء التعليم / التعلم على الوضعية المشكلة التي تشكل الحافز للمتعلم لتحريك قدراته المعرفية. وإدماج المكتسبات القبلية وتوظيفها بأسلوب يمكنه من حل الوضعية وبناء التعلّمات. ويتخلل سير هذه العملية البنائية التقويم التكويني الذي يعد ضروري لتفعيل الجودة وضمان تطويرها على مستوى الدرس، بما يوفر تغذية راجعة لتعديل الاستراتيجيات التعليمية / التعلمية. والتي تمكن المتعلم من متابعة سيرورة تعلمه في شكلها التصاعدي⁽¹⁴⁾.

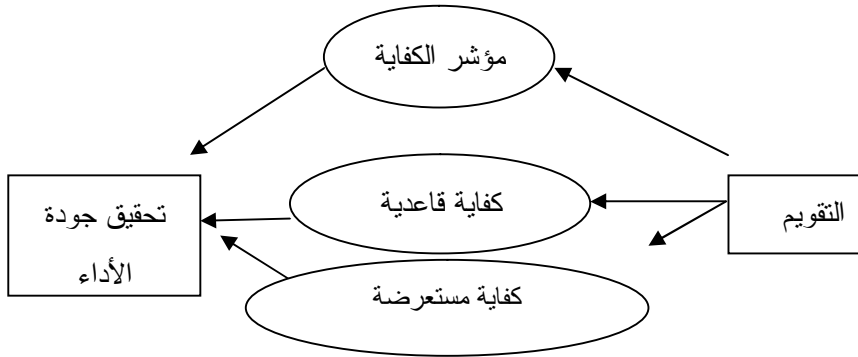
فالوضعية التعليمية / التعلمية يجب أن تصمم بطريقة تستهدف إنتاج المعرفة. وهذه الممارسة لا تقف عند حدود إدماج المعرفة و استدخالها، بل تتجاوز بكثير إلى مستوى خلقها وإبداعها. وهي بهذا تشكل الممارسة البيداغوجية المنسجمة مع مقاصد بيداغوجيا الكفايات⁽¹⁵⁾.

وإيصال التلاميذ إلى مستوى الخلق لن يتأتى إلا إذا تم بناء وضعيات تقويمية تقيس مستويات عليا من التفكير .

وتهدف الوضعية الختامية المتعلقة بالاستثمار والتوظيف إلى تقويم التعلّمات المحققة خلال الدرس " مؤشرات الكفاية " ، وتتضمن الوضعية مشكلة يطلب من التلميذ حلها بتوظيف مكتسباته المعرفية والسلوكية اعتمادا على سند إن وجد⁽¹⁶⁾.

و يعتمد بناء الكفاية القاعدية في نهاية الوحدة التعليمية على مؤشرات الكفاية المحققة من عدة دروس تتضمنها الوحدة التعليمية. إذ تعتمد على قدرة المتعلم على إدماج المكتسبات القبلية في حل الوضعية الإدماجية التي تقدم مؤشرا دالا على تحقق الكفاية القاعدية. وتمثل طريقة المشروع أفضل وضعية لتحقيق الغاية الإدماجية⁽¹⁷⁾.

فالتقويم يأخذ صفة الاستمرارية بما يتيح بلوغ درجة الجودة في الأداء، انطلاقا من تقويم مؤشر كفاية للوصول في النهاية إلى كفاية مستعرضة. ويمكن تمثيل ذلك بهذه الترسيمة :



ترسيمة رقم (2) تمثل تقويم تدرج الكفاية "

فبلوغ أهداف تكوين الكفاية منوط بالدور الذي تلعبه أدوات التقويم في التعديل والتدعيم لمكتسبات التلميذ بما يضمن تحقيق الفعالية التربوية ، ويرصد "كاردينني Cardinet" في ذلك لتقييم الكفاية هدف هام يتعلق بتحسين القرارات البيداغوجية بخصوص التعلم بغاية الرفع من جودة المكتسبات والمساهمة في تحقيق الجودة النوعية والكمية⁽¹⁸⁾.

رابعا : بيداغوجيا الكفايات كمقاربة للإصلاح التربوي في الجزائر

طرح مشكل نقص الفعالية في المنتج التربوي كأهم الدواعي الأساسية لإصلاح المنظومة التربوية الجزائرية. و التفكير في التخلي عن نموذج بيداغوجيا الأهداف وتبني نموذج آخر يكون أكثر تجاوبا مع التحديات المفروضة محليا وعالميا. وكانت أول خطوة نحو تجسيد هذا المشروع في المدرسة الجزائرية تشكيل اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية بأمر من رئيس الجمهورية لبناء مشروع مدرسة جديدة تدخل الجزائر في الألفية الثالثة لتواكب الأمم المتقدمة بالاعتماد المكثف على وسائل عصرية و تكنولوجية⁽¹⁹⁾.

وقد تضمن المشروع إصلاح المناهج التعليمية الذي شرع فيه فعليا ابتداء من العام الدراسي "2003 - 2004" بتبني المقاربة بالكفايات لتكون البيداغوجيا المناسبة للتحويلات الاقتصادية خاصة نظام اقتصاد السوق القائم على المنافسة في أبلغ صورها .

وبناء على المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة الخاصة بإصلاح التعليم الأساسي ونتائج التقرير الخاص بإصلاح النظام التربوي الجزائري الذي قام به كل من " بيلوتير و فاشون " (2000) تم تبني المقاربة بالكفايات كبديل لبيداغوجيا الأهداف . ورافق ذلك إصلاح المنهاج والكتب المدرسية قصد الانتقال من فلسفة التعليم إلى فلسفة التكوين⁽²⁰⁾. التي تقوم على سؤال جوهرى "كيف نكون المتعلم" ؟ و نرفع من أداءه إلى مستوى الكفاءة المطلوبة للتكيف مع المشكلات المحلية و العالمية.

خامسا : صعوبات تطبيق الكفاية على المستوى الديدداكتيكي

إن جوهر الفعل الديدداكتيكي في بيداغوجيا الكفايات هو مركزية المتعلم في العملية التعليمية، ذلك أن تحقيق الكفاية المنشودة منوط بهذه الوضعية، التي تسمح للمتعلم بتوظيف قدراته إلى الحد الذي يمكنه من تكوين الكفاية. والمستطلع للواقع التربوي - حسب أوحيدة- يكشف عن عدم الانسجام بين أهداف "تكوين الكفاية عند المتعلم" والفعل الديدداكتيكي الذي لا يزال متركزا حول المعلم، حتى مع التغيير الذي حصل على مستوى المضامين التعليمية⁽²¹⁾.

إذ أن التغيير على مستوى الغايات التربوية يفرض تغييرا كليا لكل أجزاء المنظومة التربوية. وقد ذكر "محمد الرباحي" أن نجاح بيداغوجيا الكفايات ينبغي أن يتم الاستثمار فيه للرأسمال البشري بشكل نسقي بما يحمله هذا المفهوم من دلالة. أي أن تتم عملية الغرس لهذا النموذج داخل المنظومة التربوية وفق أهم الشروط الضرورية لتأهيله للوظيفة التربوية المنشودة. وهي شروط ترتبط أساسا بملائمة مختلف عناصر بنية المنظومة التربوية⁽²²⁾.

فالضرورة البيداغوجية لتحقيق الجودة في الأداء التعليمي تملّي وضع مدروس ومخطط له من قبل المشرفين على شؤون التربية. بما ينسجم ومتطلبات النموذج البيداغوجي. ويؤكد "بوتكلاي" في ذلك أن لزوم تغيير المضامين على مستوى المناهج والمقررات تغيير الممارسات ومنهجية العمل الديدداكتيكي⁽²³⁾. فمسألة تكوين المعلمين للتدريس بالكفايات هو الجانب الذي غيب في إصلاح المناهج التعليمية. حيث وجد المعلم نفسه أمام مهام جسام أرقّت مضجعه لزم عليه الإحاطة بكنهها حتى يتمكن من أداءه للفعل التعليمي على أكمل وجه. كما أن التقويم لا زال قابعا في المستويات الدنيا من هرم الأهداف المعرفية المتنافي مع متطلبات هذه البيداغوجيا.

ويبرر "أوحيدة" هذا الوضع بأننا لم نعط للمعلم التقنيات العملية التي تساعده على توظيف المستويات العقلية العليا، ونطالبه بالابتعاد عن الأسئلة التي

تعتمد على الذاكرة. والتركيز على قياس القدرات العليا لديه أثناء تحضير الدروس وإنشاء المواقف والوضعيات وصياغة الأسئلة⁽²⁴⁾.

الإطار الميداني للدراسة :

أولا : إجراءات الدراسة الميدانية

1- المنهج: بقصد الإجابة على أسئلة الدراسة اعتمدنا المنهج الوصفي الذي يقوم على استقصاء ظاهرة معينة بقصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها. وقد تم اختيار الأسلوب الاستكشافي للكشف عن طبيعة الظاهرة وأهم المتغيرات المرتبطة بها.

2- المفاهيم الإجرائية للدراسة:

- وضعيات تقويم الكفاية : وتمثل الدرجة الكلية التي يتم رصدها على شبكة الملاحظة الخاصة بتقييم وضعيات تقويم الكفاية .
- وضعية الانطلاق : وتمثل الدرجة التي يتم رصدها على شبكة الملاحظة الخاصة بتقييم وضعيات تقويم الكفاية على مستوى وضعية الانطلاق.
- وضعية بناء التعليم/ التعلم : وتمثل الدرجة التي وتمثل الدرجة التي يتم رصدها على شبكة الملاحظة الخاصة بتقييم وضعيات تقويم الكفاية على مستوى وضعية بناء التعليم/ التعلم.
- وضعية الاستثمار والتوظيف: وتمثل الدرجة التي يتم رصدها على شبكة الملاحظة الخاصة بتقييم وضعيات تقويم الكفاية على مستوى وضعية الاستثمار والتوظيف.
- الوضعية الإدماجية: وتمثل الدرجة التي يتم رصدها على شبكة الملاحظة الخاصة بتقييم وضعيات تقويم الكفاية على مستوى النشاط الإدماجي.

3- بناء الأداة: مكننا الاطلاع على الأدب التربوي في بيداغوجيا الكفايات والوضعيات الديدداكتيكية وفق هذه المقاربة من بناء شبكة ملاحظة تضمنت (4) أبعاد " وضعيات ديداكتيكية " مثلت الوضعية الأولى " وضعية الانطلاق بـ (03) بنود. والوضعية الثانية" وضعية بناء التعلّيمات " بـ (08) بنود ، والوضعية الثالثة "وضعية الاستثمار والتوظيف" بـ(3) بنود . والوضعية الإدماجية" بـ (3) بنود تم وضع بديلين للإجابة "جيد" و"ضعيف".

4- مجتمع الدراسة وعينة البحث: قمنا باختيار - بطريقة عرضية - عينة من معلمي المرحلة الابتدائية، والمتوسطة بلغ عددهم " 4 " معلمين لملاحظة أداءهم في " 06 " مواد دراسية هي: الرياضيات، القراءة، تاريخ، تربية إسلامية، فرنسية، تربية علمية.

5- طريقة التصحيح والحصول على الدرجات الخام: تم تصحيح شبكة الملاحظة بمنح علامة (نقطة) للأداء المناسب لما هو ملاحظ. وقد استخدمنا طريقة التكرار المئوي المناسب لمعالجة بيانات الدراسة.

6- المعالجة الإحصائية: اعتمدنا في هذه الدراسة لمعالجة البيانات الخام على ما يلي :

$$\text{معادلة التكرار المئوي}^{(25)}: \text{ت م} = \frac{\text{مجم س}}{100} \times \text{س}$$

ثانيا: عرض وتفسير نتائج البحث

1- عرض نتائج البحث:

1-1 عرض نتائج السؤال الأول :

نص السؤال الأول: ما مدى توظيف المعلم للتقويم داخل السيرورة الديدداكتيكية على مستوى وضعية الانطلاق لبناء مؤشر الكفاية.

للإجابة عن هذا السؤال قمنا بحساب التكرار المتوي على شبكة الملاحظة. و قد
 تحصلنا على النتائج التالية كما هي مبينة في الجدول:
 "جدول رقم (1) يبين نتائج تقييم وضعيات التقويم على مستوى وضعية الانطلاق"

الوضعيات الديدانكتيكية				رقم البند
وضعية الانطلاق				
ضعيف		جيد		
%	ع	%	ع	
٪83.33	5	٪16.66	1	1
٪66.66	4	٪33.33	2	2
٪66.66	4	٪33.33	2	3

يتبين من الجدول أن توظيف المعلم للتقويم على مستوى وضعية
 الانطلاق مثل نسبة ضئيلة جدا. خاصة منها المتعلقة بجانب مهم يرتبط بالوضعيات
 التقويمية على مستوى السيرورة الديدانكتيكية.

1-2 عرض نتائج السؤال الثاني :

نص السؤال الثاني : ما مدى توظيف المعلم للتقويم داخل السيرورة الديدانكتيكية
 على مستوى وضعية بناء التعليمات لبناء مؤشر الكفاية.
 للإجابة على هذا السؤال قمنا بحساب التكرارات على شبكة الملاحظة. وقد
 تحصلنا على النتائج التالية كما هي موضحة في الجدول التالي:

"جدول رقم (2) يبين نتائج تقييم وضعيات التقويم على مستوى وضعية بناء التعلّيمات

الوضعيات الديدداكتيكية				رقم البند
وضعية بناء التعلّيمات				
ضعيف		جيد		
%	ع	%	ع	
٪83.33	05	٪16.66	01	1
٪66.66	04	٪33.33	02	2
٪66.66	04	٪33.33	02	3
٪50	03	٪50	03	4
٪83.33	05	٪16.66	01	5
٪100	06	٪0	0	7
٪100	06	٪0	0	8
٪100	06	٪0	0	9

يتضح من الجدول أن مستوى توظيف التقويم ضمن هذه الوضعية ضعيف . خاصة ما تعلق ببناء الوضعيات التي تمكن المعلم من التنبؤ بتحقيق التلاميذ لمؤشر الكفاية .

1-3 عرض نتائج السؤال الثالث :

نص السؤال الثالث : ما مدى توظيف المعلم للتقويم داخل السيرورة الديدداكتيكية على مستوى استثمار المكتسبات لبناء مؤشر الكفاية.

للإجابة على هذا السؤال قمنا بحساب تكرارات نتائج الملاحظة على الشبكة في مستوى وضعية الاستثمار، وقد تحصلنا على النتائج التالية كما يبينها الجدول التالي :

"جدول رقم (3) يبين نتائج تقييم وضعيات التقويم على مستوى وضعية استثمار المكتسبات"

الوضعيات الديدداكتيكية				رقم البند
وضعية استثمار المكتسبات				
ضعيف		جيد		
%	ع	%	ع	
33.33%	02	66.66%	04	1
100%	06	0%	0	2
100%	06	0%	0	3

يتبين من الجدول أن توظيف التقويم على مستوى هذه الوضعية ضئيل خاصة في جانب توظيف التقويم بصورة تسهم في تفعيل العمل التعليمي لبناء تعلمات التلميذ بشكل يساعد على تحقيق الكفاية القاعدية في النشاط الإدماجي .

1-4 عرض نتائج السؤال الرابع:

نص السؤال الرابع : ما مدى توظيف المعلم للتقويم داخل السيرورة الديدداكتيكية على مستوى النشاط الإدماجي لبناء الكفاية القاعدية؟

للإجابة على هذا السؤال قمنا بحساب النسب المئوية لنتائج تطبيق شبكة الملاحظة على مستوى الوضعية الإدماجية. وقد تحصلنا على النتائج التالية كما هي موضحة في الجدول:

"جدول رقم (4) يبين نتائج تقييم وضعيات التقويم على مستوى الوضعية الإدماجية

الوضعية الإدماجية				رقم البند
ضعيف		جيد		
%	ع	%	ع	
%100	6	%0	0	1
%66.66	4	%33.33	2	2
%100	6	%0	0	3

نستنتج من الجدول أن بناء هذه الوضعية في اغلب المواد التدريسية لا ينظم كمنشآت ضمن وضعية ديداكتيكية داخل غرفة الصف ، وفق الشروط الملائمة لبناء الكفاية القاعدية إذ أنه يدرج ضمن ما يسمى بالواجب المنزلي. حتى انه لا يؤخذ على محمل الجد من حيث تحديد الهدف منه وتقييم بناء التلميذ للكفاية القاعدية من خلال النشاط الادماجي. بل حتى نتائج التقييم لا توفر تغذية راجعة لأداء التلميذ. من حيث ان التقويم فعل ديناميكي في السيرورة الديداكتيكية الغاية من توظيفه بلوغ مستوى الكفاية القاعدية لدى التلاميذ وكل هذا لا ينسجم ومتطلبات التدريس بالكفاية .

2- تفسير نتائج البحث

1-2 تفسير نتائج السؤال الأول: بينت النتائج أن مستوى التوظيف مثل نسبة ضئيلة حيث أن التقويم وظف كفاعل معزول عن التدريس للتعرف على مكتسبات الدرس السابق، وليس على مكتسبات التلميذ ذات العلاقة بالاداءات الجديدة.

ويصعب بالتالي تصحيح التمثلات الخاطئة التي تعيق اكتساب التلميذ للمعرفة الجديدة . و يمكن تفسير ذلك عامة بافتقار المعلم إلى أصول التدريس بالكفايات ، وكإجراء استعجالي لمحاولة حل هذا المشكل تم تزويد المعلم بوثائق مرافقة للكتاب المدرسي يسودها التنظير و الإجمال، وغير متضمنة للخطوات العملية للتدريس وفق هذه البيداغوجيا، وتنظيم ندوات لم تفي بالغرض المطلوب، فالمعلم لا يزال يجهل مدلولها فكيف نحمله على التدريس بها وتحقيق أهدافها .

2-2 تفسير نتائج السؤال الثاني: أوضحت النتائج توظيف التقويم بنسبة ضعيفة خاصة في مادتي التاريخ والتربية الإسلامية التي اعتمد فيها المعلمون التلقين لمحتوى الدرس بشكل لا يتعدى مستوى التعرف، ومستوى التطبيق في المواد أخرى. و يمكن تفسير ذلك بافتقار المعلم إلى أساليب تمكنه من توظيف التقويم بصورة تقيس مستويات عالية من التفكير، بسبب ضعف تكوينه. فالتقويم لا يزال يقيس - حسب أوحيدة - مستويات دنيا من الأهداف المعرفية لدى المتعلمين، مما يتنافى ومتطلبات تحقيق الكفاية. وكذا غياب الإدراك لفعالية الاستراتيجية التعليمية والتقييمية التي تكون في النهاية الكفاية. فغالبا لا تستثمر نتائج التقويم التي تقدم تغذية راجعة " feed Back " لتغيير الاستراتيجيات التعليمية قصد إيصال التلاميذ إلى أداءات جيدة تسهم في بناء الكفاية .

3-2 تفسير نتائج السؤال الثالث: أوضحت النتائج تمثيل الوضعية للتقويم بصورة ضعيفة. إذ أن الطريقة المعتمدة في التقويم على هذا المستوى لا تتيح فرصة وقوف التلميذ على نقاط القوة والضعف في الأداء، وبالتالي مساعدته على تصحيحها أو تدعيمها. ولا ريب في أن أسلوب التلقين يؤثر على التقويم الذي يقيس الكفاية المستهدفة والمرتبطة بالممارسة عند التلميذ. واقتصره على القياس الكمي دون إدراك لأهمية التقويم الكيفي في توفير التغذية الراجعة للمتعلم ، وهذا ما توصلت إليه بوكرمة في دراستها من أن التقويم في المدرسة الجزائرية يقتصر على القياس "تقييم كمي" مما يعيق فعلا بناء الكفاية .

2-4 تفسير نتائج السؤال الرابع: دلت النتائج على أن مستوى التوظيف كان بنسبة ضئيلة جدا. فالوضعية الإدماجية غير معتمدة في بعض المواد الدراسية غير أن التلميذ يقيم فيها ضمن الاختبارات التحصيلية ، فإذا كان الهدف من الوحدة التعليمية هو إيصال التلميذ إلى تحقيق مؤشرات الكفاية التي تمكنه في النهاية من تحقيق الكفاية القاعدية، فإننا بحاجة إلى بناء وضعيات نقيم فيها مدى تحقق الكفاية القاعدية. وحتى بالنسبة للمواد الأخرى التي نعتد فيها الوضعية الإدماجية، فإن بناء هذه الوضعيات وحلها لا يتم داخل غرفة الصف وهذا لا يتيح تقييم حقيقي لأداء التلميذ.

الخاتمة:

استهدفت الدراسة رصد مستوى توظيف وضعيات التقويم في السيرورة الديدداكتيكية، و جاءت هذه الدراسة لإثراء وتدعيم الدراسات السابقة التي تناولت بيداغوجيا الكفايات .وقد صيغت تساؤلات حول مدى توظيف المعلم للتقويم داخل السيرورة الديدداكتيكية على مستوى الوضعيات التعليمية. وكشفت الدراسة على أن توظيف المعلم للتقويم في السيرورة الديدداكتيكية كان بنسبة ضئيلة على مستوى كل الوضعيات .

وفسرت النتائج بافتقار المعلم ليس إلى التكوين بمقتضيات التدريس بالكفايات فقط، بل إلى التكوين وفق أسس ديدداكتيكية ، بيداغوجية ونفسية.

مقترحات الدراسة: بناء على ما توصلنا إليه من نتائج نورد بعضا من المقترحات كما يلي:

1 - مقترحات خاصة بالموضوع:

* تكوين المعلمين للتدريس وفق هذه المقاربة "مقتضيات تطبيقها" في الجانب النفسي والتربوي بفتح جامعات متخصصة في تكوين المعلمين متأسسة في برامجها على أسس نفسية بيداغوجية و ديدداكتيكية .

* توضيح الرؤى للمعلم حول الأبعاد الفلسفية و البيداغوجية لبيداغوجيا الكفايات.

2- مقترحات خاصة بالدراسات اللاحقة:

إن معالجتنا لهذا الموضوع وفق حدود ضيقة، فرضها الزمان والمكان ، لم يتح لنا تناول الموضوع من مختلف جوانبه، ولتجاوز ذلك فإننا نقترح بعضا من المواضيع عليها تكون مجالا للبحث لاحقا :

* تقييم مستوى الكفايات المعرفية التي تقيسها الوضعيات التعليمية في الكتاب المدرسي.

* تقييم شبكة التقييم الذاتي للوضعية الإدماجية الواردة في الكتب المدرسية.

❖ هوامش البحث

- (1) الفاربي عبد اللطيف و آخرون: معجم مصطلحات علوم التربية، سلسلة علوم التربية ، دار الخطابي للطباعة و النشر، المغرب ، 1994، ص 21 .
- (2) غريب عبد الكريم : بيداغوجيا الكفايات، منشورات عالم التربية، المغرب، 2004، (ط5)، ص 98.
- (3) الفاربي عبد اللطيف و آخرون : مرجع سبق ذكره، ص 79.
- (4) فاتحي محمد: تقييم الكفايات، منشورات عالم التربية، المغرب، 2004، ص 03 .
- (5) فاتحي محمد: مرجع سبق ذكره، ص 23 .
- (6) فاتحي محمد: مرجع سبق ذكره، ص 28-29 .
- (7) غريب عبد الكريم : مرجع سبق ذكره، ص 82 .
- (8) الفاربي عبد اللطيف و آخرون: مرجع سبق ذكره ، ص 69.
- (9) كسافي روجي : التدريس بالكفايات وضعيات لادماج المكتسبات ، ترجمة عبد الكريم غريب ، منشورات علوم التربية، المغرب، 2007 ، ص 13.
- (10) فاتحي محمد : مرجع سبق ذكره، ص 36 .
- (11) جواكيم دولز و آخرون: لغز الكفايات في التربية، ترجمة عز الدين الخطابي ، عبد الكريم غريب ، منشورات عالم التربية ، 2005 ، ص 08.
- (12) هني خير الدين: مقارنة التدريس بالكفاءات، مطبعة ع، الجزائر، 2005 ، ص 85 .
- (13) هني خير الدين: مرجع سبق ذكره، ص 231 .
- (14) أوحيدة علي: التدريس الفعال بواسطة الكفاءات، مطبعة الشهاب، باتنة، الجزائر 2007، ص 386.
- (15) غريب عبد الكريم: مرجع سبق ذكره، ص 176 .

(16) أوحيدة علي : مرجع سبق ذكره، ص 391.

(17) أوحيدة علي: مرجع سبق ذكره، ص 158.

(18) فاتحي محمد : مرجع سبق ذكره، ص 83 - 84 .

(19) faculty.ksu.edu.sa/otaibibjDocLib1/20%في20%التعليم/الجزائر

(20) http://rcweb.luedld.net/rc4/08_TZI%20Boukerma_A_Ok.pdf-2011

(21) أوحيدة علي: مرجع سبق ذكره، ص 20.

(22) غريب عبد الكريم: مرجع سبق ذكره، ص 16 .

(23) فاتحي محمد : مرجع سبق ذكره، ص 24

(24) أوحيدة علي : مرجع سبق ذكره، ص 21.

(25) محمود السيد أبو النيل: الإحصاء النفسي والتربوي، دار النهضة العربية، لبنان، 1987، ص 54.

الكشف عن بعض سمات الشخصية

من خلال تحليل الخط اليدوي – علم الجرافولوجيا

الأستاذة: سليمة سايجي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية / جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر

الملخص :

إن دراسة خط اليد لا تقل أهمية عن دراسة البصمة التي يتميز بها أي إنسان عن الآخر لما لخط اليد من تفرد ، وأنه يدل دلالة واضحة على الشخصية وسماتها إذا أتبعنا الأسلوب العلمي في تحليل هذا الخط . فالطريقة التي يكتب بها الشخص تحدد المهارات التي يتمتع بها والسمات التي يتميز بها وتحديد الوظيفة التي تناسبه ، وكذلك يمكن من خلال خطه الحكم على انفعالاته ، والتنبؤ بما قد يصيبه من أمراض. إن هذا المقال يهدف إلى معرفة بدايات هذا العلم وكيف ظهر ؟ ، ومعنى هذا العلم وفوائده ومجالات استخدامه وأهميته في تحديد بعض الصفات التي نراها ، والتي تكون مفتاح لبعض السمات الشخصية .

Résumé :

L'analyse de l'écriture (graphologie) n'est pas moins importante que l'étude de l'empreinte (dactyloscopie) qui distingue un individu d'un autre, et ce, en raison de la singularité de l'écriture de chacun. En suivant la méthode scientifique de l'analyse de l'écriture, nous constatons que l'écriture permet de déduire la personnalité et ses caractéristiques.

L'écriture de chaque personne détermine les talents et les qualités dont elle jouit ainsi que les fonctions qu'elle pourrait occuper. A travers l'écriture nous pouvons juger ses émotions et humeurs et prévoir les maladies qu'elle risquerait de contracter .

Cet article se propose de connaître les débuts de la graphologie et de savoir comment elle est apparue ? Quels sont ses intérêts, ses domaines d'utilisation et comment à partir de l'observation de l'écriture manuscrite nous pouvons déduire les caractéristiques psychologiques de la personnalité d'un individu.

مقدمة:

يعد خط اليد مظهر للشخصية وسلوك تعبيرى يسجل حركة الشخصية في الزمان والمكان ؛ إلا أنه يجمد هذه الحركة في الحروف والكلمات. وبرغم أن الخط يتطور بتطور الشخصية ، وله مراحل عمرية في الطفولة والشباب والكهولة؛ إلا أن للخط شخصية يحتفظ بها دائما⁽¹⁾.

ودراسة أو تحليل خط اليد يعد من العلوم التي تكشف عن مكونات الشخصية وتحدد أهم خصائصها بغرض الاستدلال على شخصية كاتبه ، أو الاستدلال على الحالات النفسية التي صاحبت عملية الكتابة ، أو بغرض الكشف عن بعض جوانب في أعماق شخصية الكاتب⁽²⁾.

وأنه يدل دلالة واضحة على الشخصية وسماتها إذا أتبعنا الأسلوب العلمي في تحليل هذا الخط، وهذا ينطبق مع هذا الشعار: " قل لي كيف تكتب ... أقل لك من أنت "، وهو الشعار الذي حملة علماء الجرافولوجيا في السنوات الأخيرة، وذلك للتطور الذي عرفه العلم واحتلاله مكانة مرموقة بين العلوم الأخرى

وقد حاول العديد من الباحثين السيكولوجيين القيام بدراسات لتأكيد الكثير من السمات، ومن أمثلتهم دراسة فرنون وألبورت (Allport & vernon) (1933) وهارفي Harvey (1934) وبوبرتاج Bobertag (1937) وأيزنك Eysenck (1947) وليفنسون وزوين Livenson & Zubin (1951) ولور ولباين وجولدر (Lorr & Lepine & Golder) (1954).

والملاحظ أن هذا العلم الجديد القديم ظهر على يد العلماء الأجانب الذين أنشئوا معاهد ومخابر وجمعيات تهتم بعلم الخط، ولم يلقى هذا العلم نفس الاهتمام في البلدان العربية، وهذا ما يعطي الدافعية لتقديم هذه الورقة التي تهدف إلى معرفة بدايات هذا العلم وكيف ظهر؟، ومعنى هذا العلم وفوائده ومجالات

استخدامه وبعض السمات الشخصية التي يكشفها الخط اليدوي من خلال بعض الإشارات الخطية. واعتبار هذه الورقة كدافع للباحثين والمهتمين بعلم الجرافولوجيا للقيام بدراسات في هذا الميدان وتكثيفها لتأكيد علمية هذا العلم .

1. نشأة علم الجرافولوجيا

لقد ظهرت ملامح بدايات علم الجرافولوجي قبل عدة آلاف السنين، حيث كانت هناك محاولات تاريخية كثيرة لتفسير رسومات الإنسان وخطوطه ولكن المحاولة الجدية لتحليل خط اليد قام بها الشاعر الأمريكي ألين إدجار Allen edgar الذي حلل العديد من خطوط اليد وتفسيرها ونشرها وألف كتابا ثم خرج بعلم الأوتوجرافيري Autographery ولاقى ألين إدجار Allen edgar العديد من الانتقادات حول ما نشره وكتب بعده روبرت وإليزابيث باريت كتابا بعنوان : " الكلمات المظلمة على الورقة البيضاء تكشف عن الروح" ، ولم يكن هناك أي انتشار لهذا العلم ، أما بداياته العلمية الحديثة فقد كانت في القرن السابع عشر على يد العالم والطبيب الايطالي كامليو بالدو Camilio baldo وهو أستاذ الطب والفلسفة في جامعة بلونيا ليؤلف كتابا وصف فيه تحليل الشخصية من خلال دراسة خط اليد سنة 1622، ووضع الأسس لهذا العلم لذلك أعتبر أبو علم تحليل خط اليد⁽³⁾.

ظل تحليل الخط فلسفة أكثر منه علما إلى غاية القرن التاسع عشر حينما قام مجموعة من رجال الدين والقساوسة الفرنسيين بدراسة الخط ، لعلى أبرزهم الأب ميشون Abbé Michan - والذي كان مدير للمدرسة في باريس وكان يحترم تفكيره - قد كتب العديد من الكتب في نفس الموضوع والتي سميت بـ : الجرافولوجي Graphology؛ أي علم دراسة خط اليد ، ونشر كتابا له سنة 1872 ، ويعتبر أول من أطلق اسم الجرافولوجي على هذا العلم⁽⁴⁾.

وقال أنها محاولة الربط بين علامات متفرقة في خط اليد وبين صفات الشخصية، ثم قام القسيسان فلاندرن Abbé Flandrin وأحد طلابه وهو جين ميكون Abbé

Gene بالعديد من الأبحاث التي جعلتهم يضعان العديد من الأسس والقواعد لتحليل الشخصيات ونشرا كتابين وكان لهم الفضل في إطلاق كلمة الجرافولوجي Graphology على هذا العلم لأول مرة وعرف الجرافولوجي وقتها على أنه : العلم الذي يبحث في معرفة الناس من خلال خط الكتابة لديهم . وأنشأت مدرسة خاصة تسمى : (مدرسة الأشكال المحددة في الخط) (5).

وقد عمل ألفرد بينيه Alfred Binet (وهو أخصائي نفسي والذي وضع اختبار الذكاء المعروف واستعان كذلك بتحليل خط اليد ، وأكد أن سمات الشخصية تنعكس من خلال خط اليد) مع هذه المدرسة في تطوير علم الجرافولوجي، وبفضلهم أصبحت فرنسا رائدة في هذا العلم في القرن التاسع عشر ومازالت . ثم سيطر الألمان في القرن العشرين ومن هؤلاء الفسيولوجي قيهلم براير preyer في كتابه سنة 1895 عن سيكولوجية الكتابة ونبه إلى أن الخط تعبير عن العمليات النفسية، ثم من بعده جورج ماير Jorge Mayre في كتابه سنة 1901 بعنوان الأصول القلمية لعلم الجرافولوجيا، واستخدم الخط للكشف عن الاضطرابات الانفعالية بدعوى أن الانفعالات تعبر عن نفسها من خلال الميكانيزمات النفسية الحركية، وأن هناك لذلك صلة قوية بين الخط والحركة والانفعال. ثم جاء من بعدهم لودفيج كليجز Ludwing Klages الذي يعتبر الأب الروحي للجرافولوجيا في صورتها الحديثة ، حيث وضع أصول تحليل خط اليد وجمع بين علم الخط Graphology وعلم السمات Chracterology (6).

كما قام الفرنسي كريبيكس Kripieks الذي يعتبر أبو علم الجرافولوجي الفرنسي بتصنيف الخطوط إلى مجموعات وعينات لازالت تستخدم في علم الجرافولوجي الكلاسيكي رغم أن بعضها تم تطويره من قبل الفرنسيين . بعد ذلك انتشر العلم انتشارا واسعا في كل من فرنسا وألمانيا وبضعة من دول أوربية. ففي ألمانيا أسس لودوينج كلاجس Ludwing klages نظرية جشطالتية في تحليل الخط سنة 1980. وقدم في نظريته عن الإيقاع والشكل والخلفية والدلالة التي عرض

فيها بإسهاب علم دراسة الخط من ناحية الحركة ، والسرعة والمسافات بين الحروف وقوة الضغط على الورق ، وأصدر أول دورية عن الخط والشخصية⁽⁷⁾ .

واستمرت الأبحاث في إنجلترا وأمريكا عن طريق العالم الإنجليزي روبرت سودر Robert sauder بإصدار أول نشرة له عن الخط والشخصية ، والأبحاث في سويسرا عن طريق ماكس بلفير Max pulver وكارل يونغ Carl Yung اللذان قاما بكتابة الرموز في الخط سنة 1931 وطبقت هذه النظرية (علم دراسة الرموز) على المنطوي والمنبسط⁽⁸⁾ .

2. تعريف علم الجرافولوجيا

يعرف علم تحليل الشخصية من خلال الخط بعلم الجرافولوجيا. وكلمة جرافولوجيا كما يراها مصطفى سويف تتكون من مقطعين: الأول يوناني وهو Graphin ومعناه يكتب والثاني Logia ومعناه نظرية. واستعملت هذه الكلمة لتدل على دراسة الخط كظاهرة لتشخيص أخلاق الكاتب وشخصيته - ولهذا - فهي تعني التحليل السيكولوجي للخطوط⁽⁹⁾ .

وعليه يعرف تحليل الكتابة أو الخط اليدوي بأنه: " هو أحد الأساليب الإسقاطية التي يجري فيها استخدام ميزات متعددة من كتابة الفرد وخطه اليدوي بغية الوصول إلى وصف الشخصية التي يتحلى بها ، كالمسافات والانحناء والهوامش وغيرها⁽¹⁰⁾ .

وتعرف الجرافولوجيا بأنها: " أي محاولة منظمة لفحص خط اليد وتحليله بغرض الاستدلال من خصائص الخط على شخصية كاتبه إجمالاً ، أو على الحالات النفسية التي صاحبت عملية الكتابة ، أو بغرض الكشف عن بعض جوانب في أعماق شخصية الكاتب⁽¹¹⁾ .

كما تعرف أيضا بأنها : " التجسيم الحرفي لرسائل المخ إلى اليد عبر الأعصاب والأصابع هي الأجزاء الطرفية الأخيرة من الجسم التي بها يتحقق طرح رسائل المخ على الورق"⁽¹²⁾.

وتعرف كذلك بأنها : " علم وفن تحديد شخصية الكاتب ونوعية انفعالاته من طريقته في الكتابة ، أي شكل الخط المكتوب على الورق"⁽¹³⁾. كما تعرف كذلك بأنها : " الوسيلة التشخيصية العلمية لشخصية الكاتب وحالته النفسية وقت الكتابة"⁽¹⁴⁾. وتعرف أيضا بأنها : " علم قراءة وتفسير حركة الجهاز العصبي على الورق"⁽¹⁵⁾.

3. فوائد علم الجرافولوجيا

إن فوائد علم الجرافولوجيا كثيرة لا تكاد تحصى ، ومن أهمها ما يلي :

أداة عظيمة القيمة لإدارة شؤون الأفراد، حيث يمكن تحديد شخصية طالب الوظيفة قبل إجراءات تعيينه ، بالإضافة إلى العمليات التالية مثل الترقية ، التدريب ، العمل في مجموعة ... الخ"⁽¹⁶⁾.

• يمكن من التعرف على أنماط تفكير التلاميذ وحل مشكلاتهم النفسية والانفعالية"⁽¹⁷⁾.

• يمكن استخدامه في توجيه الأشخاص في المهارات التي يجيدونها مثل الموسيقى والرياضة وغيرها ، وينجح خاصة مع الأطفال ، حيث يمكن اكتشاف النبوغ المبكر ، وهو ما قد يكون خافيا على الشخص نفسه أو المحيطين به ، وقد يكون شخص موهوب ولا يعلم أن عنده هذه الموهبة وبالتالي فالعلم بها وتنميتها سوف يعود بعظيم النفع على الشخص وعلى المجتمع .

- يمكن استخدامه في التوجيه التربوي بحيث يمكن توجيه الطلبة إلى الشعب والتخصصات المختلفة كالطب والهندسة والمحاسبة وغيرها من خلال دراسة خط اليد .
 - يمكن عن طريق علم الجرافولوجيا معرفة شخصية الأفراد المقدمين على علاقة طويلة كعلاقة العمل أو الزواج ، ويمكن بكثير من التحديد كشف إمكانية التوافق من عدمه ، ويستخدم هذا بكثرة الآن في فرع الإرشاد الأسري .
 - تجرى تجارب كثيرة في الطب لتشخيص الأمراض الموجودة لدى الإنسان والكثير من اضطرابات الشخصية . وقد أمكن إلى حد كبير التنبؤ بالأمراض قبل حدوثها بوقت كبير ، حيث أن الجهاز العصبي يمكن أن يظهر به المرض قبل الجسم بوقت كافي قد يكون له أبلغ الأثر في الطب الوقائي ، حيث أن عامل الوقت مهم جدا في هذه الحالات⁽¹⁸⁾ .
 - تستفيد منه وزارات الدفاع في توزيع الجيوش على الأعمال المختلفة مما يمكن ذلك من النجاح في المهمات العسكرية والحربية .
 - يمكن استخدامه في مجال القضاء والعدالة والإجراءات الأمنية للكشف عن الجرائم والتزوير والأدلة الجنائية⁽¹⁹⁾ .
- يعتبر طريقة عملية واختبار للشخصية اقتصاديا قليل التكاليف وذلك للأسباب الآتية :
- ✓ يتطلب مجهود قليل وفي دقائق قليلة تكون قد أعددت عينة الكتابة المراد تحليلها .
 - ✓ الكتابة البصرية تكون واضحة ومحددة ونموذجا تعبيريا وفي الغالب سهلة الحصول عليها .

- ✓ يتطلب أدوات واحتياجات بسيطة مثل : المنضدة ، القلم ، الورقة البيضاء المسطرة والمنقلة ، والمكان المناسب .
- ✓ لا يحتاج إلى تدريب للفاحصين أو الذين يقومون بالاختبار .
- ✓ تعليماته بسيطة تقتصر على مجرد أخذ ورقة وقلم .
- ✓ لا يحتاج إلى الاتصال بالشخص المفحوص أو الفاحص .
- ✓ وقت اختبار الكتابة غير محدد مثل المقابلة أو حضور امتحان . ف نموذج الكتابة من الممكن الحصول عليه في أي وقت مناسب .
- ✓ نموذج الكتابة من الممكن أن يحللها فريق من الخبراء أو ممن هم يعرفون طريقة التحليل .
- ✓ يمكن تحليل الكتابة بإعادة تحليلها في أي وقت .
- ✓ إذا حدث خلل أو مقاطعة أثناء إجراء الكتابة من الممكن إعادة المحاولة في أي وقت آخر بدون أن تخسر أي معلومات .
- ✓ من الممكن مقارنة النتائج لخط اليد بأي اختبار نفسي آخر لتحديد الفرق بين الاثنين للتأكد من مدى الاتفاق أو الاختلاف .
- ✓ اختبار يستحيل تبديل المعنى فيه .
- ✓ الوصف التحليلي الذي يعطيه للمفحوص لا يحتاج إلى معرفة للماضي أو تاريخ سابق أو دراسة للمراحل الأولى للطفولة .
- ✓ يمكن قياس وتحليل معاملات الكتابة إحصائيا باستخدام الحاسب الآلي⁽²⁰⁾ .

كل هذه الأسباب تزيد خط اليد الموضوعية الحقبة كاختبار للشخصية إذا توفرت الدقة في التحليل، وهذا يدعو إلى ضرورة التدريب الجيد على علم الجرافولوجيا، وكذلك تكثيف الدراسات العلمية الرامية إلى تحليل عينة من الخطوط مع استخدام بعض الاختبارات الإسقاطية لتحديد بعض السمات الشخصية .

4. مجالات علم الجرافولوجيا

سوف نورد أهم هذه المجالات التي استخدم فيها علم الجرافولوجيا :

1.4 المجال الجنائي : تستخدم الدول المتقدمة تحليل الخط اليدوي كطريقة وأسلوب ناجح في التحقيقات والأدلة الجنائية مثل فحص الوثائق المطعون بصحتها والمشكوك فيها والكشف عن هوية المجرمين ، وفي التحقيقات . كما يستخدم في اختيار وانتقاء المحلفين للعمل في المحاكم للتأكد من صلاحية الشخص للمهمة الموكلة له ومدى اتزان شخصيته، كما يستعين به المحامين في فهم عملائهم، وفهم المفاتيح المكونة لشخصيات الشهود، وفي إصدار الحكم القضائي، وفي تحديد صدق المتهمين أو المجرمين، واستكشاف مواطن الخطر الدفين والذي قد يكون غير ظاهر في شخصياتهم⁽²¹⁾ .

ف نجد مكتب المباحث الفيدرالي الأمريكي "إف بي آي" يلجأ إلى طريقة تحليل عينات من الخطوط خاصة الرسائل المشتملة على التهديد والابتزاز ومن خلالها يستطيع المسئولون أن يستنبطوا جملة من النتائج :

➤ مدى جدية تهديد صاحب الرسالة عند الإحجام عن تلبية طلباته.

➤ الحالة النفسية لصاحب الرسالة.

كما نجد ديفيس Davis خبير قضائي في خطوط اليد في بريطانيا ، وقد مثل أمام المحكمة في أكثر من 1000 قضية في 50 بلدا ، وأعطى آراءه في نحو 40000 مستندا من الصكوك البريدية ورسائل الانتحار وشهادات المؤهلات المهنية .

وقد أستدعي يوما إلى مركز للشرطة في شرق لندن ليفحص باب زنزانة حفر عليه تهديد بالقتل بمبرد للأظافر . وأكد ديفيس Davis عند معاينته أنه متطابق مع خط يد أحد المساجين .

لهذا فهو يؤكد أن الكاتب قد غير الخدار كتابته ، أو حجمها أو ضغطه على الورقة أو سرعته ، لكن عادات الكتابة المستمرة طوال العمر هي أشبه ببصمات الأصابع ، فهي تدل على صاحبها دوما⁽²²⁾ .

2.4 المجال التعليمي : تكمن قيمة علم الجرافولوجيا للعاملين في قطاع التعليم في أنه يتخطى الحدود في النتائج أكثر من أي امتحان أو تقييم آخر ، حيث يمكن معرفة أنماط وأنواع تفكير التلاميذ ومستوى ذكائهم كما بينها باجيت Baggett (2002) على النحو التالي :

- ✓ التفكير التراكمي.
- ✓ التفكير البحثي – التحليلي.
- ✓ التفكير الاستكشافي.
- ✓ التفكير الإدراكي.
- ✓ التفكير المتكيف.
- ✓ التفكير السطحي.
- ✓ التفكير الاجمالي الشامل⁽²³⁾.

كما أنه يستخدم في التوجيه المهني للتلاميذ في اختيار المهنة المناسبة إلى جانب الاختبارات البسيكوتقنية التي تطبق عليهم وكذلك في معرفة مدى تكيف واستقرار العامل في عملهم⁽²⁴⁾ .

كما يستخدم أيضا في التوجيه المدرسي لاختيار التخصص المناسب ، ووضع الأهداف والتوجيه نحو الأنشطة والهوايات المناسبة واكتشاف النبوغ

والمواهب والعبقرية والمهارات ، حيث نجد إنجلترا تستخدمه على مستوى المدارس الابتدائية والإكمالية حين لا يدرك الطالب أن له موهبة⁽²⁵⁾ .

كما أنه أيضا يستخدم في الإرشاد النفسي للتلاميذ ممن يعانون من مشكلات نفسية ودراسية عن طريق التشخيص المبكر لهذه المشكلات وتخطيط خدمات وقائية وإرشادية لمواجهتها إضافة إلى أنه يمكن من خلاله إظهار بعض الصعوبات التعليمية التي يعاني منها الطلاب مثل عسر القراءة Dyslexia وغيرها⁽²⁶⁾ .

3.4 المجال النفسي والطبي : يمكن استخدام علم الجرافولوجيا كطريقة فعالة وناجحة في فهم سلسلة من العمليات العقلية للتفكير والمكونات الرئيسية للشخصية كالميول والسمات العضوية والنفسية والاجتماعية ، وبالتالي يستطيع جمع معلومات مفصلة عن شخصية الفرد وتوسيع الصورة الشاملة حول هذه الشخصية⁽²⁷⁾ .

ويستخدم كذلك في التعرف على المشكلات النفسية لتعزيز وتوثيق بقية الاختبارات والتقييمات السيكولوجية الأخرى ، بالإضافة إلى أنه يمكن استخدامه في الكشف عن دلالات الأمراض النفسية والجسدية من الخط ، ومحاولة تداركها أو علاجها أو التماشي معها . حيث تؤكد أن الجهاز العصبي يعطي علامات غير واعية تدل على أن هناك مرضا قبل ظهوره بوقت كافي لتدارك المشكلة، ومن أمثلة هذه الأمراض : أمراض القلب، وصعوبات التركيز، وأمراض الجهاز الهضمي، وآلام الظهر والركبة والرجلين. ويظهر على الخط أيضا إن كان الشخص يدخن وغيرها الكثير من الصفات والدلالات⁽²⁸⁾ .

ويقول فكري عبد العزيز أستاذ الطب النفسي أنه بدخول الكمبيوتر إلى هذا المجال استطاعت التكنولوجيا الحديثة باستخدام الرسم البياني أن تعطي أبعادا أكثر تحديدا للخطوط. فالرسم البياني يسجل حركات الأيدي في اتجاهات، كما يسجل سرعة الحركة وطريقة الإمساك بالقلم وكل ذلك من شأنه أن يكشف عن حقيقة

الأمراض، كمرض تصلب الشرايين، والاختلال العقلي الشديد كالفصام وغيرها ، حيث يبدو ذلك واضحا في خطوطهم.

وبتحليل الخطوط بواسطة الكمبيوتر والعلماء المتخصصين يمكن الكشف عن أي من تلك الأمراض بسهولة ، حتى عن الأمراض التي حار الأطباء في تشخيصها ، وكان الخط أكثر تحديدا وأسرع من الأطباء في الكشف عنها، وذلك لأن تلك الأمراض تظهر أولا على الخط قبل أن تبدوا أعراضها على المرضى، فمثلا مرضى الفصام فقد أكدت الدراسات أن حركاتهم غير ثابتة وغير واضحة لليدين مما يعكس ترتيبا غير واضح للكلمات، وتكرار كلمات وتحتها خط، والمساحة بين الحروف مختلفة، ويستغرقون وقتا طويلا في الكتابة مقارنة بالأشخاص العاديين. وكذلك ثبت بالدراسة أن مرضى إلزهايمر أقل كفاءة في الكتابة ومعظم حروفهم تأخذ شكل الدوائر⁽²⁹⁾.

ومرضى الاكتئاب تظهر كتاباتهم الانحدار إلى الأسفل، والكتابة أسفل سطر الكتابة الطبيعي. ومرضى التهاب المفاصل تبدو كتاباتهم مهزوزة وخفيفة الضغط وغير منتظمة ولا تكون رقيقة أبدا وإنما مزعجة ومضطربة. ومرضى القلب تظهر رعشة في كتاباتهم وعقدة في الضربات اللولبية العليا لحرف اللام، وكسر في إيقاع الضربات قبل نزوها إلى أسفل⁽³⁰⁾.

4.4 المجال المهني: يعتبر علم تحليل الخط اليدوي أداة عظيمة في إدارة شؤون الأفراد حيث يمكن تحديد شخصية طالب الوظيفة قبل إجراء تعيينه ، حيث تستخدمه 79% من الشركات في إنجلترا بالإضافة إلى 85% من الشركات الفرنسية و89% من الشركات السويسرية في التوظيف والحكم على شخصية المتقدم للوظيفة واتخاذ القرارات الشخصية⁽³¹⁾.

كما يمكن تحديد مدى نجاح العاملين في مؤسساتهم من خلال التعرف على قدراتهم القيادية ومدى ولائهم للشركة، ومن ثم توفير الكثير من الوقت والجهد والتكلفة عبر اختيار الشخص الأمثل للعمل المناسب، حيث أثبتت التجارب الناجحة في الإدارة سواء على مستوى الدول أو الشركات أو الأفراد أن الاستثمار

في القوى البشرية يأتي بنتائج بلا حدود وهو الطريق المضمون للتقدم والارتقاء⁽³²⁾.

وقد ثبت علميا أن طريقة المقابلة التي تقوم بها كل الهيئات والشركات والمنظمات والتي ترغب في تعيين الأفراد لا يمكن الوصول عن طريقها إلى حقيقة هذا الفرد مهما كانت خبرة القائم بالمقابلة. فهناك جزء كبير من الشخصية لا يمكن كشفه بهذه الطريقة ، ولا يمكن أيضا الحكم عليه إلا بعد فترة قد تطول إلى سنين، وما يمكن أن يسببه هذا الفشل في الاختيار إلى كوارث تؤثر على العمل خاصة إذا كان الشخص في مراكز حساسة ومهمة مثل المراكز الإدارية والمالية العليا.

والملفت للنظر أن معظم الشركات العالمية الكبرى تلجأ إلى استخدام علم الجرافولوجيا فنجد في الولايات المتحدة الأمريكية أن هناك ما لا يقل عن 2000 شركة تستفيد من تحليل الشخصية عبر دراسة خط اليد عند النظر في طلبات الترشيح للوظائف بأخذ عينة من خطوطهم وتحليل ما يلي :

- ✓ أسلوب الكتابة.
- ✓ وضوح حروف الكتابة من عدمها.
- ✓ تداخل الكتابة ببعضها البعض.
- ✓ طريقة وضع النقاط اللازمة فوق الحروف مباشرة أو بعيدا عنها أو إهمالها أحيانا.
- ✓ ويقوم الخبير بعد دراسة هذه العناصر برسم فكرة جيدة عن خصال وشخصية صاحب هذا الخط من زوايا عدة:
- ✓ قدرة اتخاذ القرارات والمواقف الحاسمة .
- ✓ الثقة بالنفس .
- ✓ الهمة والحماس في العمل .

✓ اتزان الشخصية، وغيرها من العناصر التي تهم صاحب العمل ويريد تسليط الضوء عليها⁽³³⁾.

5. بعض سمات الشخصية التي يحددها علم الجرافولوجيا

يستطيع علم الجرافولوجيا أن يظهر العديد من السمات والصفات الخاصة بشخصية وهوية الإنسان والتي قد تظهر لنا وميض من الضوء نستطيع من خلاله النفاذ إلى العقل الباطن والعقل الواعي مثل : الحالة النفسية والمزاجية والتجاوب العاطفي في المشاعر ، الطاقة العقلية وأنماط التفكير ، التوجه نحو تحقيق الأهداف ، قوة الانجازات ، المهارات القيادية والاجتماعية، المخاوف، المحفزات، الخيال، النزاهة والاستقامة والصدق، المواهب والمهارات، عادات العمل، الديناميكية الشخصية، الكفاءة الوظيفية، الطاقة البدنية، الدوافع والحاجات، وغيرها من السمات والصفات السلوكية والنفسية المكونة لشخصية الفرد .

ولتحديد أي خاصية أو صفة من هذه الصفات يجب اختيار عينة من الخط مكتوبة بطريقة طبيعية سواء كانت إمضاء أو قائمة مكتوبة ببعض الأشياء أو مذكرة ... الخ، ومحاولة إتباع مجموعة من القواعد لتحليل خط اليد وإبراز هذه السمات :

✓ لا نكتفي بعينة واحدة من الكتابة ، بل اثنتين أو ثلاثة ، ويستحسن أن تكون مكتوبة على فترات .

✓ يفضل الكتابة بالقلم الجاف، لا بالبرصاص .

✓ لا نستعمل عنوانا مكتوبا على ظرف خطاب بل عينة مكتوبة بعناية أكثر من اللازم .

✓ استعمال عينة مكتوبة على ورقة بيضاء غير مسطرة ، حيث أن اتجاه الكتابة والخط السائر فيه سيتبع أسلوب الكاتب كما أننا نستطيع دراسة المسافات والفراغات .

- ✓ يفضل أن تكون الكتابة طويلة بقدر الإمكان وتحتوي على معظم الحروف وتحتوي أيضا على بدايات الجمل وعلى سطور تكفي للحكم على المسافات وطراز الكتابة ووصلات بين الكلمات وغيرها .
- ✓ نستعمل عينة حديثة العهد بقدر الإمكان .
- ✓ لا نحاول البحث عن نقاط معينة في الكتابة لتأكيد فكرتنا المسبقة عن الشخص، فقد يكون ما نظنه غير صحيح . فالأصح أن الكتابة هي التي ستعكس حقيقة الشخص .
- ✓ لا نلقي اعتبارا لما يقوله الناس عن أنفسهم عند تحليل خطوطهم ولا نحاول تفسير معنى ما يكتبون⁽³⁴⁾ .

وقد ذكر أبرز خبراء تحليل الخط اليدوي أمثال إمبرمان Imberman (2003) ، وباقيت Baggett (2002) ، هايز Olyanova Hayes (1993) ، ونيكول McNichol (1994) وغيرهم بعض السمات الشخصية والعديد من العلامات والإشارات الخطية التي تعبر عنها، ومن المهم جدا أن نشير أن هذه العلامات الخطية لا تأخذ كدليل عن وجود بعض هذه السمات ما لم تقترن وتشارك مع مؤشرات وعلامات خطية عديدة أخرى تدل على وجود بعض هذه السمات، كما يجب أن نتحقق جيدا ونوازن بين هذه الإشارات الخطية وبين بعض السمات؛ لأن بعض هذه الإشارات تعبر عن خصائص مختلفة، مثل الخط الصغير قد يكون مؤشر عن القابلية العالية للتركيز والاهتمام بالتفاصيل، كما يعتبر كذلك مؤشر عن الانطوائية وابتعاد الشخص عن المحيط الاجتماعي، مما يدعو إلى زيادة البحث والدراسة في تحليل الخط وربطه بالاختبارات والأساليب العلمية الأخرى، من أجل التأكد علميا من بعض السمات . وسوف نشير إلى البعض منها فيمايلي:

1. التفكير البحثي الاستكشافي المنخرط في التحري والبحث عن الحقائق ، والمتخصص في كشف وبيان المعلومات الخفية . والإشارة الخطية لهذه السمة تتمثل في كثرة المثلثات والزوايا في كتابة الأحرف .

2. الاستقلالية الفكرية والانفعالية والقابلية لتنفيذ الأعمال بكل جدية وعزم بدون الحاجة إلى قوة دفع خارجية أو تحفيز . والإشارة الخطية تتمثل في عدم وجود زوائد خطية في بداية الأحرف أو الكلمات ، وكذلك وجود أحرف كبيرة في بداية الكلمات .
3. الذكاء الحاد والقدرة العالية على الإدراك وفهم الأفكار بتلقائية سريعة . والإشارة الخطية تتمثل في وجود الإبر والحواف الحادة في المنطقة العلوية من الأحرف .
4. الطموح العالي والسرعة في التفكير والكفاءة العالية والديناميكية والنشاط والحماس والقابلية للاستمرار ، والتوازن والموضوعة والثبات والانبساطية . والعلامات الخطية تتمثل في كثرة الخطوط الأفقية طويلة المدى ، وحجم الخط يكون متوسط ، وميلان الخط في اتجاه الكتابة.
5. الطاقة والحماس والشغف . والعلامة الخطية تتمثل في الضغط القوي وميلان الخط في اتجاه الكتابة .
6. الوضوح والتنظيم في تسلسل الأفكار . والعلامة الخطية تتمثل في وجود مسافات منتظمة بين الكلمات والسطور ، ووضع علامات الترقيم ونقاط الحروف في مكانها الصحيح .
7. سرعة البديهة ، والطاقة والحماس الكبير وسرعة التفكير ، وميل الكاتب إلى تحويل أفكاره وترجمتها من خلال الأفعال والتصرفات للحصول على نتائج فورية وسريعة . والعلامة الخطية الدالة على ذلك تتمثل في السرعة في الكتابة وخفة الحركة⁽³⁵⁾ .
8. الانطوائية والغموض وعدم إظهار الشخصية أمام العامة، وحب الوحدة ، ووجود مخاوف وكثرة الشك . والعلامة الخطية تتمثل في ميول الخط في عكس اتجاه الكتابة، والضغط الخفيف⁽³⁶⁾ .

9. الافتقار إلى الطموح والشعور بالحزن و يسهل تثبيط همة هذه الشخصية .
والعلامة الخطية الدالة على ذلك تتمثل في كتابة نازلة إلى الأسفل ؛ أي
سطورها متجهة نحو الأسفل⁽³⁷⁾ .
10. الحساسية الزائدة والتأثر بالمواقف بسرعة والانطوائية وعدم الثقة
بالنفس وبطء التفكير وضعف التركيز والخجل وسهولة الانقياد،
والاستعداد للإصابة بالمخاوف المرضية. والعلامة الخطية الدالة على ذلك
تتمثل في الضغط الخفيف جدا والخط الصغير جدا⁽³⁸⁾ .
11. العزوف عن التفاصيل والميل للوصول للنتائج بسرعة والقيام بأعمال في
تعجل وعدم إتقان، ولا يعتمد على هذه الشخصية كثيرا ولا تؤمن بالمهام
الكبيرة التي تتطلب دقة وحسن أداء. والعلامة الخطية الدالة على ذلك
تتمثل في إهمال التنقيط فوق أو تحت الحروف⁽³⁹⁾ .

الخاتمة:

بعد اختراع الكتابة بدأت الدراسة الجرافولوجية لها، وقد حازت على اهتمام علماء النفس وخبراء الجرافولوجيا في البلدان العربية بدرجة أقل مما حازت عليه تلك الدراسات عند العلماء الأجانب الذين أنشئوا معاهد ومخابر وجمعيات تهتم بعلم الخط ومتخصصة فيه. وقد أتضح ذلك من خلال ما تم عرضه في نشأة علم الجرافولوجيا، حيث تفوق فيه الفرنسيين في بداية القرن التاسع عشر وحتى الآن، كما اهتم به الألمان والسويسريين والإنجليز والأمريكيين في القرن العشرين.

وبفضل العلماء أصبح كعلم قائما بذاته وله أصوله ومناهجه ومدارسه، وأصبح يدرس أكاديميا في الجامعات في أقسام علم النفس، وأصبحت العديد من الدول تستخدم تطبيقاته في الكثير من الميادين لما له من فوائد كثيرة تعود على الفرد والمجتمع في الكثير من المجالات سواء كان مجال مهني أو تعليمي أو جنائي أو طبي ... الخ.

ونتيجة لذلك أقيمت أبحاث كثيرة بعضها يستند إلى الدعوة التفصيلية التي تتسم بالتحليل الدقيق، والبعض الآخر يستند إلى الدعوة الكلية التي تعتمد أساسا على النظرة الإجمالية في دراسة خط اليد. فيبدو أن علم الجرافولوجيا يستخدم مجموعة من العلامات مجتمعة مع الاستدلال منها على سمة واحدة معينة من سمات الشخصية، في حين أن بعض الدراسات تحاول الربط بين كل علامة على حدة وبين سمة معينة في الشخصية، وتوصلت هذه الدراسات إلى تحديد مجموعة من القواعد أو عناصر خط اليد ينبغي أخذها بعين الاعتبار في دراسة وتحليل خط اليد، كميول الكتابة والضغط على الورق والمسافة بين الكلمات والسطور، وحجم الكتابة، وشكلها وسرعتها والهوامش وغيرها. ووفقا لهذه العناصر تحدد أنماط الكتابة ودلالاتها السيكلوجية، ولكن ينبغي تكثيف الدراسات

العلمية لتحديد الدلالة السيكولوجية لهذه الأنماط بدقة كبيرة لتأخذ كمراجع يتم العودة إليها لتحديد بعض سمات الشخصية أثناء تحليل الخط.

❖ هوامش البحث

(1) عبد المنعم الحفني: الموسوعة النفسية (علم النفس في حياتنا اليومية)، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995، ص 54 .

(2) فوزي سالم عفيفي: نشأة وتطوير الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والاجتماعي، الكويت، وكالة المطبوعات، 1980، ص 378 .

(3) Charlotte P . Leibel: Change your handwriting change your life , New york , Stein and day , Pulbishers ,1972, p 3 .

(4) Claude, santoy: The A B Cs of handwriting analysis , London , Robert hale ,1989, p ix .

(5) Charlotte P . Leibel , Op.Cit , p 3 .

(6) فوزي سالم عفيفي: مرجع سبق ذكره، ص 378 . وعبد المنعم الحفني ، نفس المرجع السابق ، ص 56 .

(7) رأفت أحمد السيد عسكر : دراسة الشخصية عن طريق خط اليد، الزقازيق، مصر ، المؤلف، 2004 ، ص 71 .

(8) Charlotte P . Leibel , Op.Cit , p 3 .

(9) فوزي سالم عفيفي: مرجع سبق ذكره، ص 378 .

(10) أسعد رزوق ومراجعة عبد الله عبد الدائم: موسوعة علم النفس، بيروت، لبنان المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979، ص 70 .

(11) رأفت عسكر،: مرجع سبق ذكره، ص 61 .

(12) عبد المنعم الحفني: مرجع سبق ذكره، ص 55 .

(13) فؤاد عطية: الجرافولوجي (علم تحليل الشخصية من الخط للغة العربية) ، مصر ، المؤلف ، 2004 ، ص 10 .

(14) عبد المنعم الحفني: مرجع سبق ذكره، ص 55 .

(15) فؤاد عطية :مرجع سبق ذكره، ص 9 .

(16) المرجع السابق، ص 10 .

(17) نواف السبيعي : العلم المهمل .. الكشف عن الموهبة والعبقرية من خلال خط اليد ، في http://www.alriyadh.com/28/08/2006/article182300_s_2007/02/24

(18) فؤاد عطية:مرجع سبق ذكره، ص 10 .

(19) فؤاد عطية : الألوان والخط .. جمال وتناغم وعلاج ، في 2007 /04 /25 <http://www.alargam.com/numbers/ragm198.htm>

(20) رأفت عسكر:مرجع سبق ذكره، ص 85 .

(21) محمد ملاح ، علم الجرافولوجي يحدد مزاج الصائم في رمضان ، في 2007 /03 /14 <http://www.alhashemih.com/vb/showthread.php?s=1480>

(22) رأفت عسكر :مرجع سبق ذكره، ص 214 .

(23) Baggett , Bart A: The secrets to make love happen . US , presse publishing, 2002, p 30 .

(24) Delachaux . S et Bousquet . L: La graphologie et l'adaptation au travail (Orientation et sélection professionnelles) , éditions delachaux & Niestlé , France , paris ,1960 , p 26 .

(25) Bunker , M . N: Handwriting analysis , Chicago , U, S, A , Nelson hall . co , publishers ,1959 , p 82 .

(26) مرفت السجان : الكشف عن الموهبة والنبوغ والعبقرية من خلال تحليل الخط اليدوي -
علم الجرافولوجي ، في 14 / 03 / 2007

<http://www.alhashemih.com/vb/showthread.php?s=1783>

(27) Robert , Holder: Handwriting talk how handwriting reveals what people are really like .. and how you can use handwriting analysis as a way to personal power and profit , New york , Fransworth publishing company inc rockville centre ,1974, p 2 .

(28) McNichol , Andrea: Handwriting analysis putting it to work for you . US .. Published by contemporary books a divisio of NTC / contemporary group , Inc, 1994 , p 306 .

(29) شخصيتك من خطك ولون قلمك ، في 14 / 03 / 2007 ،

<http://www.alhashemih.com/vb/showthread.php?s=695>

(30) رأفت عسكر ، نفس المرجع السابق ، ص 221 – 223 .

(31) Imberman , Rifkin: Signature for success . Kansas city .. Andrews mceel publishing, 2003 , p 354 .

(32) Hayes , reed: Between the line , USA , Destiny books , 1993, p 23.

(33) عبد الجليل الأنصاري ، أكتشف أسرار الخط ، في 14 / 03 / 2007 ،

<http://www.4uarab.com/vb/showthread.php?s=60839>

(34) رأفت عسكر :مرجع سبق ذكره، ص 117-118 .

(35) مرفت السجان : الكشف عن الموهبة والنبوغ والعبقرية من خلال تحليل الخط اليدوي -
علم الجرافولوجي ، في 14 / 03 / 2007

<http://www.alhashemih.com/vb/showthread.php?s=1783>

(36) Robert , Holder ,Op.Cit , p 51 .

(37) رأفت عسكر :مرجع سبق ذكره، ص 154- 155 .

(38) فؤاد عطية :مرجع سبق ذكره، ، ص 47 .

(39) عبد المنعم الحفني :مرجع سبق ذكره، ص 60 .

رؤية سيكوسوسيولوجية لعملية الإختيار الزوجي في المجتمع الجزائري

الأستاذة: غسيري يمينة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر

الملخص:

تعد مسألة إختيار شريك الحياة الزوجية على مستوى معتبر من الأهمية لدى كل من الشاب والفتاة المقبلين على الزواج في مختلف المجتمعات الإنسانية، ومع ذلك فإن معاييرها والأساليب المرتبطة بها والمعتمدة فيها من أجل تحقيق التوافق في العلاقة الزوجية بين الشريكين المعنيين تختلف بإختلاف الأفراد والجماعات والمجتمعات تبعا لعوامل نفسية وإجتماعية وثقافية...

Le résumé :

Dans toutes les sociétés humaines, la question du choix conjoint ou de la conjointe revêt une importance extrême pour les jeunes désirant de se marier.

Cependant, les critères et les méthodes à même de fixer ce choix et garantir un ajustement entre les partenaires différent selon les individus, les groupes et les sociétés en fonction de plusieurs facteurs psychologiques, sociaux et culturels.

من أولى التساؤلات والأفكار التي تطرح في أذهان الشباب والشابات المقبلين على الزواج هي: التفكير في الصورة التي يرغب أن يكون عليه شريكه، وما هو السبيل الأمثل الذي يمكنه من خلاله الحصول على شريك يتطابق أو يقترب بشكل مرضي من الصورة التي وضعها كل من الشاب أو الفتاة في مخيلته وذهنه عن مواصفات الشخص الذي يرغب في أن يكون شريك حياته الزوجية.

إن تفكير الشاب أو الفتاة في اختيار وانتقاء الشريك المناسب يقوده لا محال إلى التفكير في الكيفية أو الأسلوب الذي يمكن أن يحقق هدفه ولكن ليس بمعزل عن المعطيات الاجتماعية التي يعيشها أي منهما، فكما هو معروف ففي الوقت الذي يتمتع فيه الفرد شاب كان أم فتاة بشخصية متميزة ومنفردة ومستقلة بالكثير من السمات والخصائص والسلوكات عن غيرها، في الوقت نفسه هناك الكثير من العوامل والتفاعلات التي تربط الفرد وسلوكاته واستجاباته مع جماعات كثيرة لعل من أهمها الأسرة التي تجمعها بها علاقات وجدانية وتفاعلات عميقة الأثر في سلوكه بل وحتى في تكوين جوانب عديدة في شخصيته، الأمر الذي يطرح في ذهن كل من الشاب والفتاة إشكالية: هل أعتد في إنتقاء شريك حياتي الزوجية على الأخذ برأي والدي والأسس التي ترغبها وتريدها وتتطلع إليها عائليتي؟ أم أعتد على معايير الخاصة في الاختيار؟ ثم ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في الشريك الذي سأختاره حتى يكون الإنتقاء موفقا والزواج ناجحا؟

إن لما للزواج من أهمية قصوى في البناء الأسري والاجتماعي وإستمرارية بقاء البشرية فإننا نلح بالدرجة الأولى على ضرورة الإختيار الأحسن لشريك الحياة، حيث أنها النقطة الرئيسة التي يجب إعطاؤها الأهمية الكبرى في كل عملية زواج لتفادي عدم التوافق والتكيف والتكافؤ والطلاق الوشيك بين الزوجين في بناء أسرة سليمة ومد أجيال صالحة.

مفهوم عملية الإختيار الزواجي:

يعد إختيار شريك الحياة من أهم وأصعب القرارات في حياة الفرد، بحيث يتطلب منه الكثير من الوقت والتفكير والجهد العاطفي، وكثيرا ما نسمع عن أثر التكافؤ (الإجتماعي والمادي والثقافي والعمري والديني) على إنجاح الزواج، وقد تتقارب هذه العوامل المهمة بين الطرفين ومع ذلك نرى الكثير من الخلافات والنزاعات ونشهد نسبا متزايدة من الطلاق والإنفصال ضمن مختلف الشرائح المجتمعية، فهل هناك ما نغفل أهميته في عملية إختيار شريك الحياة وقرار الزواج؟

تعرف سناء الخولي عملية الإختيار الزواجي بأنها الطريقة التي يغير بها الفرد وضعه من أعزب إلى متزوج⁽¹⁾. والحقيقة أن هذه العملية لا تأتي غالبا دفعة واحدة بل تمر بعدة مراحل كما بين ذلك آدمز 1986 حيث يرى أن إختيار شريك الحياة يعد عملية معقدة تتضمن أربع مراحل كما يلي:

➤ المرحلة الأولى:

يتم إختيار الشريك من ضمن دائرة التفاعلات الإجتماعية المتوفرة، وفي هذه المرحلة يختار الأشخاص شركاءهم عادة ممن ينجذبون إليهم جسديا وممن يشابهونهم في بعض الخصائص والصفات، الميول والذكاء والشخصية والسلوكات القيمة والأخلاقية والصفات الأخرى.

➤ المرحلة الثانية:

تحدث عملية الكشف عن الهويات من خلال محادثات الكشف عن الذات التي تجري بين الشخصين، تتبعها عملية المقارنة بين القيم، وإذا أدى وقاد ذلك إلى تعميق التجاذب الأصلي بين الطرفين، فإن العلاقة تستمر قدما.

➤ المرحلة الثالثة:

يحدث إستكشاف التكامل والدمج بين الأدوار ولدرجة إحتماية وإمكانية وجود التعاطف المتبادل، وبمجرد ما تتشابك الأدوار ويتطور التعاطف المتبادل، فإن ثمن الإنفصال مهما كان باهضا يبدأ في أن يتفوق ويغطي على الصعاب والتوترات المرتبطة بالعيش والحياة سويا، وإذا تعمقت الجاذبية المتبادلة بصورة كافية وكانت العوائق أمام الإنفصال قوية بصورة كافية، فإن إندماج وإتحاد العلاقة يحدث بصورة مؤكدة.

➤ المرحلة الرابعة:

يتخذ القرار المتعلق بالإلتزام والإتحاد مدة أطول، وإذا إتخذ وتوصل الطرفان إلى قرار إيجابي بشأن القضايا السابقة فإن الزواج طويل الأمد يحدث. وعندها يدخل الشريكان إلى حياتهما سويا، فإنهما بفاعلية يجلبان معهما تقاليد أسرتين معا، ويضعان ويهيئان للأسس التي ستتكامل وتتحد فيها تلك التقاليد الأسرية الثنائية، ويجب مراعاة أن القرارات المتعلقة بعملية الزواج لا تكون سهلة دائما ، وهنا يبرز دور المرشد أو المعالج الأسري والزواجي الذي قد يضطر الزوجان لمراجعته لمعالجة تلك القضايا المعقدة⁽²⁾.

ونجد أنه لو قمنا بمقارنة طفيفة لواقع هذه المراحل مع واقع عملية الإختيار الزوجي في المجتمع الجزائري قبل بضعة عقود من الزمن لوجدنا أنه يصعب إسقاطها على واقع إجتماعي كان الزوجان (الشاب والفتاة) لا يلتقيان فيه ولا يريان بعضهما إلا ليلة الزفاف، بينما يمكن إسقاط هذه المراحل وبوضوح على واقع عملية الإختيار الزوجي في مجتمعنا اليوم بفعل المعطيات والمستجدات التي فرضت نفسها على الحياة الإجتماعية بمختلف مجالاتها نتيجة عوامل التغير

الإجتماعي وخروج الفتاة والمرأة للتعليم والعمل...، مما سمح بحدوث الإتصال والتواصل بين الشاب والفتاة وساهم بوضوح في تغيير الكثير من العادات واسلوكات والطقوس والأساليب المتبعة والملازمة لعملية الإختيار الزوجي في مجتمعنا.

أساليب الإختيار الزوجي:

إن أسلوب الإختيار الزوجي بصفة عامة نقصد به الطريقة المعتمدة عند شروع الفرد المقبل على الزواج في عملية الإختيار للشريك المناسب له بكيفية يرتضيها وكذلك المجتمع أيضا، وأساليب الإختيار للزواج قد تنوعت وتعددت حسب الظروف لكنها بقيت كلها متماسكة مترابطة كل منها بالأخرى، وكل علاقة زواج تقع بين حدين، حد الزواج القرابي أو العادي وحد الزواج الخارجي أو غير العادي، ومن بين أشهر أساليب الإختيار للزواج المتبعة في أغلب المجتمعات الإنسانية لاسيم منها مجتمعنا نجد الأسلوب الوالدي والأسلوب الفردي (الشخصي)، والفرق بينهما يكمن فيما سيتضح الآن:

1. الأسلوب الوالدي:

وهو ذلك الأسلوب الذي يظهر فيه تدخل الأهل الوالدين الأب والأم خاصة أو واحد من بعض الأقارب الذي إعترف به كرأس للعائلة وسيدها (الجد ، العم، الخال مثلا)، في سير عملية الإختيار للزواج الخاص بالأبناء الذكور والإناث معا، ففي بعض المجتمعات العربية مثلا قد يكون التدخل من طرف الأهل أو الأقارب بصفة مطلقة تجعل الشريكين المقبلين على الزواج لا يستطيعان الخروج على القرار المأخوذ من طرف العائلة حتى ولو كان ذلك ضد رغبتهما بمعنى آخر ليس لهما الحق في أن يدلّيا بأدنى رأي في مسألة زواجهما، حتى وإن كان هناك بعض الحالات الإستثنائية كوجود أسر في بعض المجتمعات تسمح

للأبناء بالإدلاء برأيهم في مسألة الزواج إلا أن ذلك يكون بصفة جزئية، فإرضاء الأسرة أو العائلة يبقى دائما ذا أهمية كبرى وأمرنا يجب أن يحققه الإختيار للزواج. وما يميز الأسلوب الوالدي في عملية الإختيار للزواج هو إعطاء أهمية للإعتبرات الإجتماعية وكذلك الإقتصادية بغض النظر عن عاطفة الحب أو الصلات الشخصية التي قد تربط المقبلين على الزواج، والسعادة الشخصية بالنسبة لهذا الأسلوب ليست بالشيء المهم والأساسي وإنما هي شيء ثانوي وعاطفة الحب قد تولد بعد الزواج لا قبله في نظر الأهل⁽³⁾.

2. الأسلوب الفردي (الشخصي):

وهو ذلك الأسلوب الذي تظهر فيه فعالية الفرد المقبل على الزواج في سير عملية الإختيار للزواج وفقا لرغبته الشخصية، بمعنى آخر أن الشخص الذي يعنيه الأمر يختار الشخص المناسب له دون تدخل من أحد وهذا لا ينف استشارة الأبناء للأباء(الوالدين) قبل أن يقدموا على الزواج وموافقة هؤلاء لا تكون أقل قدرا من التدخل لأن في حالة الرفض لا يستطيعون تغيير إختيار الأبناء الشخصي في كثير أو قليل. إن أغلب المجتمعات العربية أخذت على عاتقها مسؤوليات كبيرة في الإختيارات الخاصة بالزواج وبالتالي أصبح المجتمع من عوامل الضبط البارزة في إستقرار نسق الزواج، وبالرغم من ذلك قد أتيح للشباب في المجتمعات الحضرية والعواصم الكبرى فرصا أكبر للإختيار الحر. لا يفوتنا أن نشير هنا أيضا إلى أنه رغم التطور الذي وصلت إليه المجتمعات الغربية، إلا أن الأولياء إستمروا في فرض المراقبة على زواج أبنائهم حتى مع ظهور بعض المبادرات من طرف الشباب في إمكانية إختيار الزوجة كان لابد من مراعاة شروط ذويهم بينما الفتاة بقيت تشهد مراقبة من طرف العائلة على معارفها ومخاطباتها وحتى على خروجها خاصة في سن المراهقة، والملاحظ أيضا هو أن الآباء في الطبقات العليا كانوا

يفرضون سيطرة واضحة على زواج أبنائهم أكثر من أبناء الطبقات السفلى إلى درجة المقاطعة في حالة رفض الأبناء لرغبة الآباء⁽³⁾.
مجال الإختيار الزوجي:

أما مجال الإختيار الزوجي فيقصد به ذلك المجال الذي تتم فيه عملية الإختيار للزواج، أي الإطار الذي يحدده المجتمع للعائلة وكذلك الفرد للتحرك فيه أثناء عملية البحث عن الشريك المناسب للزواج سواء كان ذلك للرجل أو للمرأة، ومن بين المجالات المعروفة عبر التاريخ لإختيار الشريك في الزواج في أغلب المجتمعات وبما في ذلك المجتمع الجزائري، نجد المجال الداخلي وكذلك المجال الخارجي، وبناء عليه ظهر هناك نظامان أساسيان لإختيار الشريك (ة) للزواج هما نظام الزواج الداخلي وكذلك الخارجي والذان أطلق عليهما علماء الإجتماع إسطلاحي الإندوماجي والأجزامي، وهما كلمتان يونانيتان

Endogamy

كلمة مركبة من إندو بمعنى داخل باللغة العربية وجاموس بمعنى زواج باللغة العربية والكلمة كلها تعني الزواج الداخلي.

Exogamy

هي الأخرى كلمة مركبة من إجزو وتعني باللغة العربية خارج وجاموس وتعني الزواج والكلمة كلها تعني الزواج الخارجي، وكل منهما يختلف عن الآخر كما سيتضح لنا ذلك فيما يلي:

1. الزواج الداخلي (الإندوجامي):

إن القاعدة الإجتماعية لهذا النظام تحتم أن يكون الزواج من نفس أعضاء الأسرة أو القبيلة أو الطائفة وتوقع عقوبات على من يتزوج خارج الجماعة، وقد

يكون الزواج الداخلي في بعض الأحيان قائما على أساس الإلتزام أو الإختيار. بمعنى أن الشخص يتزوج من داخل الجماعة التي ينتسب إليها كما له حق الإختيار مع العلم أنه يمنع من أن يكون الشريك المختار من دائرة واسعة وغريبة. وهذا النوع من النظام في الزواج ساد العائلة التقليدية في كثير من المجتمعات لاسيما العربية منها والتي من بينها مجتمعنا⁽³⁾.

2. الزواج الخارجي (الإجزامي):

إن ما يميز هذا النظام أنه عكس النظام السابق فيما يخص عملية الإختيار للزواج حيث أن هذا الأخير يسمح للفرد بأن يختار ويتزوج من خارج نطاق الجماعة الأسرة أو القبيلة...، بمعنى آخر أن الشخص المقبل على الزواج له الحق في إختيار الشريك المناسب له للزواج من خارج الجماعة التي ينتسب إليها ولا تعد قريبة له فمجال الإختيار يمكن أن يكون واسعا وغير محدود. فلقد جاء في دراسة قام بها جاك قودي أن توجيه الزيجات في نظام الزواج الغربي أو الشرق هو زواج داخلي وذلك للحفاظ على السلالة وهذا ما يتضح جليا في مجتمعنا الجزائري فرغم وجود النظامين معا أي نظام الزواج الداخلي ونظام الزواج الخارجي نلاحظ أن النظام الأول كان سائر المفعول بين العائلات وهو ما يسميه البعض الزواج بإبن (ة) العم (ة) أوو إبن (ة) الخال (ة).

وبناء عليه يمكن القول بأن المجتمعات الإنسانية عرفت على مر التاريخ أن الأسرة إما أن تقوم على أساس الزواج الداخلي أو الزواج الخارجي، وهذا نظرا لإعتبارات عديدة قد تؤخذ في الحسبان منها النظرة للأقارب بإعتبارهم من المحارم الذين لايجوز الزواج منهم، أو الرغبة في توسيع نطاق العلاقات القرابية من الداخل محافظة على الثروة أو العصبية أو الرغبة في إنشاء علاقات مع الغير

توسيعاً لنطاق العلاقات الإجتماعية وطلباً لمراكز القوة التي تترتب على الزواج الخارجي⁽³⁾.

الإختيار الزوجي في منظور الشريعة الإسلامية:

لا يفوتنا ونحن نتطرق إلى موضوع الإختيار الصائب لشريك الحياة الزوجية أن نتعرض إلى رأي الشريعة الإسلامية في مسألة الإنتقاء المناسب للزوج باعتبار الإسلام الديانة الأساسية التي يدين بها المجتمع الجزائري وسنعرض في هذا المقام بإيجاز أهم الضوابط الدينية التي ينبغي على كل من المرأة والرجل مراعاتها في اختيار الزوج (Mari)، والمتمثلة في خمس نقاط حددها حبيب الله طاهري⁽⁴⁾ كالتالي:

التكافؤ في الإيمان والعقيدة.

✓ حسب ونسب العائلة.

✓ حسن الخلق.

✓ السلامة في البدن والعمر المناسب.

✓ سلامة الفكر والروح.

وأضاف عبد الله ناصح علوان⁽⁵⁾ محددين آخرين هما :

✓ الزواج من غير الأقارب.

✓ تفضيل الزواج بذوات الأبنكار⁽⁵⁾.

✓ وفي الواقع إنه لمن المثير للإهتمام أن نحاول إستعراض جميع الخواص المطلوبة أو المفضلة في شريك الزواج إلا أنه من غير المفيد أن نتكلم عن أية خواص معينة قبل أن نحيب على هذا السؤال (زوج أو زوجة من؟) فالخواص المرغوبة أو المطلوبة متغيرة على الدوام وتعتمد على

شخصية وتوقعات الفرد الذي يتخذ القرار. ومعنى ذلك أن الخصائص أو الصفات نسبية وتختلف باختلاف إتجاهات من وضع القائمة.

خواص شريك الحياة:

لقد ورد عن الخولي 1983، أن أحد الدارسين قد قام بدراسة عن إتجاهات مجموعة من الزوجات والأزواج نحو أنماط السلوك التي يشعرون أنها تسهم في نجاح أو فشل زيجاتهم، وقد ظهرت إجابات عديدة ومتنوعة ، ففي قائمة الأزواج نجد إجابات مثل: (أنها تعد الطعام في موعده دائما، وأنها تجيد حياكة الملابس، وأنها تعد لي دائما ملابس نظيفة، وأنها تغسل لي ظهري...)، أما إجابات الزوجات فكانت أيضا متنوعة وطريفة مثل: (إنه يساعدني في غسل الأطباق، إنه يحب الطبيعة، إنه لا يحكي نكت قديمة وهكذا)، ومن إستعراض هذه الإجابات يتبين لنا مدى الاختلاف في أوجه التفضيل التي تختلف من شخص لآخر. إن الإختيار المناسب قد يكون نصف المعركة، ولكنه مجرد نصف أي أنه بداية التوافق الزوجي وليس نهايته، فالموقف هنا لا يشبه ما يحدث عند إختيار مهنة مثلا فالظروف هنا مختلفة تماما من حيث التكيف والإعداد. إن الإختيار لا يتضمن فقط شخصية الفرد الآخر ولكنه يتضمن أيضا أشياء أخرى مرتبطة به، مثل الظروف التي سيعيش في ظلها الزوجان ومتطلبات مهنتهما ومكان السكن، وغط أقاربهما، وهذه الأشياء ترتبط أكثر بإختيار الزوجة لزوجها أكثر مما ترتبط بإختيار الزوج لزوجته، لأنه من المحتمل في بعض الحالات حتى في الوقت الحالي حيث التغير الإجتماعي السريع أذ نجد أن طبيعة مهنة الزوج هي التي تؤثر إلى أبعد مدى في حياة أسرته، كما أنها لا تؤثر إلى حد كبير في تحديد دور الزوجة، ونوع الصلاحيات الشخصية التي تحتاجها لتنجز هذا الدور بنجاح. هذا بالإضافة إلى أن

مهنة الزوج تحدد إلى حد كبير مكان إقامة الأسرة وكذلك مكانة الزوجين في المجتمع المحلي⁽¹⁾.

وترى نفس الباحثة أن هناك بعض الإجراءات المتفق عليها في جميع المجتمعات، لا بد من إتباعها لإتمام الزواج، إلا أن هذه الإجراءات تختلف من مجتمع إلى آخر، ففي بعض المجتمعات يسمح للأفراد المقبلين على الزواج أن يسهم في عملية الإختيار وفي هذه الحالة توجد درجة من الإختيار الشخصي بين طرفي الزواج، أما في حالة الزواج المرتب فإن العملية تحدث بين أعضاء الجماعة القربية بوجه عام. وفي بعض الظروف لا يلتق العريس عروسه قبل يوم الزفاف، إلا أن هذا الوضع أصبح نادرا في الوقت الحالي، إذ أنه من النادر أن تحدث عمليات الإختيار الزوجي مستقلة على النظم الأخرى مثل المدارس وجهات العمل والجيران⁽¹⁾.

وتضيف أنه طالما أن المتغيرات السالف الذكر تحدد مجال الإرتباط للأفراد والجماعات فمن المعتقد أنها تحدد أيضا مجال ترشيح الزوجة أو الزوج المرغوب فيه والذي من خلاله يتم إختيار شريك الحياة.

وفيما يلي سيرد ذكر بعض العمليات أو الآليات التي يعتمد عليها في عملية الإختيار الزوجي في المجتمع الجزائري:

بعض الآليات المعتمدة في الإختيار داخل المجتمع الجزائري:

1. الحب والإعجاب في الزواج:

يستخدم معظم الناس مصطلح الحب لوصف المشاعر تجاه عدد قليل من الناس الذين يشعرون نحوهم بالجذب أو التعلق الشديد، كما أنه ليس من الواضح عما إذا كان الإعجاب والحب هما مشاعر مختلفة إختلافا نوعيا، أم أن الحب هو

ببساطة شكلا حادا من أشكال الإعجاب، ونحن نفرق في حياتنا اليومية بين أنماط مختلفة من الحب كالحب الوالدي والحب الرومنسي والعاطفي وحب الأصدقاء وحب الزملاء وحب الإنسانية وحب الوطن وحب الله، وسنركز بإختصار هنا على الحب الرومنسي العاطفي، فقد قامت إيلين ووليم والستر بوصف هذا الإنفعال على أنه حالة من الإنغماس الحاد مرتبط بالإنشطار الفيزيولوجية القوية ومصحوبة بتشوق أو نشوة نحو الشريك ورغبة في تحقيق المشاركة⁽⁶⁾.

فقد سمح إختلاط الفتاة بالرجل نتيجة التغير الإجتماعي وخروج المرأة للعمل بإقامة علاقات بين الجنسين وحدوث إستجابات عاطفية من قبيل الحب والإعجاب مما ساعد على ظهور ما يسمى بزواج الحب، حيث أصبح كل من الشاب والفتاة يضع في إعتباره ضرورة وجود العاطفة الإيجابية لكل منهما نحو الآخر قبل الزواج، ومع أن لهذا التوجه من التفكير قدر من الصحة ومع أن للحب والمشاعر والعواطف الإيجابية في العلاقة الزوجية أهميته البنائية والوظيفية والنمائية في حياة الأسرة ومراحل الزواج المختلفة إلا أنه يجدر بنا الإشارة في فكرة الحب بأنه كما أوضحت عائشة أحمد ناصر⁽⁷⁾، يمكن الموافقة على صحة وجود قاعدة مفادها ان كل زواج به درجة او أخرى من الحب على الرغم من أنه ليس كل حب ينتهي بالزواج، ذلك أن الإنسان يتزوج على أمل تحقيق السعادة والمشاركة والتفهم ومطالب وتوقعات وإشباع حاجات وأن هذا الأمل يجد ذاته يكفي ليكون بذرة سليمة لنمو الحب⁽⁷⁾.

تصورات خاطئة عن مفهوم الحب:

ويجدر هنا التنبيه إلى مجموعة من التصورات الخاطئة التي لا بد من وعي كل من الشاب والفتاة بها في هذا الصدد والتي أوردتها سناء الخولي⁽¹⁾ والتي نعرضها في التالي:

أول هذه الأخطاء عندما نقول لقد وقعنا في الحب، ذلك أنه من الصعب أن نعرف بدقة الدلالة التي تتضمنها كلمة الوقوع هذه، فالوقوع كلمة لها معاني عديدة، فنحن نقول مثلاً: احترس حتى لا تقع على السلم، وقد يحمل الوقوع معنى السقوط أو الهبوط فنقول: هبط الليل أو هبطت درجة الحرارة أو سقط اللص صريع أو هبطت ثروة مفاجئة على شخص ما وهكذا، إلا أن الوقوع في الحب يختلف عن ذلك، فهو شيء لا يكون بمقدور الفرد أن يتحكم فيه ولذلك فإنه غير مسؤول عن نتائجه. ولكن من الخطأ أن نربط بين الوقوع في الحب والوقوع في فخ.

أننا عادة نفترض أننا نقع في الحب بقلوبنا فقط، ولكن هذا غير حقيقي فنحن نقع في الحب فعلاً بقلوبنا ولكن أيضاً بعقولنا، كما أن هذه العملية تتأثر إلى حد كبير بالتقاليد والعادات والأفكار الخاصة بالجماعة التي نعيش فيها والتي منها تنبعث إتجاهاتنا، ولهذا من الأفضل أن نقول أننا ننمو من خلال الحب وهذا أقرب إلى الحقيقة، فالحب عاطفة معقدة وهو يظهر عندما يعيد شخصان توجيه حياتهما، من خلال نقاط محورية جديدة على ذلك يكون الإنسان في حالة حب عندما يصبح في إمكانه أن يشبع الحاجات العاطفية لمحبوبه، ويصبح هذا الإشباع ضرورة عاطفية مطلقة بالنسبة له.

يعتقد بعض الأفراد أنه عندما يمارس شخص ما، ما يفسره على أنه حب فإن تجربته الحالية تفوق جميع الإعتبارات الأخرى، وهناك أيضاً إفتراض بأن ما يشعر به الفرد في لحظة معينة لا يمكن أن يتغير، وإذن فلا بد أنه الحب، وهذه الأفكار الخاطئة تندرج جنباً إلى جنب مع الفرض القائل بأن الحب هو بوجه عام تجربة تعنى بالدرجة الأولى بالجسد وإحتياجاته.

يعزو بعض الأفراد إلى الحب قوة لا نهائية حيث يؤكدون أنه إذا كانت العواطف قوية بصورة كافية فإنها سوف تؤثر إلى حد بعيد ليس في علاقاتهم ولا في زواجهم فحسب بل أن السمات غير المرغوب فيها سوف تتحول وتتشكل لكي تصبح ملائمة وذلك من خلال (بلسم الحب الشافي).

وهناك أفكار وتصورات خاطئة مشابهة تنسب إلى الحب، المقدرة على حل المشاكل، فكثير من الأفراد يدخلون في علاقات الحب بسعادة طاغية بغض النظر عن المشاكل الأخرى المتعلقة بالوالدين والدخل والإنجاب والوظيفة وإختلاف مستوى التعليم وغير ذلك من العوامل التي يكون أحدها أو كلها عائقا لإستمرار الحب عمليا.

يعتقد بعض الأفراد أنه لا يوجد في العالم سوى شخص واحد يمكنهم أن يقعوا في حبه ويجدوا معه السعادة، وهذا تصور رومنتيكي إلى حد بعيد ولا يستند إلى أية حقائق، فالقول بأن الأفراد الذين يتلاءمون مع بعضهم فقط هم الذين يقعون معا في الحب إفتراض زائف، والدليل على ذلك كما نعلم أن معدل المواليد يصل إلى حوالي مولود في الدقيقة وبالتالي يكون من الصعوبة بما كان أن نبحت في كل هؤلاء عن شخص وحيد لنقع معه في الحب، وماذا يحدث لو تحقق هذا الفرض في الواقع شخصان ممن لهما أفكار معينة متعلقة بالشريك المثالي يلتقيان ويقعان في الحب، إنهما في الحقيقة ينقحان ويعدلان خلال هذه العملية مثلهما الأعلى كي يتلاءم كل منهما مع الشخص الآخر، ونتيجة لهذا يعتقد كل منهما أنه وقع في حب الشريك المثالي، فبعد تنقيح وتعديل النموذج المثالي أو النموذج الأعلى وتركيزه في شخص معين فإن هذه الحقيقة سوف تشكل إتجاهه نحو الأفراد الآخرين، وقد يكون من الصعب في هذه الحالة الوقوع في حب أي شخص آخر.

وأخيرا فهناك فكرة شائعة جدا وهي أن الحب قد يحدث من أول نظرة، ولكنها فكرة خاطئة بلا شك، فقد يكون هذا الشعور الفوري إعجابا بالشكل قد يستمر أو لا يستمر وذلك تبعا لبقية العوامل الأخرى، بالإضافة إلى أهمية رأي الشريك الآخر، فقد يعجب شاب بفتاة بينما هي لا تبادل نفس الشعور والعكس صحيح، إن تصديق هذه التصورات عن الحب يجعلنا نعتقد خطأ أن الحب هو الأساس الوحيد للزواج ولكن من الخطأ أيضا أن نتصور أن الوقوع في الحب هو مجرد مطلب سابق لإتمام الزواج لا يلبث أن يتلاشى بعد الزواج حيث يواجه الزوجان حياة زوجية رتيبة ومملة ويعامل كل منهما الآخر بفتور شديد.

موقف الآباء من زواج الحب:

وعن موقف الآباء من زواج الحب تشير فاطمة المريني إلى أن حق الآباء التقليدي في تقرير زواج أبنائهم يشغل محور الصراع، ويعارض الأبناء هذه الممارسة ويلحون على رغبتهم في الزواج الناجم عن حب، في حين أن الآباء من جانبهم يعتقدون بأن الحق يعود إليهم في إختيار شريك جنسي لإبنتهم أو إبنهم ويحول ذلك لهم سلطة كبيرة على الزوجين في حياتهما من دون شك، ويطالب الشباب على العكس من ذلك بحقوقهم في إختيار شريكهم، وكلما كانوا صغارا في السن كلما زاد إلحاحهم على الحق في الميل إلى من يشاؤون⁽⁸⁾.

ولما كان سخط الوالدين على إبنهما العازم على الزواج ممن يرفضونه او يرفضونها، فإن الإبن الذي يتعرض لهذه اللعنة مهدد بالفشل في كل ما يقدم عليه، بإختيار زواجه واشتعال النار في بيته وكساد تجارته وعموما عليه أن يتوقع قدرا مفزعا على الأرض في إنتظار الإكتواء بلظى جهنم يوميا، ونتيجة لذلك فإن معارضة الآباء لمشروع زواج أبنائهم فعالة في أغلب الأحيان ويعترف بعض الشباب من الجنسين بأنهم حقدوا على آبائهم نظرا للمأزق الذي وضعوا فيه، رضا آبائهم من جهة أو الشخص المحبوب من جهة أخرى، وتنتج عن ذلك

مجموعة من المواقف فبعضهم يثور داخليا ضد الآباء ولكنه لا يجسر على التحرك ويجد نفسه مشلولا وبعضهم الآخر يخطط لإتخاذ المبادرة ومواجهة إرادة الأبوين عمليا، وقلة منهم تهدد باللجوء إلى إجراءات متطرفة كقطع العلاقة بالوالدين أو الإنتحار⁽⁸⁾.

2. الوساطة في الزواج:

من الآليات المعتمدة في عملية البحث والإختيار الزوجي الوساطة، ولقد سادت الوساطة في الزواج المجتمع العربي الإسلامي منذ أن حجبت المرأة عن الحياة العامة وكانت هذه العملية سارية المفعول خاصة في الجماعات المحافظة والمنغلقة، حيث مارست دورا كبيرا في التعريف والتقريب بين الراغبين في الزواج وتحقيق التجانس فيما بينهم على أساس الإقتناع والتفاهم وبصفة خاصة مع الآباء من لهم سلطة على أبنائهم كما حدث هذا أيضا في المجتمعات التي تباعدت فيها الثقة بين العائلات ولا يجري التعارف فيما بينهم والتي لم يرق فيها نظام الإختلاط بعد بين الشباب للتعارف والذي يساعد على الإختيار للزواج لهذا كان لنظام الوساطة في الزواج أثره في الإنتشار للمساعدة على الإختيار للزواج وكذلك الخطبة.

إن الوساطة في الخطبة يقوم بها رجل أو امرأة يكون نشيطا ومحترفا في هذا المجال كالتمتع بالذكاء وطلاقة اللسان وتحسين التشبيه وضرب الأمثال إلا أنه في أغلب الأحيان تسند هذه المهمة إلى المرأة التي يسهل لها كيانها النسوي الدخول إلى المنازل والإختلاط بسيدات الأسر اللاتي هن التأثير الكبير في تسيير هذه العملية ويطلق على هذه المرأة اسم الخاطبة، وهذه الأخيرة تطوف بأماكن معروفة كالحمامات والمقابر والأعراس وكذلك المنازل التي فيها فتيات في سن الزواج، وتذهب أيضا إلى الراغبين في الزواج من الشباب لتعرف منهم بعض المعلومات

وغالبا ما تأخذ منهم صورة تعرضها على أسرة الفتاة التي تراها لائحة لشاب معين، وإذا وافقت أسرة هذه الفتاة على ذلك الشاب تقدم إليها خاطبا، لم تكن مهمة الخاطبة البحث عن زوجة لرجل فحسب بل كانت تسعى أيضا للبحث عن زوج لفتاة كاسدة أو يخشى كسادها نظرا لعدم تقدم أحد لخطبتها، أو لإمرأة أيم، فإذا وجدت الخاطبة رجلا أعزب أو أيما أو غريبا يبحث عن زوجة أحاطت به واستهوته بما تبتدع من أوصاف لمحاسن الفتاة أو المرأة⁽³⁾.

3. الزواج عن طريق الإعلانات (في المجتمع الجزائري):

لقد ذكرنا سابقا بأن التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري في مختلف مجالاته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بفعل عوامل التحضر والتصنيع والتعليم إنعكس تأثيرها على أسلوب الاختيار للزواج، حيث إنتقل هذا الأخير من الأسلوب الوالدي إلى الأسلوب الفردي، ولقد صاحب هذا التغير في عملية الاختيار للزواج صعوبات عديدة بالنسبة للأبناء المقبلين على الزواج بما فيهم البنات، جعلت المجتمع الجزائري يشهد مؤخرا إلى جانب الأساليب التقليدية في عملية الاختيار للزواج والمبنية أساسا على الاختيار الوالدي، الفردي إضافة إلى الوساطة في الزواج (الخاطبة) ظهور قنوات جديدة وأغربها عن قيم نظام الزواج في مجتمعنا والمتمثلة في أسلوب الزواج عن طريق الإعلانات، الذي تشرف عليه المؤسسات الإعلامية.

إن إقبال الشباب على هذه الطريقة في الزواج لا يدل بالضرورة على رفضهم للقيم الاجتماعية وغايات الزواج لكن يمكن أن يكون هذا التصرف والسلوك الجديد تعبيراً عن رغبتهم في توسيع مجال الاختيار والتغلب على الصعوبات الموضوعية وبالتالي إظهار طموحات جديدة، ورغم أن الزواج كمشروع في ذهنية الشباب له كل الوقت في تحضيره إلا أنه يجد نفسه أمام حواجز

و عراقيل تصعب من خلالها عملية الإختيار للزواج وإتمامه، فالرجل الشاب بالإضافة إلى كونه غير راض على إختيار والديه نجد غير قادر على إيجاد الزوجة المناسبة عن طريق الإتصال المباشر وهذا بسبب إنعدام الأماكن المعترف بها للتعارف وإلتقاء الجنسين مما يجعله يتقدم في السن بحجة الدراسة وبناء مستقبله العلمي وتوفير الإمكانيات اللازمة للزواج.

والمرأة الشابة طموحها في الصعود الطبقي من خلال الزواج ووجودها في محيط إجتماعي لا يتماشى ومستواها التعليمي والمهني وكذلك وجودها في مجتمع لا يسمح بل يحرم إنشاء علاقة مع الجنس الآخر جعلها تؤجل فكرة زواجها لوقت غير محدد. إن وجود مثل هذه العراقيل المذكورة بالنسبة للشباب أو الشابة من ناحية إضافة إلى المشاكل المادية كالمهر وأزمة السكن من ناحية أخرى زاد ويزيد من حدة عزوف الشباب عن الزواج، كما أن توتر العلاقات الأسرية إستوجب دخول طرف ثالث ليكون كوسيط في الزواج يربط بين الأطراف الراغبة فيه ألا وهو الجريدة التي ظهر معها أسلوب الزواج عن طريق الإعلام. ولقد عرف المجتمع الجزائري ظاهرة الزواج عن طريق الإعلان مباشرة بعد الإستقلال.

ومهما تعددت الأسباب فإن الأكد هو أن هذه الظاهرة فرضت نفسها عندنا بحدة حيث أصبحت جرائدنا التي فتحت هذه الأركان على صفحاتها تنافس مجلات عربية لها سمعتها في هذا المجال والتي نذكر من بينها على سبيل الميثال الوطن العربي، كل العرب⁽³⁾.

وفي الأخير لا يفوتنا أن نشير إلى أن الزواج عن طريق الإعلان لم يقتصر على وسائل الإعلام المكتوبة والمنطوقة فحسب وإنما إمتدت الظاهرة لتشمل المساجد وهذا قصد تسهيل مهمة الزواج بالنسبة للشباب حيث عملت بها الجماعات الإسلامية منذ 1991 تحت إسم (مشاريع الزواج) علما بأن هذه

الأخيرة ليست لها علاقة بالإعلانات المعهودة في الجرائد فهي لا تأخذ طابعا إسهاريا لأن طلبات وعروض الزواج يتم تدوينها في دفتر خاص لا يتطلع عليه أحد سوى الشخص المكلف بالمهمة والراغب في الزواج، ويكون المكلف في غالب الأحيان هو الوسيط في عقد القران⁽³⁾.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من أساليب وطرائق للإختيار الزوجي تشير سناء الخولي⁽¹⁾، إلى أنه ثمة متغيرات أخرى تحدد مجال الإرتباط للأفراد والجماعات وتحدد أيضا مجال ترشيح الزوجة أو الزوج المرغوب فيه والذي من خلالها يتم إختيار شريك الحياة ومنها:

➤ السن عند الزواج:

يبدأ سن الزواج بعد سن النضج البيولوجي بكثير أو قليل تبعا لظروف الشخص المقبل على الزواج. وفي إستطاعة الشخص أن يختار من يتزوجه سواء كان ممثلا له في السن أو أكبر أو أصغر (في حدود الشرعية)، وسن الزواج المسموح به قانونا في المجتمع المصري مثلا هو 18 سنة للفتى و16 سنة للفتاة⁽¹⁾، بينما عندنا في الجزائر يحدد سن الزواج قانونيا ب 19 سنة للفتاة والفتى حسب ما ورد في التعديل الأخير لقانون الأسرة الجزائري الصادر في سنة 2005 وللقاضي أن يرخص بالزواج قبل ذلك لمصلحة أو ضرورة، ولكن تقول الخولي أنه كثيرا ما يحدث إنتهاك لهذه القوانين وخاصة في المناطق الريفية، حيث يتم زواج فتيان وفتيات دون سن الزواج بكثير عن طريق إستخراج شهادة تسنين والإدعاء بفقد شهادة الميلاد الأصلية- في المجتمع المصري-، إلا أنه نتيجة للتغيرات الإجتماعية والثقافية والمحلية إرتفع سن الزواج وخاصة في المناطق الحضرية. لأن أعداد كبيرة من الشباب يلتحقون بالتعليم بمراحله المختلفة، وتستغرق بعض أنواع التعليم سنوات عديدة، لا بد أن تتلوها فترة من الإستقرار المادي والإستعداد

للزواج، مما جعل سن الزواج في الوقت الحالي يتراوح بين 23 و28 سنة للفتيات، و27 و34 سنة للشباب وتقريبا فالأمر لا يختلف كثيرا عما هو الحال في المجتمع الجزائري .

والوضع المألوف لسن الزواج تقول الخولي هو: أن يكون الشاب أكبر من الفتاة سنا ويرجع ذلك إلى أن نضج الذكر بيولوجيا عادة ما يكون أبطأ من نضج الأنثى كما أن الزوج بإعتباره رئيس الأسرة والمسؤول عنها يحتاج لوقت أطول ليصبح مؤهلا لهذه الوظيفة، هذا وتكون إختلافات السن في الزواج أقل في الأعمار الصغيرة وتزيد كلما تقدم السن، لأن الرجال يفضلون دائما الزواج ممن تصغرهم سنا⁽¹⁾، وعوامل أخرى مثل:

القرب المكاني:

المكانة الإجتماعية:

عوامل لابد من مراعاتها في مرحلة الإختيار الزوجي:

يرى صالح حسن أحمد الداھري⁽⁹⁾ أنه في مرحلة الإختيار وإتخاذ قرار الإرتباط يجب التنبه لمجموعة من الأمور حتى تتم هذه العملية بسلام وتحقق أهدافها المرجوة وهي:

✓ الوعي بالذات ومواجهة مواطن الضعف في الشخصية (مهما كان ذلك مؤلما) حتى يعي الفرد إحتياجاته ويدرك ما يريده من الطرف الآخر.

✓ حل المشكلات المتراكمة في الماضي قبل التفكير بالإرتباط، فتكرار التأثر بخبرات الماضي المؤلمة نظرا لإهمالها وعدم معالجتها قد يقضي على فرص السعادة.

✓ التروي في التعارف والإختيار، فالدراسة والفهم الواضح لنمط شخصية الطرف الآخر (نفسيته، نقاط قوته وضعفه) هي التي تساعد على خلق التفاهم والإحترام والمراعاة، وعلى الأهل تأمين مساحة زمنية وبيئة نظيفة-من خلال الزيارات العائلية والعزائم ومكالمات الهاتف على سبيل المثال- لتعرف الطرفين على بعض، والإستماع للأبناء وتشجيعهم على التواصل بأريحية والإبتعاد عن العصبية والعاطفة المبالغ فيها، فالنصيحة الواعية غير المربكة هي ما يحتاجه الأبناء حتى يكون الإختيار ناضجا ومناسبا.

✓ عدم التأثير بضغوط الأهل والمعارف، فالعروسان وحدهما سيتحملان مسؤوليات ونتائج الزواج، وعلى الأهل أن لا يضغطوا على الأبناء للموافقة أو الرفض، ويقوموا بالسؤال عن خلفية الطرف الآخر وعائلته، وعن معشرهم وسلوكياتهم وقيمهم، وعدم التقييد بمصدر واحد للمعلومة، فقد يأخذ جانبا من التحيز السلبي أو الإيجابي ومن ثمة يترك المجال للعروسين للإختيار، فالإختيار الشخصي هو ترجمة للحريات التي يتمتع بها الفرد وإن ضغط الأهل سواء على الفتاة أو على الشاب للزواج يترجم عجز الشباب وتعدي أهلهم على حقوقهم، كما أن تقدير الأهل للإلتهاب والمظهر قد لا يتناسب مع أمزجة وتقديرات الشباب ما يجعلهم يشعرون بأنهم مجبرين على العلاقة الزوجية، فيحملون الشريك مسؤولية عجزهم ويعاقبونه بسوء المعاملة، أما الإختيار الشخصي يجعل الطرفين يبذلان جهدا أكبر للتفاهم، ما يزيد من تقييمهم للعلاقة والمحافظة عليها.

✓ الإختيار بالعقل والعاطفة معا، فالإعجاب هو المحرك الأساسي للمشاعر في بداية الإرتباط، حيث يغلب الإنفعال والإلتهاب على معظم القرارات

والسلوكيات، لذلك يجب إعتقاد التفكير الواقعي إلى جانب المشاعر حتى
ينجح الطرفان في التعرف على بعضهما والتحضير نفسيا وعاطفيا لتحمل
مسؤولية القرار⁽⁹⁾.

نظرا للأهمية الكبرى التي تتصل بعملية الإختيار الزواجي خدمة للفرد والزواج والأسرة والمجتمع، كان لزاما علينا ونحن نحاول معرفة الأسس السليمة لإنتقاء الشريك المناسب ضمان لحياة زوجية وأسرية مستقرة ومتوافقة، أن نتناول الكيفيات الجاري العمل بها في المجتمع الجزائري لسير هذه المرحلة وخصائصها وطقوسها والعوامل التي تسهم في تغيرها، حتى يمكن التوصل إلى الآليات النفسية الإجتماعية والثقافية المنظمة والمسيرة والمتحكمة فيها بغية إيجاد الآليات والطرائق التي تضمن توافقية الإختيار وسوائه في دون المس بالخصائص الجوهرية السليمة للمجتمع التي تعطيه ميزته وثقله، تجنبنا لإصطدام الفرد وسلوكاته بالمعيار والعرف الإجتماعي، لأن هذا يمكن أن يشكل بداية اللاتوفق الشخصي والزواجي للفرد وعلاقته الزوجية بشريك حياته.

❖ هوامش البحث

1. سناء الخولي: الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1983، ص149-154-159-160
2. جهاد محمود علاء الدين: نظريات وفتيات الإرشاد الأسري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص24-25.
3. مليكة لبديري: الزواج والشباب الجزائري إلى أين، دار المعرفة، الجزائر، 2005، ص 25-33.
4. حبيب الله طاهري: مشاكل الأسرة وطرق حلها، ط2، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003.
5. عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، م1، ط4، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة -مصر- 2005.
6. ليندا دافيدوف: السلوك الاجتماعي الوراثة البيئة الروابط الاجتماعية، ترجمة إبراهيم العرابي الدار الدولية للإستثمارات الثقافية، القاهرة مصر، 2000، ص92.
7. عائشة أحمد ناصر: التواصل والمحبة وتقدير الذات في العلاقة الزوجية التوافق بين لغة العقل والقلب والوجدان، منشورات الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009، ص66.
8. فاطمة المرينسي: الجنس كهندسة اجتماعية بين النص والواقع، ط2، نشر الفنك، الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص ص 83-85-86.
9. صالح حسن أحمد الداھري: أساسيات الإرشاد الزواجي والأسري، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، 2008، ص ص 19-20.

الدراسات الأنثروبولوجية

هوية الطعام و طعام الهوية

الأستاذ: عماد صولة

المعهد الوطني للتراث- تونس

الملخص:

يتزايد الاهتمام بالممارسات الغذائية و المطبخية من منظور علاقتها بمسألة الهوية الآخذة في الصعود، و لا شك أنّ الطعام التقليدي بوصفه حاملا لذاكرة جماعية يوفرّ مادة جيّدة للتحليل الاجتماعي الأنثروبولوجي لهذه الإشكالية العامة. و بناء على نموذج طبق الكسكسي تحاول الدراسة تفكيك ثنائية الطعام و الهوية أي أوجه التداخل و تبادل الأدوار بين ما هو طبيعي و ما ثقافي.

Résumé:

Cette étude se veut une tentative de réflexion autour de la dualité alimentation / identité dans la société tunisienne à partir de l'exemple du couscous, plat ancestral chargé de mémoire et de symboles.

En se basant sur une approche anthropologique diachronique, l'analyse de la pratique sociale de ce repas, nous a permis de relever son aspect identitaire complexe : culinaire, historique, rituel et symbolique.

كثيرا ما قيل إنّ الإنسان يجتاف طاقات و خواص الطعام الذي يأكل، دون أن يحمل هذا القول على محمل الجدّ لارتهانه لمعتقدات و تصوّرات سحرية و دينية تبدو مناهضة لروح العلم الوضعي. غير أنّ الفتح الأنثروبولوجي الذي أباح شتى نظم الفهم و التأويل، أعاد النظر في العلاقة بين الأكل و المأكول، فألغى المسافة الفاصلة بينهما بناء على أنّ حقيقة الإنسان مشروطة بالغذاء، لكنّ ماهية هذا الأخير محدّدة ثقافيا. من هنا جاءت عملية تحويل الأغذية من حالتها الخام إلى وضعيّة متحضّرة أو ثقافيّة، و ذلك بإستخدام تقنيات مختلفة مثل التجفيف و التمليح و الطهو بأنواعه، و هذا التحويل ماديّ تقني بقدر ما هو رمزيّ، إذ يتمّ نقل المادّة من وضع إلى آخر يمكن تسميته بالقابليّة أو الصلوحية الثقافيّة للإستهلاك.

و إذا كان أيّ غذاء يجب أن يكون مفكّرًا فيه بصفة جيّدة حتّى يكون جيدا للأكل و فق التعبير الشهير للفي شتراوس، فإنّ الممارسة الغذائيّة نفسها تتحوّل إلى إحدى المرجعيات الضابطة للإنسان في بعديه الفردي و الجماعي.

و مع تفجّر مسألة الهوية منذ بضعة عقود، أخذ الطعام شحنة جديدة حيث صار ينظر إليه بوصفه مكرّسا لتقطيعات اجتماعية و إثنية و ثقافية، ممّا مهّد السبيل لإعادة اكتشاف الذاكرتين المطبخية و الغذائيّة، و غنيّ عن الشرح و التفصيل دور الذاكرة في تركيب الهوية و استمرارها.

و الكسكسي، الذي يعتبر أشهر الأطباق في المجتمعات المغاربية، هو مثال حيّ لهذا المفهوم المركّب للطعام، إذ أنّه يكوّن بنية مطبخية، بتعبير "دوغلاس"، بل و فوق هذا هوية غذائية ليست هي في حقيقة الأمر سوى جزء من هوية المجتمع عينها، لكنّه سرعان ما ينقلب إلى مصدر من مصادر دينامية إعادة إنتاجها و أحد علاماتها، ليتداخل الأكل بالمأكول و تصبح الهوية الغذائيّة هي نفسها الهوية الثقافية

للمجتمع أو لإحدى فئاته وجماعته، مع فارق في الامتداد، و هو ما سيتمّ تحليله في سياق المجتمع التونسي من منظور أنثروبولوجي دياكروني.

1. الهوية المطبخية

ينتمي الكسكسي إلى طائفة الأطعمة القائمة على الحبوب التي تمثل أساس المطبخ المتوسطي المعروف باعتماده على المعجنات، و يتمّ إعداد الحبوب وفق أربع مجموعات هي العصائد و الخبز و المكسكات و القطع المجففة. و يحيل الكسكسي على تلك الحبيبات المصنوعة من القمح أو الشعير و فق تقنيات معلومة، و على طبق خاص مطهوّ انطلاقاً من هذه المادة المشتقة التي تكوّن جوهره المطبخي ليس فحسب لطغيانها على سائر العناصر الحاضرة فيه، بل و أيضاً لأن الوصفة برمتها قائمة على إحكام التعامل مع كريات الكسكسي.

أما على المستوى اللساني، فقد أطلقت عليه تسميات متعددة اختلفت بين الأمازيغية و العربية، ففي الأولى نجد "سكسو"، و هي الأوفر استعمالاً، و "سيكسو" و "كسكو". بينما في العربية يسمّى الكسوكسو و الكسكسو و الكسكسي كما وثقت لنا ذلك بعض الشهادات نهاية القرن التاسع عشر⁽¹⁾. و من مسمياته القديمة جدّاً كسكسون التي أوردها "دوزي" في معجمه اعتماداً على المقرئ⁽²⁾.

و تدريجياً انحصر الاستعمال في عبارة الكسكسي، بالياء أو دونها، التي فرضت نفسها في الفصحى و الدارجة على حدّ سواء، لتتسرّب إلى اللغات الأروبية لا سيما الفرنسية و الإيطالية و البرتغالية.

و لئن كانت التسمية هي إعلان عن هوية المسمّى كما يقول اللسانيون، ففي حقل الممارسات الغذائية تؤلّف التقنيات المطبخية إحدى أهمّ محددات للطعام، لذلك فإنّ ماهية الكسكسي لا تتحدّد فقط بالمادّة الأولية المكوّن منها، و إنّما أيضاً من أسلوب طهوه القائم على استخدام البخار. و هو بهذا يندرج ضمن المثلث المطبخي للفي شتراوس و الذي يكوّن النبيء و المطبوخ و المتعفنّ أضلاعه الثلاثة. و يتحقّق العبور من النبيء إلى المطبوخ من خلال سيرورة ثقافية، بينما يتمّ

الانتقال من من المطبوخ إلى النيئ عبر سيرورة طبيعية. و بين قمم المثلث تظهر وضعيات وسطية مثل المصلى الذي يترك النيئ في داخله فيبقى قريبا من الطبيعة، بينما المطبوخ يقتضي توفر وعاء، أي شيئا ثقافيا، كما يزال معه النيئ كليا، فيكون بذلك أقرب إلى الثقافة منه إلى الطبيعة⁽³⁾. و هو ما ينسحب على تقنية طهو الكسكسي الذي تطهى حبّاته بالبخار بما يجعله ممارسة مطبخية مركّبة، وإن كانت القاعدة الأنثروبولوجية تعتبر أّلا شيء بسيط الطهو طالما أنّه ينبغي أن يطبخ بهذه الكيفية أو تلك كما يذكّرنا دائما لفي شتراس⁽⁴⁾.

1.1 من البذور إلى حبات الكسكسي

الكسكسي أصناف تختلف حسب نوعية الحبوب المستعملة و طريقة تحضيره ثمّ طبخه و التي تتعدّد هي الأخرى تبعا للظرفيات و المتغيّرات الإجتماعية و الإقتصادية.

تطحن بذور القمح أو الشعير بواسطة رحي حجرية تتركّب من فكّين هما عبارة عن اسطوانتين صخريتين سميكتين متساويتين حجما و مقاسات، توضع إحداهما فوق الأخرى بحيث تؤلّفان طبقتين متلاصقتين زوّدت الفوقية منهما بمقبض لإدارتها و بها حفرة صغيرة توضع فيها الحبّات حفنة حفنة لتحوّل تدريجيّا بمجرد دوران الرّحى إلى طحين يتسرّب من بين الإسطوانتين ليقع على بساط من الجلد أو نحوه كان قد وضع تحت الرّحى. ثمّ يؤخذ هذا الطّحين ليغربل بغربال خاصّ كي تنزع عنه النخّالة أي قشور حبّات القمح ثمّ يغربل الطّحين المتحصّل عليه و يقسّم حسب حجمه و نعومته إلى سميد رقيق يسمى الأربط أو الجويد، و آخر خشن يسمى الأحرش. و يوضع كلّ صنف لوحده في وعاء من الفخار (جرّة) أو الجلد (مزود أو نافول).

يعدّ الكسكسي من دقيق السميد المستخلص من طحن القمح أو الشعير ممزوجا بمقادير معلومة من الماء و الملح. أمّا الأدوات المعتمدة في ذلك فهي محدودة، حيث تنحصر في الغربال و بعض الأواني فضلا عن النار. و تبقى المهارة

و المعرفة هما جوهر عملية التحويل، إذ كل شيء خاضع لحركة اليدين و المعرفة العملية بخصائص المادة المستخدمة و أساليب معالجتها.

تؤخذ حفنات من دقيق السميد الغليظ لتوضع في إناء كبير الحجم يعرف بالقصعة أو المعجنة، و يرش السميد بالماء المالح الذي أعدّ سلفاً، و ذلك قبل الشروع في خلطه و تحريكه بواسطة أصابع و راحتي اليدين. و يضاف إلى الخليط قليل من السميد الناعم. و تتكرّر العملية نفسها تباعاً، أي التحريك باليد مع زيادة الماء و دقيق السميد بالتداول، إلى حدّ الوصول إلى الكميّة المطلوبة.

و كنتيجة لذلك تلتحم حبّات السميد الغليظ بحبات السميد الناعم لتتشكّل كريات مختلفة الحجم تتمّ معالجتها على ثلاثة مراحل:

➤ في مرحلة أولى، توضع كريات السميد في صنف من الغرابيل يعرف بغربال القمح و تعرك على قعره المؤلف من شبكة من الخيوط الرقيقة ليتمّ تمريرها من خلال ثقب الغربال قبل أن تجمّع وسط القصعة.

➤ في مرحلة ثانية، تعاد نفس العملية بإستخدام نوع آخر من الغرابيل ذي ثقب أقل اتساعاً يسمّى غربال الكسكسي أو "العوادي"، و هو ما يسمح بتقليص حجم الكريات لتتخذ تدريجياً شكل حبّات رقيقة.

➤ في مرحلة ثالثة، تحكّ الكريات المتحصّل عليها من جديد بإستعمال غربال "الطلاء" المزود بثقوب أشدّ ضيقاً من مثيليه السابقين، لكن في هذه المرّة تبقى الكريات وسط الغربال بعدما تحوّلت إلى حبّات كسكسي. و لا تتمكّن من الإفلات سوى حبّات السميد الرقيقة جدّاً حيث تسقط في القصعة، لتجمع مع بعضها البعض قبل أن تضاف إليها كميّة جديدة من السميد و تخلط بالماء و تعالج وفق نفس التقنيات.

يجمّع الكسكسي فوق لحاف أبيض و يتمّ التعامل معه بطريقتين و ذلك حسب نوعيّة الكسكسي المراد إعداده، ذلك أنّه ينقسم إلى صنفين كبيرين:

✓ الكسكسي المفورّ: و هو الذي يتمّ تفويره أي طبخه بالبخار مرتين متتاليتين مباشرة إثر الانتهاء من تحضيره، و ذلك باستخدام الأداين الرئيستين لطبخ الكسكسي و هما المقفول⁽⁵⁾، و الكسكاس⁽⁶⁾، قبل أن يعرّض لأشعة الشمس بضعة أيام حتى يجفّ تماما.

✓ الكسكسي الشمسي: و هو الذي يقع إعداده ثمّ تجفيفه مباشرة تحت أشعة الشمس دون طبخه بالبخار. و يضاف إليهما نوع آخر قليل الاستهلاك يعدّ و يطبخ في الحين دون مرور بالتجفيف يعرف بالكسكسي الطري⁽⁷⁾.

بعد الفراغ من عملية التجفيف، يغربل الكسكسي بواسطة غربال القمح لتنقيته من الأتربة و كلّ ما علق به من شوائب قبل أن يجزّن كلّ صنف متحصّل عليه على حدة، ليستعمل عند الحاجة و حسب المناسبة. و إذا صنع السميد من الشعير فيطلق عليه المثلوث، أمّا إذا كانت حبّات الكسكسي غليظة و أكبر حجما من الكسكسي العادي فإنه يسمى البركوكش، و يطبخ تماما كالكسكسي.

2.1 وصفة الطهو

لئن كانت مادة الكسكسي واحدة لا يخرج تحضيرها عن عدد محدود من الأصناف، فإنّه من الصعب جرد مختلف نماذج الأطباق الخاصة بها، لكنها عموما توزّع بين الحلو و المالح و بين ما هو قائم على استخدام اللحوم و ما هو مرتبط بالخضر، ففي التصنيف الأوّل نجد مجموعة أطباق الكسكسي المحلاة بالسكريات اعتمادا على أنواع الغلال أو الألبان مثل طبق المسفوف الذي يجمع فيه الكسكسي بالعنب أو الزبيب أو الرمان أو التمر مقابل مجموعة أطباق الكسكسي المصنّفة بأنها حارة و تعتمد على المرق المكوّن من الطماطم و الزيت و الفلفل و البهاريات، و هي بدورها تنقسم إلى ما هو قائم على اللحوم و بين ما هو معتمد على أنواع الخضر و بعض النباتات حسب الفصول و معطيات البيئة الطبيعية القريبة التي كثيرا ما تدخل ضمن مكونات المطبخ التقليدي في اقتصاد الكفاف. بحيث ثمة حرص على المحافظة على النكهات و المذاقات الأصلية للمكوّنات

المطبخية عبر الفصل بين المادة الحيوانية و المادة النباتية فلا يتمّ استخدام الخضر في تحضير الكسكسي باللحم إلاّ في حدودها الدنيا.

لكن هذا التقسيم لا يمثّل نموذجاً مطبخياً مطلقاً، إذ ثمة حالات خاصة يتمّ فيها المزج بين اللحم و السكريات و لعلّ أبرز مثال على ذلك "البرزقان" و هو طبق موسميّ خاص منتشر بالشمال الغربي ، و لاسيما بمدينة الكاف، يتمّ إعداده دون مرق و عبر الجمع بين اللحم و أنواع من الفواكه الجافة، و ذلك ضمن احتفال شعبي سنوي يعرف بمايو.

و يبقى أسلوب الطهو هو جوهر العملية المطبخية أكثر منه المواد المستخدمة في حدّ ذاتها حيث تكون تقنية الطبخ بالبخر هي المتحكّمة في العملية برمتها بما يقتضي توفرّ أداة لا غنى عنها هي القدر المعروف بالبرمة أو القدرّة و الذي يوضع فيه الماء أو المرق مباشرة فوق النار، و عندما يتحقق الغليان يتكوّن البخار الذي يرتفع ليتسرّب من ثقوب آنية ثانية، لا بديل عنها هي الأخرى، و هي الكسكاس الذي يأخذ مكانه فوق القدر بعدما ملئ بكمية من حبّات الكسكسي.

إنّ ما نسمّيه اليوم كسكسيا ليس في حقيقة الأمر سوى نتاج تاريخي و أنثروبولوجي لممارسة غذائية و مطبخية تداخلت فيها مصادر التأثير حتى أنّ كلّ عنصر فيه يحيل على مرجعية حضارية بعينها كالطماطم التي كسسته بلونها الأحمر المعروف الآن و الفلفل الذي أعطاه مذاقاً حارّاً و نكهة جديدة، و كلتا المادتين وفدتا على البلاد بعد اكتشاف القارة الأمريكية الذي أدّى، على الصعيد المطبخي، إلى حدوث ثورة في العادات الغذائية لسكان شمال إفريقيا⁽⁸⁾، بحيث يكوّن هذا الطعام، على صعيد المعرفة التاريخية، سجلاً يحفظ ذاكرة كاملة بأحداثها و مقدّساتها و مذاقاتها.

2- الهوية التاريخية:

بحكم مصدره، فإنّ تاريخ الكسكسي لا ينفصل عن تاريخ الحبوب التي تمثل بالنسبة إلى مجتمعات البحر الأبيض المتوسط التّظير الغذائي للأرز في آسيا و الذرة في أمريكا اللاتينية و أجزاء من القارة الإفريقية.

و تشير المعطيات التاريخية إلى أنّ بذر الحبوب يعد من أقدم التقاليد الزراعية التي عرفتها الإنسانية حيث يعود إلى حوالي عشرة آلاف سنة بالشرق الأوسط. و قد تطوّرت معها معارف و مهارات متّصلة بالتصرّف في المحصول مثل معالجة السنابل لاستخراج الحَبّ منها فضلا عن أساليب الخزن التي كانت معروفة في العصر البرونزي⁽⁹⁾.

و تدريجيا راحت هذه الممارسة ترسّخ لا سيما مع الفراعنة و الرومان الذين عملوا على تعميمها على مستعمراتهم بمنطقة شمال إفريقيا التي تحوّلت إلى مخازن تزوّد الإمبراطورية الرومانية بحاجاتها من الحبوب حتى أن البلاد التونسية، قد عرفت بأنها مطمورة روما.

و قد ظلّ القمح الصّلب هو الصّنف المهيمن على زراعة الحبوب بحوض البحر المتوسط ليصبح أساس الغذاء المتوسطي. و من البيّن ما كان للعوامل المناخية من دور في ذلك بما أنّ زراعة القمح الصلب تتواءم مع خصائص الأقاليم الحارة و الجافة و لا تحتاج إلّا لجهد محدود بالمقارنة مع زراعة الأرز على سبيل المثال.

و مع مقدم العرب المسلمين، كان الأمازيغ، السكان الأصليين لشمال إفريقيا، قد أصبحوا يجذقون تحويل القمح إلى دقيق السميد الذي يبدو أنه مصطلح أطلقه الرومان على زهرة الدقيق smilia و منها اشتقت الكلمة الفرنسية semole قبل أن تأتي كلمة semoule و الإيطالية semola و التي منها جاء لفظ السميد⁽¹⁰⁾. و هذا التحويل يشكل من الناحية التقنية تطورا هامًا إذ بدونه لا يمكن المرور إلى اشتقاق الكثير من المعجنات قبل طهوها.

أما عن الكسكسي في حدّ ذاته، أي باعتباره صنفاً بعينه من مشتقات الحبوب يطهى بأسلوب خاصّ، فإنّ الغموض يكتنف أصله⁽¹¹⁾.

وإنّه لمن المثير للاستغراب أنّه على قدر شهرته الواسعة ورسوخه في التقاليد الاجتماعية بالمغرب العربي، يبدو غائباً في المصادر التاريخية القديمة رغم تعدّد النصوص ذات الطابع الإثنوغرافي التي اهتمّت بتفاصيل الحياة اليومية للمجتمعات المحلية في هذا المجال الجغرافي بما في ذلك التقاليد المطبخية.

ولئن ذهب البعض إلى إرجاعه إلى فترة ما قبل التاريخ، فإنّنا لا نجد أي أثر له حتى في الفترة القديمة مع الكتاب الرومان. وتواصل هذا الصمت إلى الفترة الوسيطة مع المسلمين، إذ أن مصنفاتهم الأولى التي اهتمت بالحقول المطبخية مثل كتابي المقدسي و أبي إسحاق الإسرائيلي لم تفرده بأية إشارة، بل إنّ بن خلدون نفسه المعروف بشغفه بتدوين مختلف تظاهرات المجتمع لم يذكر الكسكسي و لو في مناسبة واحدة، رغم توقّفه على أطعمة أخرى كالرشته.

لكن ثمة إشارات تحيل على النمط المطبخي الذي ينتمي إليه، من ذلك ما ذكره ابن عذاري من قصّة الكاهنة مع حسّان بن نعمان عند فتح إفريقية، إذ أنّها حبست عندها خالد بن يزيد. فقالت له يوماً " ما رأيت في الرجال أجمل منك، و لا أشجع. و أنا أريد أن أرضعك، فتكون أخوا لولدي". و كان لها ابنان أحدهما بربري و الآخر يوناني. و قالت له: " نحن جماعة البربر لنا رضاع: إذا فعلناه، نتوارث به، فغمدت إلى دقيق الشعير، فلثّته بزيت، و جعلته على ثديها، و دعت ولديه، و قالت: " كلا معه على ثديي، ففعلا⁽¹²⁾.

و رغم أنّ الأمر لا يتعلّق بواقعة حقيقية، و إنّما بأسطورة تكرّس مؤاخاة العرب للبربر كما يرجّح ذلك المؤرّخون، فإنّ ما يعنينا منها هو الإشارة إلى هذا الدقيق الذي يفتل قبل أن يؤكل بما يقربّه من الكسكسي.

و ممّا نقله لنا المقرّي (القرن الخامس عشر) أنّ الشيخ أبا القاسم ابن محمد اليميني مدرّس دمشق ومفتيها حكى له بدمشق أنه قال له شيخ صالح برباط الخليل

عليه السّلام: نزل بي مغربي فمرض حتى طال عليّ أمره، فدعوت الله أن يفرج عني و عنه بموت أو صحّة، فرأيت النبي صلّى الله عليه و سلّم في المنام فقال أطعمه الكسكسون، قال: يقول هذا بالّتون، فصنعت له، فكأنّما جعلت له فيه الشفاء، و كان أبو القاسم يقول فيه كذلك، و يخالف الناس في حذف النون من هذا، ويقول: لا أعدل عن لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: قلت: ووجه هذا من الطب أن هذا الطعام مما يعتاده المغاربة ويشتهونه، على كثرة استعمالهم له، فرمّا نبه منه شهوة أو ردّه إلى عادة⁽¹³⁾.

ثمّ تتواتر الأخبار عنه ليصبح حضوره مألوفاً انطلاقاً من الفترة الحديثة على النحو الذي نجده لدى ليون الإفريقي (1465-1550)، الذي أمّدنا بنصّ إثنوغرافي ثمين تضمّن تعريفاً مطبخياً للكسكسي و أسلوب تناوله⁽¹⁴⁾.

و لئن نسبته البعض إلى الشرق الأوسط، فالغالب على الرجحان، إن لم يكن من قبيل اليقينيّات، أنّه يمثّل طبقة مغاربية ذا أصل أمازيغي، و هو ما تؤكّده جغرافية انتشاره التي التصقت أنثروبولوجياً بالمجال التاريخي للأمازيغ، و هي لا تتجاوز الحدود الليبية كما لاحظ ذلك قرّال⁽¹⁵⁾.

غير أنّ الهوية التاريخية للكسكسي لا تكمن فقط في الأصل المنحدر منه، و لكن أيضاً في سيرورته الطويلة التي سمحت له بالاستمرار في إطار ديناميّ أعاد تشكيل مكوناته و شحنها مادياً و دلاليّاً.

فقد راح الكسكسي ينتشر جغرافياً و اجتماعياً جاراً وراءه قطاعات و فئات و مناطق متباينة و متباعدة. و لئن ألمع "برنشفيك" إلى الطابع النخبوي للكسكسي في العهد الحفصي حيث كان "علامة على حدّ أدنى من الرفاهة لم تكن تتمتع بها أغلبية الإفريقيين⁽¹⁶⁾"، و ذلك على عكس طبقيّ البازين و البسيّة اللذين كانا طعام السواد الأعظم من سكان المناطق الساحلية في تونس و طرابلس على سبيل المثال⁽¹⁷⁾، فإنّه ما لبث أن راح يعمّم ليستحيل تقليداً غذائياً و مطبخياً يعكس مقاسمة ثقافية خاصة.

ثمّ ألفيناه يتخلّص من محليته ليهاجر إلى ما وراء البحر والمحيط والصحراء، حيث وصل إلى الأندلس بسهولة، وقد وثق لنا التجيبي كيفية طهوه هناك ضمن نص إتنوغرافي دقيق⁽¹⁸⁾.

كما امتدّ إلى جنوب إيطاليا وفرنسا، واتّجه إلى إفريقيا جنوب الصحراء قبل أن يصل خلال القرن السادس عشر إلى القارة الأمريكية مع الإسبان والبرتغاليين الذين أدخلوه إلى مستعمراتهم.

و من هنا فصاعداً، سيتكرّس الكسكسي كتقليد مطبخي متدوال على نطاق واسع، و ستعظم جغرافيته تبعاً تحت تأثير جملة من الظواهر والمتغيّرات لعلّ من أهمّها الاستعمار بما فيه من عملية ثقاف و إن كانت غير متوازنة، و ما صاحبه ثمّ تلاه من حراك في إطار الهجرة المغاربية إلى أوروبا. و لئن كان حضور الكسكسي في هذه المناطق مرتبطاً أكثر بالجاليات المغاربية فيها، فإنه سرعان ما اندرج في التقاليد المطبخية السائدة. و اليوم يحتلّ الكسكسي مرتبة متقدّمة على لائحة الأطباق المفضّلة لدى الفرنسيين كما بيّنت عديد الاستطلاعات في هذا المجال⁽¹⁹⁾، حتى أمسى طبقاً عالمياً بمفردات و ذاكرة محلية.

➤ طقوسية الكسكسي

يمكن النظر إلى الكسكسي بوصفه عنصراً طقوسياً في حدّ ذاته كما يمكن النظر إليه كأداة إجتماعية للإحتفال بالكثير من الطقوس، فمن الجانب الأوّل يلاحظ أنّ حضوره كفيل بإطلاق جملة من الممارسات الطقوسية الإحتفالية، فوجوده يقترن بقواعد للحماية و الوقاية و يؤكّد الماثور الشّفوي هذه الأهمية : الكسكسي " يضرب عليه الطّبّال"، فقد حقّ عليه الإحتفاء بما هو خرق للمألوف و تمرّد على نواميس المجتمع اليوميّة حيث التقشف و هاجس تأمين القوت.

و في نفس السياق يمكن إدراج المثل الشعبي الذي يقول " الزغاريد أكثر من الكسكسي " حيث يشير ضمناً إلى أنّ أصل العلاقة بينهما قائمة على تناسب المقادير (مقدار الكسكسي يتطابق مع مقدار الزغاريد). و لأنّه رديف الحياة نفسها

في المتخيل الشعبي، فإنه يحرم و فق قانون العادة الاجتماعية تحضير العولة في حالة وفاة أحد أفراد العائلة أو حتى الأقارب و الأجوار .

و لعلّ هذه القيمة الطقوسية هي التي تجعل من التعامل معه إعدادا و خزنا و استهلاكا شأنا عاما يهّم الجماعة برمتها، ففي جميع مراحلها و حالاته، بدءا من بذر حبات القمح أو الشعير في الأرض وصولا إلى المائدة، لا يظهر الكسكسي إلاّ في شكل ممارسة مشتركة تكرّس الجسم الجماعي. فعلى مستوى الإعداد من المعروف أنّ " العولة" أي مؤونة العام من المواد الغذائية و التي من أهمّها الكسكسي، لا تتم إلاّ في إطار جماعي مؤسس على علاقات القرابة و الجوار و هو يتخذ تسميات مختلفة منها "المعونة" و "الرّغاطة" بالجنوب التونسي.

و تمثّل العولة طقسا سنويا تعمل العائلة على الالتزام به لأسباب اقتصادية و اجتماعية في الوقت نفسه، إذ عبره تؤكّد ذاتها ككيان متمايز بقدر ما هو مندمج في النسق المجتمعي و الثقافي السائد، و في إطاره تتجدّد العلاقات الاجتماعية لا سيما و أنّ مجالس العولة، فضلا عن التساند و التعاون، و وظيفة ترفيحية بالنسبة إلى النساء، كما أنّها تتمنّ العلاقات بين العائلات المتقاربة و الأصدقاء⁽²⁰⁾.

تشيع ممارسة العولة مناخا طقوسيا بهيجا يذكرّ باحتفائيات الأعياد، فيحرق البخور في موقد من الفخار يتخذ أحيانا شكل سمكة درءا للعين الحاسدة، لتنتشر في المكان روائح مثيرة، و تعلقو الزغاريد التي عادة ما تكون أكثر توهّجا إذا ما تعلق الأمر بكسكسي معدّ لإحياء حفل زفاف حيث تتضاعف فيه الزغاريد و يرتفع عدد المدعوّات دون إغفال دعوة بعض الأصهار الجدد إيذانا ببدء الإحتفال حتّى قبل المراسم الرسمية للزواج. و يمثّل هذا اليوم مناسبة لإستحضار أحداث سابقة و تذكّر أيّام خلت، و تعود إلى الأذهان صورة المنزل الذي يعجّ بالحركة و يغري بجميعة التواصل داخله. و يتقبّل أهل الدار عبارات التهاني مثل قولهم " إن شاء الله مبروك ". أما إذا كان الكسكسي معدّا فقط للمؤونة فيقال " إن شاء الله

لكسكسي الفرح" أو "العاقبة لكسكسي الفرح"، فكأن الكسكسي و الفرح صنوان لا يفترقان.

و من الأقوال المأثورة في هذه المناسبة أن تباغت إحدى النساء الرجل من أهل الدار، و هو يهيم بالدخول بقولها "الخيط عليك" أو "راك مخيط"، و هي صيغة لغوية سحرية تعني وقوع المخاطب (بفتح الطاء) في شبكة الإلزامات السحرية و الاجتماعية التي لا يتم التخلص منها إلا بتقديم عطية من طبيعة غذائية (مشروبات، حلويات..) يتم اقتناؤها في الحين لتوزع على جميع الحضور وسط زغاريد النسوة.

فالتخييط ممارسة طقوسية سحرية تجسد مفهوم التبادل على النحو الذي حدده موس في دراسته الشهيرة حول الهبة، و لئن بدا موضوع التبادل متعلقاً بأشياء مادية، فإنه يحيل على قيم الأنوثة و الذكورة و سيرورة توزيع الأدوار بينهما بإيجاءات تشي بها اللغة المستخدمة مثل المأثورين الشعريين التاليين:

- الخيط عليك يا بو الشاشية قرن الذهب في يد الحضريّة.

- الخيط و راك و دونك يا (فلان) ما توطي عيونك

و في الكثير من التقاليد الاجتماعية و الدينية نجد أنّ قاعدتها تتمفصل حول الكسكسي تبادلاً و استهلاكاً و في ذلك يمكن أن تذكر عادة سيدي البشير حيث تقدّم مع المهر المقدّر بتسعة و ستين مليماً (69 مليماً) يوم العقيرة الذي يوافق كتابة عقد القران أو الصداق، مجموعة من العناصر الغذائية المحددة بعناية من أبرزها الكسكسي.

أمّا عن الوظيفة الطقوسية فتتجلى في مجموعة كبيرة من الممارسات و العادات التي يصعب حصرها و لكن سنكتفي بتقديم نماذج منها:

- الإحتفال بعاشوراء: يصادف هذا اليوم العاشر من شهر محرّم و قد ارتبطت به جملة من العادات الغذائية خلّدتها الذاكرة الجماعية مثل قولهم "نهار نعاج و نهار

عجاج " و في قول آخر "تأسوعة بالدجاج و عاشوراء بالتعاج". لكن مهما كان اللحم المستخدم فإنه عادة ما يكون مصحوبا بالكسكسي .

أما في الإحتفالات الموسميّة للزوايا في ما يعرف "بالزردة" فتكون "قصعة الكسكسي" هي محور اجتماع العرش برمته، كذلك في الولائم التي تعقد في المناسبات العائليّة الكبرى كالختان و الزواج و جزّ صوف الخرفان و تدشين كلّ محلّ جديد . فالكسكسي هو الطّعام الطّقوسي الذي بدونه لا تستوي الممارسة الإحتفاليّة.

و لا يزال الكسكسي هو الذي يكرّس مفهوم التقاليد الإجتماعيّة بما تتضمنه من ضيافة و إكرام حتى أنّه في بعض المناطق ينظر إلى تقديم طعام آخر بدل الكسكسي إلى الضيف على أنّه عدم احترام للأصول الإجتماعيّة، بل و نوع من الإحتقار للضيف مثال ذلك الكسكسي "بالعصبان"⁽²¹⁾، الذي لا تستقيم بغيره وليمة العرس في عدد من مدن و قرى الساحل التونسي .

و تماما كالفرح، يظهر الكسكسي في المآتم لكن بحذف بعض العناصر، من نوع البيض و الحلوى و السكر و الزبيب، التي كثيرا ما تزيّن قصاب الكسكسي في احتفالات "الزردة" و الزواج و الختان و الحجّ. مقابل ذلك يتمّ ادخال البقول الجافّة و لا سيّما الحمص. و في العديد من الجهات يكون الموت مناسبة لتحريك جحافل من الناس يتألّفون من عائلات ذات علاقات قرابة و مصاهرة تترك مضاربها نحو منزل الميت و تكون محمّلة بكميّات وافرة من المواد الغذائيّة على رأسها الكسكسي الذي يكون الأكلة التي تعدّ للوافدين خلال أيام المآتم.

و في الطّقوس المآتميّة يودّع الميت بالكسكسي حيث تسجّى الجثّة ليلة دفنها و توضع عند الرّأس كميّة من الكسكسي و الزيت تسمّى عشاء الميت .

و إذ كانت " كلّ طقوس العبور تصاحب بممارسات غذائيّة خاصة رمزية في جوهرها"⁽²²⁾، فإنّ الكسكسي يحتكر جلّها طالما أنّه يفرض نفسه في مختلف

التبادلات و الأضاحي تماما كما يحضر كممارسة غذائية يومية مع فارق واحد يتعلّق بعنصر اللّحم الذي يغيب في الكسكسي العادي لتحلّ محلّه النباتات مقابل الكسكسي الاحتفالي الذي غالبا ما يقترن بلحم حيوان يذبح للغرض كأضحية حيوانية⁽²³⁾.

أمّا في المجال السّحري فتتنوّع استخدامات الكسكسي فهو وسيلة "ربط" و الرّبط تقنية سحرية قائمة على عقد علاقة بين شيئين اثنين أو أكثر بما يعطلّ و يقيد العنصر المرغوب ضبطه و تطويعه لأغراض مادية أو عاطفية أو نحوها. و من هذه الطّقوس السّحرية المرتبطة بالكسكسي هي اللّجوء إلى تحريك حبّات الكسكسي في كسكاس بيد ميّت حيث يعتقد أنّ أكله سيكون ضحية لأعمال السّحر الأسود.

و لا شك أنّ هذا الإعتقاد مرتبط بالكثافة الرّمزية التي ينطوي عليها هذا الطعام ليس فقط في محتوياته و مصادره، و إنّما أيضا في تحويله من القمح أو الشعير ثمّ طهوه بالتار و البخار اعتمادا على أنثي الكسكاس و المقفول أو البرمة.

4. رمزيات الكسكسي

يرتبط الكسكسي بالحبوب التي هي رمز لتداول للحياة و الموت في العالم الباطني. و قد شبّه القدامى زراعة الحبوب بعملية حمل الألهة الأنثى في الكثير من الحضارات, فالزراعة هي اكتشاف أنثوي. و من ثمّة اعتبر طعام الألهة "نعمة ربّي" فلا يجوز العبث بها و إهمالها بعدم تقديرها حقّ قدرها. و ما القواعد الطّقوسية التي أحيطت بالتعامل مع هذا الطّعام سوى دليل على ترسخه في متخيّل جمعي مرتبط بالأسطورة و المقدّس.

إنّ اقتران الكسكسي من حيث هو من مشتقات الحبوب بالأرض يجعله الأصل الطبيعي لكلّ الأشياء فيصبح الرجوع إليه ارتدادا إلى المراجع الأصلية لغذاء الإنسان فكأنّه يخترن حيننا إلى الأمّ الأرض التي لا تنفكّ تطعم أبناءها.

إنه تجسيد للخير و التّماء و الخصب و جماع كلّ النّعم في المتخيّل الشعبي حيث يغني توفّره عن كلّ شيء، لكن ينبغي الإنتباه إلى رمزيّة الطّبخ في حدّ ذاتها ذلك أنّ استعمال المقفول و الكسكاس هو عمليّة تقنيّة معقّدة لم يتمّ التوصل إليها إلّا بفضل ذكاء إنساني خارق بمعايير ذلك الوقت. فكأن الأمر بمثابة ممارسة كيميائيّة قائمة على التلاعب بالمادّة بغية تحويل جوهرها.

إذا ما أخذنا الحبوب بمفردها بوصفها أصلا لهذا الطبق، بإمكاننا الجزم بأنّها تؤلّف التعريف الكامل و الحقيقي للطعام بالنسبة للمجتمع التونسي التقليدي حيث لا تخرج جلّ الوصفات المطبخية المتداولة عن المعجنّات، و إذا كان الكسكسي هو نموذجها المفضّل، فلاّته يتماهى مع هذا التعريف، و قد بيّنت إحدى الدراسات الميدانية الحديثة حول الممارسات الغذائية بالمجتمع التونسي أنّ طبق الكسكسي هو الوحيد الذي يمثّل كلّ الطعام لدى البعض⁽²⁴⁾.

لكنّ المعجنّات بأنواعها تنزاح عن دلالتها الغذائية البيولوجية لتتداخل بشبكة من التمثلات و التصورات و التعبيرات اللغوية و الفنية تشكّل منظومة رمزية متكاملة يمكن أن نسميها ثقافة الحبوب، و هي في الحقيقة بمثابة القاعدة الأنثروبولوجية التي تنسحب على مختلف الثقافات، إذ أنّ "النّاس الذين يعيشون على نوع رئيسي من النشويات المركّبة يبنون حوله حياتهم،.. فصفاته و أسماؤه و طعومه المميّزة و أنسجته و الصعوبات المرتبطة بزراعته و تاريخه سواء كان أسطوريا أم لا يتمّ إسقاطها على الأمور الإنسانيّة"⁽²⁵⁾.

و بالتالي يتداخل الطعام بالحياة نفسها فيصبح رديفا لها. و لا غرابة و الأمر كذلك أن يكون التكوين السنوي هو نفسه التقويم الزراعي المرتبط بمسار رحلة الحبوب من البذر إلى الحصاد، حيث تتطابق دورة الحبوب مع دورة الحياة ذاتها، و هو ما يمنحها وظيفة استعارية للتعبير عن معاني التجربة الإنسانيّة تأكيدا لجملة من القواعد و المبادئ المؤسسة للنظام الأخلاقي و الرمزي و الاجتماعي بكامله.

و ثمة طائفة كاملة من الأمثال الشعبية قائمة على توظيف مجازية القمح و الشعير باستخدامهما على سبيل الكناية و الاستعارة لتمرير مفاهيم و قيم مختلفة، و لعلّ الأمر لا يختلف كثيراً في الحكايات الشعبية.

أمّا عن أهمّ الأدوات المستخدمة في التحضير ثم الطهو، فهي أساساً الغرابيل بأنواعها و الكسكاس و القدر أو ما يعرف بالبرمة أو المقفول، و هي من صنف الحاويات مع فارق بسيط، لكنّه جوهري، و هو أنّ كلاً من الغرابل و الكسكاس له قعر مثقوب عكس البرمة.

إنّ التحام الكسكاس بالقدر، و هي عملية لا تخلو من الإيحاءات الجنسية وفق تحليل فرشيو⁽²⁶⁾.

يجل من الناحية التقنية المطبخية على انخراط عملية الطهو في دائرة مغلقة، إذ لا تعدّ حبّات الكسكسي عبر تعريضها مباشرة للنار، أي بفعل عنصر خارجي، و إنّما من خلال تسرّب بخار السائل الموضوع في القدر (مرق أو ماء)، و هو ما يمكن تسميته، أسوة بشتراوس، المطبخ الداخلي Endo-cuisine⁽²⁷⁾.

بما يجعل الوعاءين المتلاصقين بمثابة الجهاز العجيب الذي تعتمل فيه تفاعلات كيميائية خاصّة، بل إنّ ممارسة الطهو كلّها تغدو عملية سحرية محكمة يقتضي الانخراط فيها حدّاً من الخشية و الإجلال يدجها في عالم القداسة. و نحن نعرف الصلة التاريخية بين الكيمياء و السحر، فالوصفات المطبخية هي الوجه الآخر للوصفات السحرية و التداخل بينهما لا يحتاج إلى بيان، لذلك فإنّ طهوه محدّد بشروط تتعدّى صبغته التقنية البحتة حتى أنّه يخضع لمطلق الحظر و التحريم في مناسبات معيّنة مثل رأس السنة الهجرية، فإذا كان يفضّل طبخ الكسكسي آخر يوم من العام، فإنه لا يجبّد فعل ذلك في مستهلّه إذ يتعيّن ترك العام الجديد يفتح⁽²⁸⁾، فيدشنّ بأكلة طقوسية أخرى هي "الملوخية" المميّزة بخضرتها، و غير خاف الطابع التبشيري لهذا اللون في المتخيل الشعبي.

إنّ صورة الكسكاس الواقع فوق القدر و انتفاخ حبّات الكسكسي بفعل البخار المتسرّب من هذا الأوّل تكوّن شكلا مغلقا يتناظر مع انغلاق الزمن، في المفهوم الشعبي، و هو ينهي دورته السنوية، و كما يقفل العام بانقضاء آخر أيامه يقفل كذلك غذائيا عبر الكسكسي القائم طهوه على مبدأ الانغلاق حيث يحكم وضع الكسكاس فوق القدر و يلحمان بشريط من العجين أو القماش منعا لتسرّب البخار.

و دون تفصيل في تصنيف و تأويل المستويات الرمزية المشكّلة لهوية الكسكسي، فإنّ قوّته الدلالية العامة مرتبطة بتجسيده لعناصر الكون الأربع و هي التراب و الماء و الهواء و النار، فالعنصر الأوّل هو مصدر أهمّ مكوّنات هذه الأكلة المتمثلة في حبات الكسكسي المسخرجة من الحبوب و أنواع الخضر، بينما يحضر الماء بوصفه المادة الحيوية الأساسية للمرق و لتوليد البخار اللازم لعملية الطهو، يضاف إلى ذلك الهواء الذي كان يدخل حتى في إيقاد النار قبل اختراع المواقد الحديثة، بحيث يتحقق التفاعل بين هذه العناصر مجتمعة في درجة حرارة مرتفعة هي بدورها ذات حمولة رمزية، إذ أنها على صعيد الخيال مولّدة للصور كما يقول باشلار⁽²⁹⁾.

إنّ الخوض في الرمزيات الثابوية في الماء و الهواء و التراب و النار يقتضي معالجتها كنماذج رمزية تخترق الكثير من الموضوعات و المجالات، إذ تلتئم داخل كلّ نموذج طائفة من المحتويات الرمزية بما يسمح بالحديث عن نموذج الماء و نموذج النار و نموذج الهواء و نموذج التراب على النحو الذي قام به "دوران" في خطاطته التصنيفية للرموز. و دون مضيّ في تفكيك هذه النماذج الرمزية الأربعة باعتبارها مشتركا أنثروبولوجيا معمّما على صعيد ثقافة المجتمع بأسرها و التي لا يمثل المطبخ و الأكل سوى بعض تجلياتها، فمن البيّن أنّ اعتبار الماء و الهواء و التراب و النار المكوّنات الأوّلية الكاملة للكون، يخلع عليها فكرة الأصل التي تلعب دورا حاسما في التصنيفات الرمزية للأشياء و تأويلاتها.

و بذلك يصبح الكسكسي هو اختزال للجوهر المادّي للحياة نفسها، و يصبح اللجوء إليه لجوءاً إلى الأصل التقنيّ الكامل، سواء كان طبيعة أم جماعة و هوية.

5. من هوية الطعام إلى طعام الهوية

يقترح "كوروبو" و "بولان"، و هما من أبرز المنشغلين بحقل الممارسات الغذائية، دراسة الأكل عبر مثلث متغيّر حسب الفضاء الاجتماعي و الزمن يحتلّ زواياه الأكل المحدّد اجتماعياً، النوع، السنّ، المستوى.. و الغذاء (تمثّلاته..) و الوضعية أي سياق التفاعل بين الأكل و الغذاء⁽³⁰⁾.

و بناء على ذلك، فإنّ ماهيّة الكسكسي مركّبة من مستويات مختلفة و متداخلة، فلا يمكن الحديث عن جوهر مطبخي خالص بالمعنى التقني للكلمة لأنّ حتى التقنية على وجه الإجمال و تقنية الجسد على وجه التخصيص شأن اجتماعي كما برهنت تحاليل موس⁽³¹⁾.

و بالتالي فإنّ هويّة المجتمع نفسها هي التي تتجلّى من خلال الطعام. و ما نسّميه هويّة مطبخية لا يزيد عن كونه تجسيدا خاصّاً للهوية الاجتماعية و الثقافية. على أنّ الأمر أكثر من اختزال للطعام في صورة الانعكاس الآلي لثقافة المجتمع و شروط حياته، إذ هو بدوره يساهم في شحنها و نحتها مكوّناً أحد مصادر الهوية، فللغذاء دور في إحساسنا بانتمائنا الثقافي طالما أنّه ينخرط في الدينامية الهوياتية للمجتمع.

و لئن كان اختيار الطعام و استساغته كثيراً ما يتجاوزان ما يتيحّه المحيط الطبيعي من منتجات زراعية، فلاّن ذلك على صلة وثيقة بتعريفنا لذواتنا في علاقتها بالآخرين، فتناول أكل مختلف أو مشابه لأكل جماعة غير التي ننتمي إليها ينجرّ عنه بالضرورة الوعي بحدود المسافة الفاصلة بين الأنا و الآخر و من ثمة تمثّل ما للهوية الثقافية، و اعتماداً على قاعدة أنّ كلّ تعريف للهوية قائم على النفي و الإقصاء، فإنّ الهوية الغذائية كذلك تعيّن بالسلب، أي بما ليس فيها بالمقارنة مع الآخر تكريسا لتفرّدها و لاستقلالية الهوية الأصلية التي تمثّلها، و قد

برهنت "دوغلاس" بما يكفي من الوضوح على دور الغذاء في تحقيق هذه الوظيفة حيث "يشكل التقليد المطبخي جزءا من المعيش الثقافي للفرد"⁽³²⁾.

بما يعني أنّ الممارسة الغذائية هي ممارسة رمزية في جوهرها تنصهر في صميم عملية الإنتاج الهوياتي Production identitaire ، حتى أن الهوية الإثنية يمكن أن تكون ملتصقة بتقليد مطبخي خاص⁽³³⁾، فتصبح مختزلة فيه.

و اتساقا مع هذا التحليل، من البديهي اعتبار الكسكسي طبقا هوياتيا Plat identitaire، و أنّ مقاسمته، ككلّ غذاء، هي بمثابة ميثاق اجتماعي و ديني يؤلّف أساس حياة المجتمع⁽³⁴⁾، بيد أنّ فكرة الوحدة و التشارك التي توحى بها ممارسته لا تنفي التعدد و التباين، لا سيما في سياق الحاضر الموسوم أكثر من أي وقت مضى بالتراتب و التنازع. و تكشف التقاليد المطبخية على الصعيدين الجغرافي و الطبقي، عن وجود اختلافات مثيرة ليس من اليسير حصرها، بحيث يكون مدخلا لإدراك الفروقات الثقافية و الاجتماعية بين الجهات و الفئات. و إذا كان الكسكسي باللحم هو النموذج المطبخي الأكثر شهرة اليوم، فإنه في الحقيقة كان محدودا و مناسباتيا في ظلّ نمط اقتصادي و اجتماعي قائم على الكفاف و شظف العيش بالتعبير الخلدوني، أما التنوعات فنجدها في الكسكسي اليومي حيث استخدام اللحم المجفّف "القديد" و السمك في أحيان قليلة و أنواع الخضروات حسب الفصول و المناطق في غالب الأحيان.

و هنا تكاد تنفرد كلّ مدينة أو قرية أو جهة بوصفتها الخاصة، من ذلك البركوكش المنتشر بعديد القرى الجبلية و التلملي و هو أدنى الأصناف مرتبة و "الفرفوشة" و هي نوع من الكسكسي ممزوج بالخضر⁽³⁵⁾. و الكسكسي الطري بالمناطق الصحروية و الذي يطبخ خاليا من اللحم و الخضر الطازجة و لا يصاحبه سوى مرق بسيط من الزيت و الفلفل المجفّف و الملح.

و على الصعيد الاجتماعي دائما، فإنّ الكسكسي يحيل على المراتب الاجتماعية، فكسكسي الفقراء لا علاقة له بكسكسي الأغنياء، و إلى وقت قريب

كان كسكسي السמיד يجسّد النموذج المثالي للكسكسي، و هو الذي يقدم للضيوف مقابل كسكسي الفرينة المشتقّ من القمح اللين الذي كان يعتبر قليل القيمة⁽³⁶⁾.

كما يميل على المناسبة الاجتماعية و الحالة النفسية، فيوثق للسياق الإنساني للجماعة، إذ هناك كسكسي للفرح و آخر للحزن، و بعض أنواعه تنتمي إلى ما هو يومي، و بعضها الآخر ملتصق بالاحتفالي Le festif. و هذا التباين لا يمسّ فحسب العناصر الغذائية المعتمدة، و إنّما أيضا ممارسة الطبخ كاملة، أي أسلوبها و الأجواء الاجتماعية و الانفعالية التي تتزّل فيها، من ذلك أنّ الكسكسي الاحتفالي المرتبط بالزفاف يحظى بأكثر العناية، فتشارك فيه جميع النساء اللواتي يسخرن له كلّ معارفهن و مهارتهن المتوارثة⁽³⁷⁾.

بل إنّ هذا التفردّ المطبخي يتجلّى حتى داخل الجماعة الواحدة عبر تحوير الوصفة النموذجية المتداولة، فتضاف مواد غذائية محدّدة، كالبهارات و الخضّر و اللحوم و تحذف أخرى، أو يتمّ إعادة تركيب العلاقة بين هذه العناصر للحصول على توليفة مشخصة. و هو ما يتطابق مع ما شدّد عليه "كوفمان" من عدم وجود طعامين يتشابهان بصفة مطلقة و لهما الوظائف عينها⁽³⁸⁾.

على أنّ الاختلاف و التنوّع لا يظهران في المكونات الغذائية فحسب، و إنّما أيضا في أساليب الأكل و النظم الضابطة لممارسته، و لعلّ تحليل بورديو للدلالات التمييزية للطعام مفيد جدّا في هذا المجال، فقد انتبه إلى أهمية القواعد الشكلية المؤسّسة للممارسة الغذائية لدى الطبقة البورجوازية مقابل ضعفها لدى الطبقة الشعبية التي تبحث أكثر عن المحتوى و الوفرة، بحيث هناك تقابل بين الشكل و الوظيفة⁽³⁹⁾.

و إذا ما سلّمنا بأنّ الهوية الغذائية للفرد لا تعلن عن نفسها ذاتية مباشرة، و إنّما تركّب داخل الغيرية L'altérité كما لاحظت "هبير"⁽⁴⁰⁾.

، وجب علينا تنزيلها ضمن إطار دينامي من العلاقات بين الوحدات المكوّنة للمجتمع، ثمّ بين هذا الأخير والمجتمعات المجاورة، حيث يتحوّل الغذاء إلى مصدر توجيه وإحياء ثقافيين تتضحّم وظيفته لتصل إلى حدّ إنتاج الهوية. ويذهب بولن إلى أنّ " الممارسات الغذائية لم تعد تقرأ بوصفها أشكالاً من التعبير والتأكيد للهويات الاجتماعية كما تميل إلى ذلك مقارنة بورديو، وإنّما من حيث هي مندرجة، في صميم سيرورة بناء الهوية نفسها⁽⁴¹⁾ .

و لأنّ هذه السيرورة معلقة برهان الدلالة والمعنى، فإنّ بولان، وتحت تأثير التقليد الفييري، يشدّد على أنّ " ما يهمّ قبل كلّ شيء هو المعنى الذي يعطيه الأكلون لما يفعلون⁽⁴²⁾ .

و استثماراً لهذا الإطار النظري، من المهمّ، إن لم يكن من الضرورة بمكان، الانتباه إلى السياقات التاريخية والاجتماعية التي راح يتبلور فيها المضمون الهوياتي للكسكسي بوصفه طبقة وطنياً. ونحن نعلم جيّداً أنّ فكرتي الوطنية والهوية نفسها لم تكونا بمعزل عن التفاعل مع التحدي الاستعماري الذي بات واقعا سياسيا وثقافيا ملموسا انطلاقاً من نهاية القرن التاسع عشر، فكان استخدام الماضي والتقاليد والذاكرة بمثابة الرد الثقافي والسوسيولوجي على عنف الهوية الثقافية للآخر الوافدة مع الاستعمار. ثمّ، ومع مشروع الدولة الوطنية، استخدمت الرموز الثقافية ذات الطابع التاريخي والتقليدي بما فيها من طقوس وعادات ومخزون تراثي، من أجل إثبات وجود هوية تونسية لها مجالها الجغرافي والسياسي مثلما لها مكوناتها التاريخية والأنثروبولوجية، فكان أن توشّح الكسكسي، وهو الضارب في العراقة والتقاليد الاجتماعية، بمعاني الخصوصية والتمايز تكريسا لما صار يعرف بالهوية الوطنية، رغم أنّ حدوده الجغرافية والثقافية تتعدى البلاد التونسية.

إنّ تتبّع صلة هذه الأكلة بالهوية تحيلنا على مشكلة المعنى المضمرة في كلّ سلوك اجتماعي، وهو ما يحدّثنا على تأويل الدلالات التي ينطوي عليها الكسكسي

بالنسبة للذين يحرصون على التشبث به كاملا، أي تحضيرا و طهوا و أكلا، أو مجزّئا و محوّرا. فاستمراره كتقليد غذائي لا يعني البتة أيّ تكلس تاريخي فيه، ذلك أنه، حتى و إن افترضنا بقاءه نموذجا مطبخيا بمواصفاته الأصلية، فإنّه لا ينفكّ يزوّد و يتزوّد بمضامين مستحدثة. و ما فكرة الهوية الثقافية في إطارها الوطني التي راحت تتلبّسه سوى إحدى نتائج عملية التأويل و إنتاج المعنى التي يقع تحت طائلتها الطعام.

و كثيرا ما تقترن اجتماعات العائلة الموسّعة التي باتت أكثر فأكثر ندرة بفعل تفكك مورفولوجيتها التقليدية بإعداد مادبة تتمحور حول الكسكسي الذي يجسّد مفهوم التقاليد الاجتماعية و الهوية التي نبحث لها عن أصل و تماسك مقاومة لأسباب التشتت التي هي عمليا الأكثر تأثيرا في كيان المجموعة، ذلك أنه في الذاكرة الجماعية " يقترن بلحظات الزخم الاجتماعي و بالمشاركة و كثرة العدد سواء تعلق الأمر بوجبات آخر الأسبوع التي تضمّ جميع أفراد العائلة الموسّعة أو مناسبات احتفالية أهم⁽⁴³⁾، فدعوة العائلة أو الأقارب و الأجوار و الأصدقاء إلى تقاسم الكسكسي في مناسبة معيّنة ما هي إلا آلية عفوية لإعادة تشكيل الهوية المفككة على صعيد الحياة الواقعية.

و من هذا التوتّر و الحنين تستمدّ الاحتفالات الشعبية اليوم قيمتها و توهجها، و تبقى الخرجات الموسمية المرتبطة بالأولياء و الزوايا و المعروفة باسم الزردة، من أبرز التظاهرات الاجتماعية و الرمزية المعبرة عن ذلك، ليس فقط لالتصاقها الأنثروبولوجي بالطعام و لا سيما الكسكسي، و إنّما أيضا للوظيفة الرمزية الجديدة التي تؤمّنها بالنسبة إلى الكيان الجماعي المفتت، حيث تصير قصاع الكسكسي الكبيرة التي يتحلّق حولها الحضور إلى دوائر لترميم هوية فرعية مهدّدة بالاندثار و حنين إلى ماضٍ جماعي خلعت عليه مسحة من الطهارة و الطوباوية، لتغدو الممارسة الغذائية التقليدية تفصح عن توتّرات الحاضر مهما أبانت من صور القطع معه .

فثمة علاقة عضوية بين التحوّلات العميقة التي خلخلت التوازنات و النظم الاجتماعية و الاقتصادية التقليدية و إعادة اكتشاف الموروث الثقافي لا سيما المطبخ التقليدي ممثلاً في الكسكسي عنوان الذاكرة الجماعية و أحد شواهداها.

و طالما أنّ الهوية كتمثّل و تجسيد حيّ لا تتحدّد سوى في علاقتها بالغيرية، فإنّ الطعام كحامل للهوية و مساهم في تشكيلها، لا يظهر كذلك إلّا إذا ما وضع مقابل أطعمة أخرى تعيّن هويّات مغايرة، فنحن في الحقيقة نعرّف أنفسنا و نتعرّف عليها من خلال الغذاء الذي نستهلك، و "إذا لم نعرف ماذا نأكل، فإننا لا نعرف ما سنكون عليه و أيضا من نكون" و فق تعبير فيشر⁽⁴⁴⁾.

غير أنّ هذه المعرفة ذات طبيعة عملية في منشئها كما في وظيفتها، إذ تنتعش لحظة الارتحال و مكاشفة الآخر، فبمغادرة الثقافة التي ننتمي إليها ندرك أهمية مطبخنا بنكهاته و أذواقه التي تمنح الشعور بالأمان و الاطمئنان⁽⁴⁵⁾.

لذلك تكتسي الأغذية التقليدية أهمية بالغة لدى المهاجرين الذين يدون حرصا على التثبّت بها إلى حدّ المبالاة و التصلب أحيانا ساعين من وراء ذلك إلى تركيب هوية لهم وسط عالم مفارق لمجتمع الأصل. و في هذا المجال، و بالرجوع إلى نموذج الكسكسي، أشارت بعض الدراسات إلى ما يخترنه من ثقل رمزي لدى المهاجرين المغاربة بأوروبا، فهو حائز على تاريخ، و كلّ مغاربي له قصّته المقترنة بهذا الطبق، بحيث يمنحه معنى شخصيا. ففي وضعية الهجرة يستخدم الكسكسي كرابطة بين أفراد المجموعة كما يمكن من تقاسم الذكريات⁽⁴⁶⁾.

و هو بذلك عبارة عن طبق طوتم Plat-totem بتعبير "كالفو"، أي طبق محدد إثنيا، ممّا يعني أنّه من الناحية الثقافية خاصّ جدّا، لكنّه إثر الهجرة يخضع إلى عملية إعادة تثمين ثقافي⁽⁴⁷⁾.

فيدخل ضمن الميكانيزمات المستخدمة لاستمرار الجماعة بإعطائها أساس رمزي و تخيالي يعاد إنتاجه طقسيا نشدانا لهوية حقيقية أو موهومة. و لئن كان

هذا الطبق لدى المهاجرين المغاربة هو إيقونة للوطن و علامة تمايز و تمييز، أي أحد أبعاد هويتهم الاجتماعية و الثقافية، فإنه يمثل في الذاكرة الاجتماعية للفرنسيين من المعمّرين السّابقين تاريخاً مشتركاً بنكهة غرائبية⁽⁴⁸⁾.

الخاتمة :

أن يستوعب الإنسان ثقافيا ما يأكل كما يبين شتراوس، فيعني هذا تسويغا لمفهوم الإنسان الأكل الذي هو الآن قيد التبلور في علم اجتماع التغذية على النحو الذي نجده لدى فيشلر⁽⁴⁹⁾ Fishler .

أما أن يكون هذا الغذاء تقليديا أي متجذرا في الذاكرة، فذلك ما يشحذه بمحتويات خاصة لا يمكن إدراكها بمنأى عن إشكالية تمثل الماضي و الاستراتيجيات المتبعة لاستثماره في معالجة رهانات الحاضر و خاصة تلك المتصلة بمسألة الهوية. و يقدم لنا الكسكسي بخصائصه المطبخية و الرمزية و ذاكرته التاريخية صورة للتداخل بين الغذاء و الإنسان، إذ يندرج الأوّل في الثاني مكونين هوية واحدة لكنها غير ثابتة، و هو ما تشفّ عنه إعادة اكتشاف هذا الطبق و تأويلاته ليحمل بدلالات لم تكن لنخطر على بال أسلافنا من البربر و العرب رغم أنهم نسجوا ثقافة كاملة حوله، فضمن شروط التفاعل مع الآخر و تفتّت الهياكل و الأنساق التقليدية، تمّت استعادة الموروث التاريخي و الثقافي تأصيلا لهوية وطنية باتت ضرورية لمواجهة كيانات و هويات مفارقة إن لم تكن مقابلة، أي كنوع من الوعي بالذاتية و الخصوصية في علاقتها بالآخر، علاوة على ترميم العلاقات الاجتماعية المنحلة أصلا حيث يتحوّل الكسكسي كغذاء مؤسس على طقوسية خاصة ذات طابع جمعي، إلى ضرب من الترميز للعلاقات التقليدية، فمقابل الفردانية الغذائية و الأكل الأعزل في مجتمع اليوم، تتجلى في الكسكسي جماعية الطعام و حميمته، فكانّ ما انفكّ على الصعيد الواقعي تتمّ استعادته مطبخيا، فيلتئم على الصعيد الرمزي، و تلك إحدى الوظائف الأساسية التي تؤمّنها الطقوس و التقاليد و استخدامات الماضي على وجه الإجمال.

❖ هوامش البحث

- (1) الحشائشي (محمد بن عثمان): الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية، دراسة — و تحقيق بن الحاج يحيي (جيلاني)، تونس، دار سراس للنشر، 1996، ص ص 290-291. **Supplément aux Dictionnaires Arabes**, Dozy (R.), Beyrout, 1968, p.476.
- (2) Lévi-Strauss (Claude), **L'origine des manières de table**, Paris, 1968, p. 397.
- (3) Lévi-Strauss (Claude), « Le Triangle culinaire », revue **L'Arc**, (Aix-en Provence), n° 26, 1965, p.20.
- (4) إناء ذو قعر مجهّز بثقوب يصنع من المعدن أو من الفخار، و أقدم أنواعه كانت تصنع من الألياف النباتية.
- (5) يسمّى أيضا البرمة و القدرة و ذلك حسب نوع المادة المصنوع منها، و هو إناء مزوّد بعنق يوضع مباشرة تحت الكسكاس عند الطهو، و قد سمّي كذلك لأنه يقفل عليه بشرط من القماش أو بعض العجين يلحم بينه و بين الكسكاس ، بحيث تسدّ كل منافذ تسرب الهواء.
- (6) Gobert (E.-G.), « Usages rites alimentaires des Tunisiens, leur aspect domestique, physiologique et social », **Archives de l'Institut Pasteur de Tunis**, XXIX, 1940, p. 33.
- (7) **Ibid.**, p. 5.
- (8) Bouby (Laurent), « De la récolte au stockage », dans **Le traitement des récoltes, un regard sur la diversité du Néolithique au présent**, (Collectif), Editions APDCA – Antibes, 2003, pp. 21-43.
- (9) Hamzaoui M'layah (Sonia), **Fonctions symboliques et nutritionnelles des plats rituels dans deux communautés rurales ; Makthar et Kesra**, Mémoire de D.E.A ; Faculté des Sciences Humaines et Sociales, Tunis, Juin 1997, pp. 40-41.
- (10) Jouin (Jean), « Valeur symbolique des aliments et rites alimentaires à Rabat », **Hespéris**, Tome XLIV, 1957, p. 305.
- (11) ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، الجزء الأوّل، تحقيق و مراجعة كولان (ج.س.) و بروفنسال (إ. ليفي)، بيروت، دار الحداثة، 1983، ص 37.

- (12) المقرري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق عباس (إحسان)، الجزء 5، 1997، بيروت، دار صادر، ص 258.
- (13) الوزان (الحسن بن محمد): **وصف إفريقيا**، ترجمة حجّبي (محمد) و الأخضر (محمد)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص 253.
- (14) Gsell (S.), **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord**, t. VI, Paris, Hachette, 1927, p.7.
- (15) برنشفيك (روبرت): **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15**، نقله إلى العربية الساحلي (حمادي)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الجزء الثاني، 1988، ص 283.
- (16) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (17) التجيبي (ابن رزين): **فضالة الخوان في طيبات الطعام و الألوان**، تحقيق و تقديم بن شقرون (محمد)، بيروت، 1984، ص ص 87-88.
- (18) Magazine **Notre temps**, mensuel français, n° 253, avril 2006
- (19) Ferchiou (Sophie), « Conserves céréalières et rôle de la femme dans l'économie familiale en Tunisie », in **Les techniques de conservation des grains à long terme**, Gast (Marceau) et Sigaut (François), Paris, Centre National de la Recherche Scientifique, 1979, p. 193.
- (20) تشبه النقانق، لكنها تتخذ شكل كريات محشوة بزوائد الحروف Les abats و أصناف من الخضر و البهارات. و للوقوف عند دلالاتها من منظور نفسي يحسن الرجوع إلى بوحديّة (عبد الوهاب) ضمن كتابه:
- (21) **L'imaginaire maghrébin, étude de dix contes pour enfants**, Maison Tunisienne de l'Édition, 1977, p.79.
- (22) Najar (Sihem), **Pratiques alimentaires des Djerbiens : une étude socio-anthropologique**, Université Paris V, René Dé cartes, Sciences Humaines - Sorbonne, 1993, p.191.
- (23) Babès (Leila), « Le couscous comme don et sacrifice », **Revue Mauss**, n°8, 1996, pp. 267-276.
- (24) Melliti (Imed), « Récits de vie et pratiques alimentaires ; origines, identités et biographies », in Milliti (Imed) et Najar (Sihem), **Se nourrir en Tunisie, traditions et dynamiques actuelles**, Beyrouth, Entreprise Universitaire d'Études et de Publication, 2008, p. 67.

(25) و ميترز (سيدني): الحلاوة و السلطة، ترجمة يونس (شريف)، تونس، مركز

الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية، 2007، ص 42.

(26) Ferchiou (Sophie), « Différenciation sexuelle de l'alimentation au Djérid (Sud tunisien) », revue **L'Homme**, n°2, volume 8, 1968, p. 76.

(27) Lévi-Strauss (Claude), **L'origine des manières de table**, op.cit, p.400.

(28) Moreau (Jean) et Ardry (Robert), « Un aliment nord-africain : le couscous, composition, fabrication, préparation », **Archives de l'Institut Pasteur**, Tunisie, 1942, p. 310.

Bachelard (Gaston), **La terre et les rêveries du repos**, Tunis, Cérès (29)
Editions, 1996, p.272

(30) Corbeau (Jean-Pierre) et Poulain (Jean-Pierre), **Penser l'alimentation, Entre imaginaire et rationalité**, Toulouse, Privat, 2002, p. 42.

(31) Mauss (Marcel), « Les techniques du corps », in **Sociologie anthropologie**, Quadrige -PUF, 1983, pp. 365-386.

(32) Douglas (Mary), « Les structures du culinaire », revue **Communication** (Canada), année 1979, volume 31, n° 31, p. 165.

(33) **Ibid.**, p. 150.

(34) Najjar (Sihem), **Pratiques alimentaires...**, op.cit., p. 174 .

(35) النجار (سهام): " مظاهر التغير و المحافظة المرتبطة بالممارسات الغذائية"، ضمن

الممارسات الغذائية و التحولات الاجتماعية في تونس: دراسة سوسيو أنثروبولوجية،

المليتي (عماد) و النجار (سهام)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و

التوزيع، 2008، ص 20.

(36) Gobert (E.-G.), op.cit., pp. 15-16.

(37) Mahfoudh (Dorra), « Rites alimentaires, rites matrimoniaux dans la société tunisienne », revue **Ibla**, Tunis, n°170, 1992, p. 221.

(38) Kaufman (J.-P.), **Casseroles, amour et crises. Ce que cuisiner veut dire**, Paris, Armand Colin, 2005, pp. 134-135.

(39) Bourdieu (Pierre), **La distinction, critique sociale du jugement**, Tunis, Ed. Cérès, 1995, pp. 280-281.

(40) Hubert (Annie), « Cuisine et politique, le plat national existe-t-il ? », **Revue des Sciences Sociales**, n° 27, 2000, p.8.

(41) Poulain (J.P), **Sociologie de l'alimentation**, Toulouse, Privat, 2002, p.174.

(42) **Ibid.**, p.186.

(43) المليتي (عماد) "الممارسات الغذائية بين الهوية و المرجعيات التقييمية"، ضمن الممارسات

الغذائية و التحولات الاجتماعية في تونس، مرجع مذكور، ص 43.

- (44) Fischler (C.), **L’Honnivore, le goût, la cuisine et le corps**, Paris, Odile Jacob, 1990, p. 70.
- (45) Hubert (Annie), **Op.Cit.** p.10.
- (46) Calvo (Manuel), « Migration et alimentation », **Cahiers de Sociologie économique et culturelle**, N° 4, 1985, pp. 52-89.
- (47) **Ibid.**
- (48) Hassoun (Jean-Pierre) et Raulin (Anne), « Homo exoticus », in Bessis (Sophie) (sous la direction de.), **Mille et une bouches**, Coll. Mutations/Mangeurs, n° 154, Paris 1995, pp. 119-129.
- (49) Fishler (Claude), op.cit.

**دراسات في علوم وتقنيات
النشاطات البدنية
والرياضية**

دور الجمعيات الرياضية الجوارية في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية

لدى المراهقين (16-18) سنة

الدكتور: بوعنناق كمال / الأستاذ: فرنان مجيد

قسم علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، جامعة خميس مليانة / جامعة الجزائر3

الملخص:

لقد كشفت نتائج الدراسة عن دور الأنشطة البدنية الترفيهية في التنمية الشاملة للمراهقين، كما أكدت الدراسة على دور الجمعيات الرياضية الجوارية في تأطير المراهقين وتوجيههم، وعن دور الجمعيات الرياضية الجوارية في ترشيد المراهقين نحو ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية، كما أكدت الدراسة على تأثير التسيير الاستراتيجي للجمعيات الرياضية الجوارية في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية.

Résumé

Les résultats de l'étude ont bel et bien démontré le rôle des associations sportives de proximité grâce aux moyens et aux programmes dont elles disposent pour l'encadrement des adolescents, en les incitant à la pratique des activités sportives de loisir q

ui jouent un rôle très important dans leur développement physique, mental et social.

مقدمة:

تدخل الجمعيات الرياضية الجوارية ضمن التعريف العام للجمعيات، فهي عبارة عن اتفاق بين مجموعة أشخاص طبيعيين تربطهم فكرة رياضية واجتماعيه مجازة قانونيا في عملها، ولها شخصية قانونية، وهي تمارس نشاط رياضيا واحدا أو عدة أنشطة رياضية مختلفة⁽¹⁾.

وتعتبر النشاطات البدنية والترفيهية أحد هذه الممارسات التي نجد لها على مستوى الجمعيات الرياضية الجوارية، نظرا لما تحمله من فوائد همة على الفرد في مختلف جوانبه، البدنية، والصحية، والنفسية، والاجتماعية، والثقافية، وكذلك على المجتمع، وتختلف هذه النشاطات باختلاف طبيعتها، وأشكالها، وتنوعاتها.

ومن خلال الدراسة التي قمنا بها، فهي تتطرق إلى دور الجمعيات الرياضية الجوارية- بما تسعى إليه من أهداف مختلفة في المجتمع لترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية إلى جانب الأنشطة الأخرى عند فئة المراهقين 16 و18 سنة والتي تمثل المراهقة المتوسطة، ومجال دراستنا يدور في الجمعيات الرياضية الجوارية بالجزائر العاصمة، حيث من خلال هذا البحث سنحاول أن نبين فيه دور ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية في التنمية الشاملة للمراهقين، كما سنبين فيها دور الجمعيات الرياضية الجوارية في تأطير المراهقين، ودورها في ترشيد المراهقين نحو ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية، ثم سنبين دور التسيير الاستراتيجي للجمعيات الرياضية الجوارية في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية، وقد تطرقنا إلى إثبات الفرضيات من خلال استعمال المنهج الوصفي التحليلي، وقمنا باستخدام الاستبيان كوسيلة لذلك، ثم تطرقنا إلي عرض النتائج وتحليلها، ثم من خلال النتائج أثبتنا صحة الفرضيات الجزئية وبالتالي تحقق الفرضية العامة.

1. الإشكالية

أصبح من البديهي والمسلم به أن ممارسة الرياضة أمر ضروري في حياة الإنسان المعاصر، فالأعمال في معظمها أصبحت تفتقد للحركة والرشاقة، والجهد العضلي، وكثرت الأمراض الناجمة عن قلة الحركة بالإضافة إلى، انتشار الأمراض النفسية والاضطرابات العصبية الناجمة عن ضغوط العمل والحياة الاجتماعية.⁽²⁾

وتمتاز الجمعيات الرياضية الجوارية بخصائص، ومميزات، فهي قريبة من المواطنين بمختلف شرائحهم الاجتماعية، تعتبر كمجال واسع يمارس فيه الفرد الرياضة، بما في ذلك الأنشطة البدنية الترفيهية، إلى جانب نشاطات أخرى، وكل فرد له الحق في الانتماء إليها، والاستفادة منها والإفادة فيها، وتعتبر فئة المراهقين من بين الفئات التي تنال الاهتمام الواسع من قبل الجمعيات الرياضية الجوارية.

وتعتبر ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية التي يمكن اعتبارها كمنظومة تربوية شاملة، وعلى تنوعها تمتاز بخصائص عدة، وأهداف، تسعى إلى تحقيقها في الفرد بصفة عامة، وفي المراهق بصفة خاصة، وتوفر الجمعيات الرياضية الجوارية من خلال ممارسة المراهقين للأنشطة البدنية الترفيهية ضمنها النمو الشامل، والمتزن، والتنشئة الاجتماعية، وهي تنتهج العمل السليم، المبني على الطرق العلمية، والقانونية، والإمكانات المادية والقاعدية.

إذا فمن خلال هذه النظرة الابتدائية هل يمكن اعتبار أن للجمعيات الرياضية الجوارية دور في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية عند فئة المراهقين (16-18) سنة والتي تمثل مرحلة المراهقة المتوسطة؟

2. الفرضيات:

1.2. الفرضية العامة:

للمجموعات الرياضية الجوارية دور في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية عند فئة المراهقين (16-18) سنة والتي تمثل مرحلة المراهقة المتوسطة.

2.2. الفرضيات الجزئية:

- ✓ ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية لها دور في التنمية الشاملة للمراهقين.
- ✓ للجمعيات الرياضية الجوارية دور في تأطير المراهقين.
- ✓ للجمعيات الرياضية الجوارية دور في ترشيد المراهقين نحو ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية.
- ✓ إستراتيجية التسيير في للجمعيات الرياضية الجوارية تلعب دورا هاما في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية.

3. المتغيرات:

1.3. المتغير المستقل:

- ✓ الجمعيات الرياضية الجوارية.

2.3. المتغير التابع:

- ✓ ممارسة المراهقين للأنشطة البدنية الترفيهية.

4. أهداف البحث:

- ✓ الإلمام بأهمية الأنشطة البدنية الترفيهية عند فئة المراهقين
- ✓ التعرف على الدور الذي تلعبه الجمعيات الرياضية الجوارية في تأطير المراهقين.
- ✓ إبراز دور الجمعيات الرياضية الجوارية في ترشيد المراهقين نحو ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية.
- ✓ إيضاح ما مدى تأثير التسيير الاستراتيجي للجمعيات الرياضية الجوارية في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية.

5. التعاريف الإجرائية لتغيرات البحث:

1.5. الجمعيات الرياضية الجوارية:

الجمعية الرياضية الجوارية عبارة عن اتفاق لتحقيق تعاون مشترك و مستمر بين شخصين أو عدة أشخاص، لاستخدام معلوماتهم أو نشاطهم لغاية نبيلة وشريفة، وهي إطار للعمل من اجل توعية الفئات المستهدفة بمشاكلها، وتحفيزها للتفكير والمشاركة في طرح الحلول المناسبة، ومساعدتها على تجسيد هذه الحلول على ارض الواقع، وهي كذلك اتفاق بين مجموعة أشخاص طبيعيين تربطهم فكرة رياضية واجتماعية، مجازة قانونيا في عملها، ولها شخصية قانونية.

2.5. الأنشطة البدنية الترفيهية:

تعتبر الأنشطة البدنية الترفيهية من بين المتطلبات التي لا يمكن للفرد ولا للمجتمع أن يتخلى عنها لما تكتسيه من الأهمية، حيث تستعمل كوسيلة من أجل الترفيه وإدخال السرور على النفس، بعيدا عن المنافسة الحقيقية التي تسعى إلى الفوز والربح، وتساعد ممارستها في التخفيف من الضغوطات الداخلية والخارجية، وتحرير الطاقات والمكبوتات وتنمية الأجهزة الوظيفية والعضوية للأفراد، عن طريق حركات رياضية متوازنة ومنسجمة.

3.5. المراهقة المتوسطة:

المراهقة هي عملية الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب، و تتميز بأنها فترة بالغة التعقيد لما تحمله من تغيرات عضوية ونفسية و ذهنية تجعل من الطفل كامل النمو، و ليس للمراهقة تعريف دقيق و محدد، فهناك العديد من التعاريف والمفاهيم الخاصة بها.

6. الدراسات المرتبطة:

من الواجب تخصيص جانبا للدراسات المرتبطة أو المشابهة، سواء تعلق الامر بالدراسات الاجنبية أو الوطنية، غير أنه لم نعر على دراسة تناولت موضوع

الأنشطة البدنية الترفيهية، إلا القليل منها ، سواء تعلق الأمر في ممارستها لدى المراهقين أو في الفئات العمرية الأخرى، أما فيما يخص دراستنا التي تدور حول ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية لدى المراهقين ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية فلم يسبق لأي دراسة أن تناولت هذا الموضوع في الجزائر، أما الدراسات الأجنبية فحسب ما تمكن من بلوغه من بحث فلم نجد دراسة مشابهة لها، لكن سنذكر بعض الدراسات التي تناولت جانب الترفيه أو الترويح، وكذلك بعض الدراسات التي تكلمت عن الأنشطة البدنية الترفيهية أو الترويحية وتناولت هذه الدراسات على العموم الاتجاهات نحو ممارسة الأنشطة الترويحية (الترفيهية).

1.6. الدراسات الأجنبية:

1.1.6. الدراسة الأولى:

قام الباحثان مسون "Mson" ولسن "WILSON" (1988) بدراسة عنوانها "طلبة المرحلة الثانوية الأمريكي

والمشاركة الرياضية" وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي، وبلغت عينة الدراسة 10.000 شاب وقد توصلوا الباحثين إلى أن (75%) من طلبة المرحلة الثانوية يمارسون أنشطة الترويح الرياضي وترجع أسباب ممارسة النشاط الرياضي إلى رغبتهم في اكتساب الصحة والشعور بالراحة وقضاء أوقات فراغهم أما عدم ممارسة طلبة المرحلة الثانوية للنشاط الرياضي فترجع إلى الإعاقة الصحية.⁽³⁾

2.1.6. الدراسة الثانية:

قام جوي ستندايفن joy standeve (1999) بدراسة عنوانها "التربية في الوقت الحر في كل من إنجلترا وكندا وإيرلندا" وكان هدف الدراسة هو التعرف على اتجاهات الطلبة نحو الأنشطة الرياضية ومفهوم وأهداف الوقت الحر من

وجهة نظر المدرسين وقد اشتملت عينة الدراسة علي مدرسي التربية الرياضية وطلبة المرحلة الثانوية في كل من إنجلترا وكندا وايرلندا وكانت النتائج:

- الطلبة ايرلندا يفضلون الجيدو، الريشة الطائرة، العاب القوي، ركوب الخيل، أنشطة الملاعب المفتوحة، في حين أن طلبة كندا يفضلون الرقص واللياقة البدنية أما طلبة إنجلترا فإنهم يفضلون الأنشطة الترويحية، كرة القدم.

- وحول أهداف الممارسة من وجهة نظر المدرسين الايرلنديين اتضح أن استثمار وقت الفراغ على رأس قائمة الأهداف وفي كندا كان التركيز علي حث الطلبة علي استغلال الوقت الحر من خلال الرياضة اعتقادا أن الرياضة جزء هاما ويرتبط بحياة كل فرد، أما في إنجلترا فكان الاهتمام بتربية الفرد ككل من خلال الوقت الحر (التربية للحياة) بهدف الصحة والسعادة للجميع.⁽³⁾

2.6. الدراسات العربية:

قام محمد عبد المنعم عبد العاطي جامعة حلوان القاهرة 2005م بتقديم بحث حول قياس اتجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية نحو ممارسة الترويح الرياضي، ويهدف البحث إلي قياس اتجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية نحو ممارسة الأنشطة الترويحية الرياضية، ويتطلب ذلك تحقيق بناء مقياس لقياس اتجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية نحو ممارسة الأنشطة الترويحية الرياضية، ووضع معايير ومستويات للمقياس والتعرف على اتجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية في البيئة الحضرية وبين البيئة الريفية نحو ممارسة الأنشطة الترويحية الرياضية.

واعتمد الباحث على عينة قوامها 300 تلميذ من مرحلة الثانوية العامة أولى، ثانية بواقع 150 تلميذ من الريف و150 تلميذ من الحضر لتحقيق هدف البحث، واستخدم الباحث المنهج الوصفي لمناسبته لهذه الدراسة، وتوصل إلى أن اتجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية نحو ممارسة الأنشطة الترويحية الرياضية لاكتساب اللياقة والصحة، وقد يرجع ذلك إلى النشاط الترويحي له دور إيجابي في استثارة النواحي الانفعالية نتيجة الحماس الزائد أثناء الممارسة بجانب إنه وسيلة لإخراج

الطاقة الكائنة وتفرغ حالات الكبت مما يشعروهم بتحسن وإدخال المرح والسرور على أنفسهم، كما يستفيد الممارسين للنشاط الترويحي اللياقة والصحة النفسية والجسمية، حيث يكون لها عائد نفسي وبدني وبالتالي يجعل الممارس للنشاط الترويحي يتسم بالاتزان النفسي والذهني والبدني، ويعد هذا هدف أساسي في ممارسة الأنشطة الترويحية الرياضية⁽³⁾.

3.6. الدراسات الوطنية:

1.3.6. الدراسة الاولى:

وتناولت الدراسة تحت عنوان "الاتجاهات النفسية نحو مفهوم التربية البدنية والرياضية لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط" حيث أجريت الدراسة بخمسة متوسطات بولاية تيسمسيلت، وتمثل مجتمع البحث في التلاميذ المتدربين في طور التعليم المتوسط و من كلا الجنسين (ذكور و إناث) ، ومن مستوى السنة الرابعة متوسط الممارسين وغير الممارسين للتربية البدنية و الرياضية، و بلغ عدد أفراد العينة الكلية للدراسة ب 150 تلميذ و تلميذة تم اختيارها من القوائم المدرسية، وتوصل إلى:

1. إن ممارسة النشاط البدني الرياضي تعمل على تكوين علاقات إجتماعية تمكنهم من الاندماج الاجتماعي.
2. إن ممارسة النشاط البدني الرياضي تعمل على حفظ الصحة و اللياقة البدنية.
3. إن ممارسة النشاط البدني الرياضي تعمل على تكامل البناء الجسمي المتزن المعتدل و المقبول اجتماعيا.
4. إن ممارسة النشاط البدني الرياضي تقلل من التوترات الناجمة عن الحياة اليومية و الاجتماعية.

5. إن ممارسة النشاط البدني الرياضي يعمل على إبراز القدرات الخاصة التي يمتلكها التلاميذ في مختلف الأنشطة الرياضية⁽⁴⁾.

2.3.6. الدراسة الثانية:

للباحث عمارة نور الدين تحت عنوان انعكاسات ممارسة النشاط الرياضي الترويحي على قيم العمل لدى متربيصي التكوين المهني، وملخص الدراسة أنها جاءت من جانبها النظري مشتملة على التكلم عن التكوين المهني، كما تطرق بإسهاب إلى الترويح كمنشأ إنساني واختتم هذا الجانب في قيم العمل من منظورها الاجتماعي والاقتصادي والديني، أما الجانب التطبيقي فقد تناول الدراسة باستخدام المنهج الوصفي ودراسة مقارنة بين عينتين من 40 متريصا تمارس نشاط ترويحيًا معينًا والأخرى لا تمارس، كما دعم دراسته باستخدام مقياس العمل وطبقه على 20 مؤطرًا، وجاءت النتائج على أن هناك تأثيرات وانعكاسات إيجابية لممارسة الأنشطة البدنية الترويحية على قيم العمل المختلفة.⁽⁵⁾

7. المنهج الوصفي

تم اختيار المنهج الوصفي في هذا البحث لملائمته موضوع البحث. ويعرف في مجال التربية والتعليم على أنه كل استقصاء ينصب على أي ظاهرة من الظواهر التعليمية أو النفسية كما هي قائمة في الحاضر قصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها أو بينها وبين الظواهر التعليمية أو النفسية أو الاجتماعية الأخرى، وهو عبارة عن مسح شامل للظواهر الموجودة في جماعة معينة، وفي مكان معين ووقت محدد بحيث يقوم الباحث بكشف ووصف الأوضاع القائمة من خلال البيانات الميدانية التي تم جمعها.⁽⁶⁾

8. أدوات البحث ووسائله:

من أجل الوصول إلى حلول لإشكالية البحث المطروحة، والتحقق من صحة الفرضيات أو عدمها لزمنا تطبيق أنجع الطرق، وذلك من خلال الدراسة والتدقيق، وهذا باستخدام الأدوات التالية:

1.8. الدراسة النظرية:

وتم فيها تحديد المفاهيم الأساسية وتضم الجمعيات الرياضية الجوارية، الأنشطة البدنية الترفيهية، المراهقة المتوسطة (16-18) سنة، وذلك من خلال الرجوع إلى المعطيات البليوغرافية من كتب ومراجع ومطبوعات ومذكرات والتي نخدم موضوع بحثنا.

2.8. الدراسة الاستطلاعية:

قمنا بإجراء دراسة استطلاعية على عينة من المجتمع الذي ستجرى عليه الدراسة وتم طرح الأسئلة عليهم بصفة عامة والتعرف على الأسئلة التي لا تخدم البحث، وأيضا حذف وإضافة بعض الأسئلة الأخرى التي وجد الباحثين أنها لا تخدم أو تضيف شيئا إلى البحث، وقد اقتصرنا الدراسة الاستطلاعية على أربع جمعيات رياضية جوارية، حيث يمثل المراهقون الممارسون ضمنها عينة من مجتمع البحث، وهم يمثلون مفردات العينة الأصلية التي ستجرى عليها الدراسة الميدانية، والغرض من هذا التحقق من الخصائص السيكومترية للاستبيان.

3.8. الاستبيان:

استعملنا الاستبيان كتقنية للبحث باعتباره تقنية شائعة الاستعمال، فهو وسيلة علمية لجمع المعلومات والبيانات، وهذه الطريقة تستمد المعلومات مباشرة من المصدر ولقد قمنا باختيار الاستبيان كأداة للبحث لكونه مناسب للمراهقين خاصة، ويعتبر الاستبيان وسيلة هامة لجمع البيانات عن عدد من الأسئلة المكتوبة في نموذج يعد لذلك ثم القيام بالإجابة عن هذه الأسئلة.⁽⁷⁾

4.8. المقابلة:

تم إجراء مقابلة مع بعض رؤساء الجمعيات الرياضية الجوارية، وكذلك بعض المؤطرين من المدربين وبعض الزملاء من الأساتذة الذين ينشطون على مستوى الجمعيات، وقمنا بطرح أسئلة مفتوحة بالأسلوب الموجه إلى المستجوب بغية الوصول إلى حقائق والتأكد من المعلومات المحصل عليها في الاستبيان الموجه إلى المراهقين المنتمين إلى الجمعيات الرياضية الجوارية، كما أجرينا مقابلة مع مسؤول على مستوى ولاية الجزائر قصد الحصول على إحصائيات متعلقة بعدد الجمعيات الرياضية الجوارية، وعلى القانون الأساسي للجمعيات.

5.8. الملاحظة:

تعتبر الملاحظة من بين أقدم وسائل جمع البيانات والمعلومات الخاصة بظاهرة ما، ويمكن القول بأنها عبارة عن عملية مراقبة أو مشاهدة لسلوك الظواهر والمشكلات والأحداث ومكوناتها المادية والبيئية ومتابعة سيرها واتجاهاتها وعلاقتها بأسلوب علمي منظم ومخطط وهادف بقصد التفسير وتحديد العلاقة بين المتغيرات والتنبؤ بسلوك الظاهرة وتوجيهها لخدمة أغراض الإنسان واحتياجاته.⁽⁸⁾

ولقد استعملنا الملاحظة من خلال متابعة أنشطة الجمعيات الرياضية الجوارية ضمن مجالات أنشطتها، وبالأخص في جانب تأطير المراهقين من خلال البرامج المقدمة، ثم انطلقنا من خلال تلك الملاحظة إلى صياغة إشكالية تتعلق بمدى علاقة ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية عند المراهقين ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية.

9. عينة البحث:

لا تعتبر العينة جيدة إلا إذا كانت ممثلة لجميع صفات المجتمع الأصلي الذي انبثقت منه حتى يصبح اشتقاقا صحيحا وإن أخطأنا في حكمنا على صفات الأصل، حيث أن أي دراسة لمجتمع أو ظاهرة اجتماعية تعتمد أساسا على التقنيات المأخوذة من المجتمع إذ أنه بدون عينة لا نستطيع دراسة أي مشكلة

اجتماعية أو تربوية ذلك لأن العينة هي المنبع للمعلومات التي نريد أن نعرفها أو الأسباب التي نحاول التعرف عليها.⁽⁷⁾

1.9. خصائص العينة:

تم اختيار أفراد العينة بشكل عشوائي، فالمرهقون الذين تتراوح أعمارهم ما بين 16 سنة و18 سنة يجب أن يكونوا منخرطين ضمن أي جمعية رياضية جوارية على مستوى بلديات العاصمة، ولديهم المستوى الدراسي، فبغض النظر عن مقر وأسماء الجمعيات الرياضية الجوارية التي ينتمون إليها فإنه تم توزيع الاستثمارات بطرق مختلفة فأحيانا على مستوى بعض الجمعيات، وفي بعض الأحيان على مستوى المتوسطات والثانويات وهذا بالتعاون مع الزملاء أساتذة التربية البدنية، وبلغ العدد الإجمالي للعينة حوالي 200 مرهق موزعين على مختلف البلديات.

2.9. المجتمع الأصلي:

يضم المجتمع الأصلية كل المراهقين الممارسين ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية على مستوى الجزائر العاصمة، وحسب الإحصائيات غير الرسمية التي انتقيناها من مديرية الشباب والرياضة فإن عدد المنخرطين في هذه الفئة العمرية يناهز 2000، مع العلم أنه لا توجد إحصائيات رسمية لعدد الجمعيات الرياضية الجوارية، وحسب مديرية الشباب والرياضة فهي تناهز 120 جمعية موزعة على مختلف البلديات.

3.9. نسبة تمثيل العينة:

مجتمع البحث هي كل الجمعيات الرياضية الجوارية على مستوى الجزائر العاصمة وهي تعتبر العينة الأصلية، ويقدر عدد الجمعيات الرياضية العاصمة بـ 120 والمنخرطين فيها من الفئة العمرية (16-18) سنة يبلغ حوالي 2000 منخرط.

عينة الدراسة تمثلت في 200 مراهق، أي بنسبة 10% من مجتمع البحث والتي لا يجب أن تقل عن 10% من العينة الأصلية، وهذا الأخير دليل على أن نتائج عينة الدراسة يمكن تعميمها على باقي المجتمع، وهي نسبة لا بأس بها من حيث نسبة التمثيل والتي يحصرها هولستي بين 0.75 و0.95، وهذا ما يسمح لنا بمتابعة العمل.⁽⁹⁾

10. مجالات البحث:

1.10. المجال الزمني:

أجريت الدراسة على جماعة المراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و18 سنة وهي تمثل مرحلة المراهقة المتوسطة، في شهر نوفمبر 2010 م وبعدها تمت اختيار عينة، وقد تم توزيع الاستمارة في بداية شهر مارس 2011م، حيث تم توزيع ما يقرب عن 230 استمارة استرجعت منها 215 استمارة، وكان ذلك في أواخر شهر مارس.

2.10. المجال المكاني:

تم تحديد المجال المكاني لهذه الدراسة ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية التي تنشط على مستوى العاصمة.

11. المعالجة الإحصائية:

- النسبة المئوية::

عدد التكرارات

$$\text{النسبة المئوية} = \frac{\text{ن} \leftarrow 100}{\text{س} \leftarrow} \times 100 \%$$

العدد الكلي للعينة

حيث أن ع: نسبة الإجابات المعبر عنها، ن: عدد العينة المدروسة.

س: عدد الإجابة المعبر عنها.

- اختبار (كا²):

$$(ت م - ت ن)^2$$

$$ك = \frac{\text{مجموع}}{2}$$

ت ن

حيث يمثل كا²: القيمة المحسوبة من خلال الاختبار

تك م: عدد التكرارات المشاهدة أو الحقيقية (الواقعية).

تك ن: عدد التكرارات المتوقعة (النظرية).

ويتم حساب عدد التكرارات المتوقعة من خلال المعادلة التالية: تك = ن / و.

حيث ن: تمثل عدد أفراد العينة.

و: عدد الاختبارات الموضوعية للأسئلة.

ويسمح هذا الاختبار بتحديد الفروق بين الإجابات إذا كانت ذات دلالة إحصائية أم لا.⁽¹⁰⁾

12. عرض وتحليل النتائج:

1.12. عرض نتائج المحور الأول:

الدالة	درجة الحرية	نسبة الدلالة	كا ² مج	كا ² محسوبة	أسئلة المحور الأول
دالة	4	0.05	9.49	202.93	تمثيل الترفيه لدى المراهقين
دالة	3	0.05	7.81	119.23	أوجه الأنشطة الترفيهية المحبذة لدى المراهقين
دالة	1	0.05	3.80	50	الأنشطة البدنية الترفيهية جزء من المنظومة التربوية
دالة	5	0.05	3.08	65.83	الأهداف من ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية عند المراهقين
دالة	5	0.05	3.08	50	ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية في وقت الفراغ
دالة	5	0.05	5.99	50	ماذا يمثل وقت الفراغ بالنسبة للمراهقين
دالة	2	0.05	7.81	16.96	الفئة الأكثر عرضة لوقت الفراغ

دالة	3	0.05	3.80	14.34	الأسباب وراء انتشار ظاهرة وقت الفراغ
دالة	5	0.05	3.80	410.5	استثمار وقت الفراغ من خلال ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية لدى المراهقين
دالة	1	0.05	3.80	1102.08	ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية وسيلة للمحافظة على الصحة الجسمية لدى المراهق
دالة	1	0.05	3.80	410.5	تأثير ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية في النمو المعرفي لدى المراهقين
دالة	1	0.05	3.80	53.68	ضرورة ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية للمراهق

2.12. تحليل نتائج المحور الأول:

يضم هذا المحور اثنا عشرة سؤالاً كان القصد منها تحقيق الفرضية الأولى والتي تدور حول دور ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية في التنمية الشاملة للمراهقين، فمن خلال النتائج المحصل عليها وبعد عرضها ومناقشتها فالملاحظ أن الأغلبية من المراهقين المقصودين من الدراسة أكدوا على أن الترفيه يمثل بالنسبة إليهم وسيلة لاستثمار وقت الفراغ، وهذا لوعيهم بضرورة استغلال وقت الفراغ

بالطريقة المثلى حتى يرجع عليهم بالنفع والايجابية، وانفقوا على أن الأنشطة البدنية الترفيهية هو النشاط المحبذ لديهم من جملة الأنشطة الترفيهية نظرا لأنهم يمارسون هذه الأنشطة على مستوى الجمعيات الرياضية الجوارية ولعلمهم بالمنفعة التي يجنونها من خلال ممارستها لها.

واعترفت الأغلبية الساحقة بأن الأنشطة البدنية الترفيهية جزء لا يتجزأ من جملة منظومة الأنشطة الترفيهية الغنية، و أن هدفهم من ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية هو من أجل اللياقة البدنية التي تلعب دورا هاما في نموهم وتنشئتهم إضافة إلى الأهداف الأخرى التي لا تقل أهمية كذلك، كما اعتبر كل الباحثين أن الأنشطة البدنية الترفيهية تمارس في وقت الفراغ وهذا مؤكد من خلال الدراسات التي أشرنا إليها والتي أكدت بأنها تمارس خارج أوقات العمل والدراسة، كما اعتبرت الأغلبية بأن وقت الفراغ ظاهرة اجتماعية وان المراهقين هم الفئة الأكثر عرضة لهذه الظاهرة، كما اعتبر جلهم بأن ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية وسيلة لاستثمار وقت الفراغ لديهم، كما أن الأنشطة البدنية الترفيهية تساهم في الحفاظ على صحتهم الجسمية، ولذلك اعتبر جل الباحثين من المراهقين أن ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية ضرورية لهم، فهي تساهم في تنميتهم في جميع جوانبهم المختلفة.

ومن خلال الأجوبة المحصلة استخلصنا أن هناك دلالة إحصائية في جميع الأسئلة العشرة، ومن خلال كل النتائج المحصلة في المحور الأول يمكن القول بأن الفرضية الأولى قد تحققت وأن ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية تلعب دورا هاما في التنمية الشاملة للمراهقين.

3.12. عرض نتائج المحور الثاني:

الدالة	درجة الحرية	نسبة الدلالة	كا ² مج	كا ² محسوبة	أسئلة المحور الثاني
دالة	1	0.05	3.80	181.75	الاندماج الاجتماعي من خلال ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية في إطار جماعي.
دالة	1	0.05	3.80	203.31	ضرورة العمل الجماعي في المجتمع.
دالة	3	0.05	7.81	11.31	بيان ما تمثله الجمعيات الرياضية الجوارية عند المراهق.
دالة	1	0.05	3.80	11.17	ضرورة الانتماء إلى جمعية رياضية جوارية.
دالة	1	0.05	3.80	1851.28	سبل الانتماء للجمعيات الرياضية الجوارية.
دالة	1	0.05	3.84	10.17	عزوف من المراهقين عن الجمعيات الرياضية الجوارية.
دالة	1	0.05	3.81	228.17	أولوية الجمعيات الرياضية

					الجوارية الاهتمام بالمرهقين.
دالة	1	0.05	3.80	56.71	الجمعيات الرياضية الجوارية فضاء لاستقطاب المراهقين.
غير دالة	1	0.05	3.80	0.98	دور الجمعيات الرياضية الجوارية في التنشئة الاجتماعية للمراهقين

4.12. تحليل نتائج المحور الثاني:

يضم هذا المحور تسعة أسئلة كان القصد منها تحقيق الفرضية الثانية والتي تدور حول دور الجمعيات الرياضية الجوارية في تأطير المراهقين، فمن خلال النتائج المحصل عليها وبعد عرضها ومناقشتها وجدنا أن ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية في إطار جماعي يساعد على الاندماج الاجتماعي.

وهذا رأي الأغلبية التي رأت بأن ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية في إطار جماعي يساهم في الاندماج الاجتماعي للمراهقين، واعتبرت أغلبية الإجابات أن العمل الجماعي ضروري في المجتمع، وذهب جل المراهقين المبحوثين إلى أن الجمعيات الرياضية الجوارية تعتبر بالنسبة إليهم كوجهة لممارسة الرياضة وبالطبع فممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية تندرج تحت المفهوم العام للرياضة.

وأنه من الضروري الانتماء إلى جمعية رياضية جوارية قصد ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية، كما أن الانتماء إلى جمعية رياضية جوارية أمر متيسر وسهل، واعتبروا أن هناك عزوفا من المراهقين نحو الجمعيات الرياضية الجوارية وهذا ربما يرجع لنقص الوعي بالعمل الجماعي أو لظروف تحتاج إلى دراسة.

واعتبر أغلبية المراهقين الممارسين ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية أن الاهتمام بالمرهقين من بين أولويات الجمعيات الرياضية الجوارية، بحيث تعتبر

فرصة للمراهق للتعبير عن نفسه، والبحث عن أفاق جديدة تسمح له بالاندماج في المجتمع، وتساهم في تنشئته الاجتماعية.

وتوصلنا إلى أن الجمعيات الرياضية الجوارية فضاء لاستقطاب المراهقين، وأن لها دور في التنشئة الاجتماعية للمراهقين والسبيل للاندماج في المجتمع، كما تقدم له الأنشطة المختلفة ضمنها فرصا عريضة لنمو قيمه الأخلاقية الحسنة والمقبولة من طرف المجتمع عبر التفاعل الاجتماعي الثري الذي تدفعه إليه ظروف الممارسة الرياضية المختلفة من منافسات ومباريات وأنشطة بدنية ترفيهية متنوعة تجعله اجتماعيا أكثر ونافعا لنفسه ولغيره، وتعتبر سبيلا إلى تكوينه وتنمية صفاته البدنية والذهنية، وتحصيل الحس الاجتماعي والانتماء للوطن واحترام القوانين، ومن خلال الأجوبة المحصلة استخلصنا أن هناك دلالة إحصائية في جميع الأسئلة العشرة، ومن هذه النتائج المحصلة في المحور الثاني يمكن القول بأن الفرضية الثانية قد تحققت ويمكن اعتبار أن للجمعيات الرياضية الجوارية دور في تأطير المراهقين.

5.12. عرض نتائج المحور الثالث:

الدلالة	درجة الحرية	نسبة الدلالة	كا ² مج	كا ² محسوبة	أسئلة المحور الثالث
غير دالة	1	0.05	3.80	0.98	ضرورة ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية.
غير دالة	3	0.05	7.81	2.94	الغايات من ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية ضمن الجمعيات.

دالة	3	0.0 5	7.81	275.11	الجوانب الايجابية لممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية في الجمعيات الرياضية الجوارية.
دالة	1	0.0 5	3.80	107.04	ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية وسيلة لاجتذاب المراهقين نحو ممارستها.
دالة	1	0.0 5	3.80	7.49	الجوانب الايجابية لممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية هي السبب في اجتذاب المراهقين نحوها.
دالة	1	0.0 5	3.80	24.44	ممارسة المراهقين للأنشطة البدنية الترفيهية ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية يساعدهم في تجنب الآفات الاجتماعية المختلفة
غير دالة	1	0.0 5	3.84	0.08	نوعية الأنشطة البدنية الترفيهية الممارسة ضمن الجمعيات الرياضية تلي رغبات وميولات المراهقين.

غير دالة	1	0.05	5.99	0.48	بيان مايرتبط بنوعية الأنشطة البدنية الترفيهية الممارسة ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية.
----------	---	------	------	------	--

6.12. تحليل نتائج المحو الثالث:

يضم هذا المحور ثمانية أسئلة كان القصد منها تحقيق الفرضية الثالثة والتي تدور حول إبراز دور الجمعيات الرياضية الجوارية في ترشيد المراهقين نحو ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية، فمن خلال النتائج المحصل وبعد عرضها ومناقشتها استخلصنا بأن الغايات من ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية ضمن الجمعيات لدى المراهقين هي من أجل الترويح عن النفس، وتوصلنا بعدها إلى أن الجوانب الايجابية تظهر في الجوانب الصحية بصفة رئيسية، إضافة إلى الجوانب الاجتماعية والنفسية التي لها ارتباط مباشر بالجوانب الصحية، واعتبرت الأغلبية بأن ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية وسيلة والسبب لاجتذاب المراهقين نحو ممارستها، إضافة إلى أن ممارستها ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية يساعدهم في تجنب الآفات الاجتماعية المختلفة وهذا يعتبر من بين مهامها الرئيسية فهي تهدف من خلالها إلى إبعاد أفراد المجتمع وبالخصوص المراهقين عن التفكير أو الوقوع في الآفات الاجتماعية المتنوعة.

كما استنتجنا بأن نوعية الأنشطة الممارسة ضمن الجمعيات لا تلي رغبات وميولات المراهقين، وهذا يدل أولاً على اهتمام المراهقين بالجمعيات وثانياً إلى رغبتهم في التوسيع من رقعة الأنشطة البدنية الترفيهية حتى تساهم في تلبية رغباتهم وميولاتهم، واعتبر معظم أعضاء الفئة المبحوثة في السؤال الأخير من المحور الثالث أن نوعية الأنشطة الممارسة ضمن الجمعيات ترتبط بنوعية المسؤولين وهذا يوضح المسؤولية الملقاة على عاتقهم في تسيير الجمعيات وتحقيق

طموحات المراهقين في تحسين نوعية البرامج المقدمة، ويدل كذلك على العلاقة التي تربط المراهقين بالجمعيات في ظل ممارسة تلك الأنشطة. ومن خلال الأجوبة المحصلة استخلصنا أن هناك دلالة إحصائية في جل الأسئلة ما عدا أربعة أسئلة، ومنه نقول بان الفرضية الثالثة قد تحققت ويمكن القول أيضاً أن للجمعيات الرياضية الجوارية دور في ترشيد المراهقين نحو ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية.

7.12. عرض نتائج المحور الرابع :

الدالة	درجة الحرية	نسبة الدلالة	كا ² مج	كا ² محسوبة	أسئلة المحور الرابع
دالة	1	0.05	3.84	42.83	ما يجب توفره لترقية الأنشطة البدنية الترفيهية في الجمعيات الرياضية الجوارية.
دالة	1	0.05	3.84	332.05	العمل التوعوي للجمعيات الرياضية الجوارية بضرورة ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية وسيلة لترقيتها.
دالة	1	0.05	3.84	381.56	عدم حصر ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية عند المتمين فقط إلى الجمعيات الجوارية وتعميمها وسط الأحياء السكنية والمدارس وسيلة لترقيتها.
دالة	1	0.05	3.80	107.04	تكثيف النشاطات البدنية

					الترفيهية ضمن الأحياء السكنية لاجتذاب أعداد كبيرة من الممارسين
دالة	1	0.05	3.80	1.29	بيان هل من الضروري التنسيق بين الجمعيات الرياضية وقطاعات التربية المختلفة من أجل ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية .
دالة	1	0.05	3.80	91.37	الإمكانيات المتوفرة ضمن الجمعيات الجوارية لاتسمح بالترقية المثلى لممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية.
دالة	1	0.05	3.84	96.75	الإمكانيات الواجب توفرها ضمن الجمعيات الرياضية الجوارية لترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية.
دالة	1	0.05	3.84	1102.1	بيان ضرورة تكاتف الجهود بين الجمعيات ولجان الأحياء من أجل المحافظة على الهياكل القاعدية ونشر ثقافة الممارسة الرياضية .

دالة	1	0.05	3.84	2351	ضرورة التكفل بالجمعيات قصد ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية من طرف السلطات العليا.
دالة	1	0.05	3.84	479.35	الجمعيات الرياضية مجال لاكتشاف المواهب.
دالة	1	0.05	3.84	12.059	تطور الرياضة في الجزائر مستقبلا يعود بدرجة أولى إلى حجم الاهتمام بالجمعيات الرياضية الجوارية.

8.12. تحليل نتائج المحور الرابع:

يضم هذا المحور أحد عشر سؤالاً كان القصد منها تحقيق الفرضية الرابعة وهي إيضاح ما مدى تأثير التسيير الاستراتيجي للجمعيات الرياضية الجوارية في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية، فمن خلال النتائج المحصل عليها استخلصنا حول ما يجب توفره لدى الجمعيات لترقية ممارسة تلك الأنشطة حيث اعتبرت الإمكانات المادية والقاعدية السبيل إلى ذلك.

وتوصلنا إلى أهمية العمل التوعوي للجمعيات بضرورة ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية في المجتمع، وقد رأى معظم المبحوثين أن عدم حصر ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية عند المنتمين فقط في الجمعيات الجوارية و تعميمها في وسط الأحياء السكنية و المدارس وسيلة لترقيتها، وبأن تكثيفها ضمن الأحياء السكنية والتنسيق بين الجمعيات الرياضية وقطاعات التربية وسيلة لاجتذاب أعداد كبيرة من الممارسين والمهتمين وترقية ممارستها.

واعتبروا بأن الإمكانيات المتوفرة حاليا ضمن الجمعيات الجوارية لا تسمح بالترقية المثلى وأنه يجب توفر المزيد منها وتوافقها مع التطور الحاصل في البلدان الأخرى، ومن الضروري تكاثف الجهود بين الجمعيات ولجان الأحياء من أجل المحافظة عليها ونشر ثقافة الممارسة الرياضية ضمن الأحياء، كما يجب على السلطات العليا التكفل بها كون أن الجمعيات ميدان لاكتشاف المواهب وأبطال المستقبل، كما اعتبرت الأغلبية بأن تطور الرياضة في الجزائر مستقبلا يعود بدرجة أولى إلى حجم الاهتمام بالجمعيات الرياضية الجوارية باعتبارها اللبنة الأولى في الرياضة الوطنية والاهتمام بها اهتماما بمستقبل الرياضة في الجزائر، ومن خلال الأجوبة المحصلة استخلصنا أن هناك دلالة إحصائية في جل الأسئلة، ومنه يمكن القول بأن التسيير الاستراتيجي للجمعيات الرياضية الجوارية له دور في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية.

الخاتمة:

بعد مناقشة المحاور الأربعة التي تدور في إطارها الفرضيات الجزئية، ومن خلال تحليل النتائج وإثباتها، تمكنا من الوصول إلى تحقيق الفرضيات الجزئية الأربعة، فالفرضية الأولى كان يدور محتواها حول دور النشاط البدني الترفيهي في التنمية الشاملة للمراهقين، من جميع الجوانب سواء البدنية أو النفسية أو الاجتماعية أو الفكرية الخ، ومن خلال الجانب التطبيقي أثبتنا صحة الفرضية بعد تحليل نتائج المحور الأول والذي استنتجنا منه أن للأنشطة البدنية الترفيهية دور في تنشئة المراهق الشاملة.

أما الفرضية الجزئية الثانية والتي تدور حول دور الجمعيات الرياضية الجوارية في تأطير المراهقين، فبعد بيان العلاقة الموجودة بين الجمعيات والمراهقين، توصلنا من خلال المحور الثاني وبعد مناقشة نتائجه وتحليلها إلى صدق تلك الفرضية، بحيث أن للجمعيات دور في في تأطير المراهقين.

أما الفرضية الجزئية الثالثة والتي تدور حول دور الجمعيات الرياضية الجوارية في ترشيد المراهقين نحو ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية، فقد توصلنا من خلال المحور الثالث إلى إثباتها وبيان الدور الذي تلعبه في ذلك.

أما الفرضية الجزئية الرابعة والتي تتمحور حول دور التسيير الاستراتيجي للجمعيات الرياضية الجوارية في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية، فلقد أثبتنا السبل والطرق التي تنتهجها الجمعيات الرياضية الجوارية من أجل ترقية ممارسة الأنشطة البدنية بصفة عامة من خلال برامجها، ومن خلال الإمكانيات التي يجب أن تتوفر لديها، وأثبتنا بذلك أن لها دورا مهما في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية، وبذلك صدق الفرضية الجزئية الرابعة.

وعليه ومن خلال النتائج المتوصل إليها من خلال المحاور الأربعة، وبعد إثباتنا لصحة كل الفرضيات الجزئية فيمكننا القول بإثبات وصدق الفرضية العامة

والتي تنص على أن للجمعيات الرياضية الجوارية دور في ترقية ممارسة الأنشطة البدنية الترفيهية لدى المراهقين 16-18 سنة والتي تمثل مرحلة المراهقة المتوسطة.

❖ الاقتراحات والفرضيات المستقبلية:

- ✓ إعطاء الأهمية اللازمة للجمعيات الرياضية الجوارية نظرا للدور الذي تلعبه في تأطير الشباب.
- ✓ إن الاهتمام بالجمعيات الرياضية الجوارية سيوفر على الدولة عناء الإنفاق في مجال مكافحة الجريمة والآفات الاجتماعية، فهي تسعى إلى استثمار أوقات الشباب، وإبعادهم عن ميادين الانحراف.
- ✓ توفير الإمكانيات اللازمة سواء المادية أو القاعدية من مركبات جوارية وقاعات متعددة الرياضات التي تسمح للجمعيات بتطبيق برامجها بشكل منطقي وناجح.
- ✓ توفير المرافق الترفيهية لصالح فئات المجتمع بما فيها فئة المراهقين، وهذا لامتنعاص الحجم الكبير من أوقات الفراغ وتوجيهها الوجهة السليمة.
- ✓ إعطاء الأنشطة البدنية الترفيهية الاهتمام الذي تستحقه نظرا لكونها ضمن منظومة الأنشطة الترفيهية سواء في المدارس أو الثانويات أو الجامعات، وتوفير الوسائل والمؤطرين، واستحداث برامج وطنية متعلقة بالأنشطة البدنية الترفيهية.
- ✓ الاهتمام بريضة الأحياء، وإعادة النظر في خريطة بناء الأحياء، وذلك من خلال إدراج المساحات الخضراء ومساحات اللعب وممارسة الرياضة والترفيه ضمن المخططات والمشاريع.
- ✓ الاهتمام بفئة المراهقين والتكفل بمطالبها، لأن مستقبل البلاد يرجع إلى مدى اهتمام السلطات بفئة المراهقين والشباب.

✓ الاهتمام بالجمعيات الرياضية الجوارية هو اهتمام بمستقبل الرياضة الوطنية، لأنها اللبنة الأولى في الرياضة الوطنية، ولأن الجمعيات هي ميدان خصب لاكتشاف المواهب، التي ستصبح مستقبلا ممثلة وسفيرة الوطن في المحافل الدولية والعالمية.

✓ وعليه فعلى الباحثين دراسة متغيرات أخرى يمكن أن تؤثر في الموضوع محل البحث

❖ هوامش البحث

- (1) Dominique De Guibert, **Créer, Animer, Gérer, Dissoudre Une Association**, éd Maxima, Paris 2007, P:15.
- (2) محمد محمد الأفندي: علم النفس الرياضي والأسس النفسية للتربية البدنية، عالم الكتاب، القاهرة، 1965، ص444.
- (3) محمد عبد المنعم عبد العاطي: قياس اتجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية نحو ممارسة الترويح الرياضي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2005م، ص ص: 43-44.
- (4) كحيلي كمال: الاتجاهات النفسية نحو مفهوم التربية البدنية والرياضية لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط، رسالة ماجستير، معهد التربية البدنية والرياضية، جامعة الجزائر، 2009.
- (5) عمارنة سمير: انعكاسات ممارسة النشاط الرياضي الترويحي على أداء وفعالية الشرطي في الجزائر، رسالة ماجستير، معهد التربية البدنية والرياضية، جامعة الجزائر، 2010.
- (6) محمد حسن علاوي، اسامه راتب: البحث العلمي في التربية الرياضية وعلم النفس الرياضي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 52.
- (7) ذوقات عوبيدات وآخرون: البحث العلمي-مفهومه أدواته وأساليبه، ط7، دار الفكر للطباعة والنشر، الاردن، 1996م، ص ص: 99-125.
- (8) محمد عبيدات: منهجية البحث العلمي، القواعد، والمراحل ، والتطبيقات، ط2، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، 1996، ص73.
- (9) يوسف تمار: تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين، دار النشر والتوزيع للمنشورات الجامعية، الجزائر، 2007، ص73.
- (10) أنور محمد رحيم: مجلة علوم التربية الرياضية، جامعة بابل، العدد الثاني، المجلد الخامس، 2006، ص53.

الإستراتيجية التنظيمية للرياضة في الجزائر بين النظرية و التطبيق

الأستاذ: بن عميروش سليمان

قسم التربية البدنية و الرياضية/ جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر

ملخص:

تتناول هذه الدراسة معرفة مدى اعتماد الاتحادات الرياضية الجزائرية على إستراتيجية رياضية واضحة قابلة للتنفيذ و التطبيق على أرض الواقع، آخذا بعين الاعتبار مدى كفاءة و كفاية الموارد البشرية المسيرة لهذه الاتحادات، إلى جانب كذلك معرفة مدى كفاية الموارد المالية المخصصة من أجل تحقيق الأهداف المسطرة لهذه الاتحادات الرياضية.

Résumé :

Le but de cette étude est de connaitre et de traiter le sujet de la stratégie sportive appliquée par les fédérations sportives algérienne et sa réalisation sur le terrain, tout en prenant en considération la compétence et la suffisance des ressources humaines employées par ces fédérations, ainsi que la suffisance des ressources financières pour la réalisation des objectifs tracés par ces fédérations sportives.

مقدمة:

مما لا شك فيه أن المجتمعات ما هي إلا انساق مكونة من تنظيمات أو مؤسسات اجتماعية ، باعتبارها تتكون من مجموعة من الأفراد و الجماعات التي تسعى إلى تحقيق أهدافها ضمن العمل الاستراتيجي الضامن لمبدأ البقاء و الاستمرار.

وتمارس الإدارة دورا هاما في كافة الأنشطة التي تجري داخل هذه الأنساق الاجتماعية وهذا يبرز دور الدولة في المجتمع من خلال عملية إدارتها و علاقتها التنظيمية بالأفراد و الجماعات ، باعتبار أن الدولة هي التنظيم الرسمي الأكبر التي تؤثر بصورة مباشرة وغير مباشرة في نمط الحياة العامة داخل المجتمع وكذا داخل مختلف المنظمات المكونة للنسق الاجتماعي .

وتسعى المنظمات بمختلف أنواعها إلى تحقيق أهداف محددة ويأتي من خلال الاستثمار في الموارد المادية و الموارد البشرية المتاحة لديها ، حيث تقوم الإدارة بمجموعة من العمليات التنظيمية من التخطيط و التنظيم و الرقابة و التوجيه وتنسيق بأداء هذه المهمة الأساسية من أجل بلوغ الأهداف المقصودة وتحقيق الكفاءة والفعالية التنظيمية. ولعل المنظمة الرياضية هي أحد هذه المنظمات التي تسعى جاهدة إلى رفع وتيرة العمل و الوصول إلى تحقيق النتائج وبذل الجهود من خلال تكييف الموارد المختلفة المتاحة لها مع الأهداف المسطرة. وتجلى اهتمام هذه المنظمات الرياضية أو بما يسمى الاتحادات الرياضية من خلال الاهتمام بالإدارة الرياضية من خلال أبعادها الإستراتيجية و التنظيمية للرياضة، وكذا أيضا من خلال الاهتمام بعنصر الموارد أو الإمكانيات المتاحة لهذه المنظمات أو الاتحادات الرياضية، فدراسة الإدارة الرياضية في ظل تطبيق الاتجاه الاستراتيجي ودوره في تنمية الموارد المادية و البشرية يعتبر عنصرا هاما في دفع عجلة التقدم للوصول إلى الأهداف المرجوة لهذه المنضمت أو الاتحادات الرياضية وانطلاقا من هذا الطرح نسعى في بحثنا هذا إلى طرح التساؤلات التالية:

- ✓ هل الإستراتيجية الرياضية الموجودة حاليا تعمل على تحقيق أهداف هذه الاتحادات الرياضية في الواقع ؟.
- ✓ هل الموارد البشرية المتوفرة في تسيير الاتحادات الرياضية مؤهلة وكافية لتحقيق أهداف هذه الاتحادات.
- ✓ هل الموارد المالية كافية حتى تستطيع الاتحادات الرياضية تحقيق أهدافها المسطرة .

➤ **فرضيات الدراسة :**

1. الإستراتيجية الرياضية الموجودة حاليا لا تعمل على تحقيق أهداف الاتحادات الرياضية في الواقع .
2. الموارد البشرية المتوفرة في تسيير الاتحادات الرياضية غير مؤهلة وغير كافية لتحقيق أهداف هذه الاتحادات .
3. نقص الموارد المالية لا يساعد الاتحادات الرياضية على تحقيق أهدافها المسطرة.

➤ **أهداف الدراسة:**

1. معرفة مدى اهتمام الاتحادات الرياضية الجزائرية للتخطيط لإستراتيجية تنظيميه رياضية.
2. معرفة مدى عمل هذه الاتحادات الرياضية على تحقيق إستراتيجيتها في الميدان.
3. معرفة أهم العوائق والأسباب التي تعيق هذه الاتحادات الرياضية من أجل بلوغ أهدافها.
4. معرفة مدى كفاءة وكفاية الموارد البشرية المسيرة لهذه الاتحادات الرياضية.

5. معرفة مدى كفاية الموارد المالية لهذه الاتحادات الرياضية لتحقيق أهدافها المسطرة في الميدان .

1. تحديد مفاهيم الدراسة

1.1 مفهوم الإستراتيجية

من الناحية اللغوية تعني فن الإعداد و الترتيب للوسائل التي يجب الأخذ بها في قيادة الجيوش ⁽¹⁾ .

يعرفها قاموس (Le petit Larousse, Ed.2001) : " الإستراتيجية عبارة عن فن تنسيق أفعال القوى العسكرية ، السياسية ، الاقتصادية والأخلاقية المشتركة في سير الحرب أو التحضير للدفاع عن الأمة أو تحالف " ⁽²⁾ .

ويرجع أصل كلمة إستراتيجية إلى الكلمة اليونانية « Stratègos » وتعني فنون الحرب وإدارة المعارك ⁽³⁾ .

وكما يعرفها كل من (حسن احمد الشافعي و عبد الرحمن أحمد سيار) على أن الاستراتيجية هي : "الأهداف العامة التي تسعى المؤسسة إلى تحقيقها على المدى الطويل" ⁽⁴⁾ .

وكما يعرفها أيضا (عبد العزيز صالح حبتور) أن الإستراتيجية ترتبط بكيفية تحقيق المنظمة لذاتها أو لأحلامها وطموحاتها في المستقبل ⁽⁵⁾ .

إذن ومن خلال هذه التعاريف فالإستراتيجية تتمثل في كيفية اختيار وتخطيط المنظمات والهيئات الرياضية لأهدافها والقيام بتحقيقها في الواقع بتوظيف الوسائل المختلفة.

2.1 التخطيط الاستراتيجي:

ويذكر (سيد هواري) أن التخطيط الاستراتيجي هو : "العملية الإدارية التي يتم فيها تحديد الأولويات وتكوين البرامج ورسم السياسات التي تحكم سلوك

المؤسسة واستخدام الموارد المختلفة المادية والبشرية لتحقيق أهدافها، ويتطلب معلومات خاصة بالبيئة من خارج المؤسسة⁽⁶⁾.

إذن فالتخطيط الاستراتيجي يؤدي دوره في تأمل الأهداف ومنع ظهور التعارض بين الأهداف الفرعية لتؤدي إلى التركيز على الأهداف العامة للمؤسسات الرياضية وتحقيقها وإعداد كوادر الإدارة العليا من خلال تنمية الفكر الشامل لهم ورؤيتهم لكيفية خلق التكامل بين أهداف وحداتهم الفرعية مع أهداف المؤسسة ككل ويهدف إلى المساعدة في تحقيق التفاعل الجيد بين المؤسسة و البيئة المحيطة من خلال استقطاب الكفاءات المسيرة من جهة، وجلب أكبر عدد من الشرائح الاجتماعية لها، بالإضافة إلى جلب الموردين والمتعاملين في عصر التغيرات العالمية والمحلية الحاصلة في المجتمعات .

2. الاتحادات الرياضية

1.2 تعريف الاتحادات الرياضية

هي الهيئة التي تتكون من أعضاء يتم انتخابهم بطريقة ديمقراطية من الهيئة العامة للاتحاد، وتعتبر الهيئة الإدارية السلطة التنفيذية لسياسات وأهداف الاتحاد⁽⁷⁾.

ويعرفها كذلك (رضوان علي إسماعيل محمد) على أنها: "هيئة أهلية تطوعية تعني بشؤون لعبة رياضية معينة، وتعمل على تنظيمها وتوسيع قاعدتها و العمل على الارتقاء بالمستوى الفني للعبة"⁽⁸⁾.

الاتحادات أو الفيدراليات الرياضية هي جمعيات وطنية متخصصة أو متعددة الاختصاصات ،تضم إليها الرابطات و الجمعيات الولائية والوطنية ودورها ربط وتنسيق رقعة نشاطات الرابطات عبر الوطن⁽⁹⁾.

إذن فالاتحادات الرياضية تسهر على السير الحسن للأنشطة الرياضية المختلفة وكذا القيام بتوسيع الممارسة الرياضية في أوساط أفراد المجتمع .

2.2 أهداف الاتحادات الرياضية

- ✓ وضع (عصام بدوي) مجمل أهداف الاتحادات الرياضية في النقاط التالية :
وضع السياسة العامة لنشر اللعبة ورفع مستواها.
- ✓ إدارة شؤون اللعبة من جميع النواحي.
- ✓ وضع الأسس و المبادئ لتنظيم شؤون التدريب.
- ✓ تظم البطولات العامة وإعداد الفرق الأهلية لتمثيل الدولة خارجيا ومنح الألقاب والجوائز في المسابقات.
- ✓ اكتشاف المواهب وتجميعها.
- ✓ تنظيم تریصات تكوينية لفائدة الشباب ومنظمي الرابطات والجمعيات الولائية.

3. الموارد البشرية:

1.3 مفهوم إدارة الموارد البشرية

ويمكن تعريفها على أنها : " الإدارة المسؤولة عن زيادة فاعلية الموارد البشرية في المؤسسة لتحقيق أهداف الفرد والمؤسسة والمجتمع" (10).

وتهتم إدارة الموارد البشرية بصورة جوهرية أولا بإيجاد الشخص المناسب للوظيفة المناسبة في الوقت المناسب، وثانيا تعني إدارة الموارد البشرية بضمان توفير قوة عاملة مدربة على نحو جيد (11).

وكما يمكن تعريف إدارة الموارد البشرية بأنها هي الإدارة المسؤولة عن تمكين المؤسسة في بناء مزاياها الإستراتيجية والمحافظة عليها وتطويرها من خلال:

- ✓ تخطيط واقعي للموارد البشرية بالمؤسسة الرياضية؛
- ✓ توظيف ملائم للموارد البشرية؛

✓ تدريب دقيق للموارد البشرية؛

✓ المتابعة المستمرة لتطوير الموارد البشرية في المؤسسة⁽¹²⁾.

4. الإجراءات المنهجية للدراسة:

1.4 المنهج المتبع :

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي، بحيث يعتبر من أكثر مناهج البحث استعمالا وخاصة في مجال البحوث التربوية، النفسية الاجتماعية و الرياضية.

2.4 مجتمع البحث:

يتمثل مجتمع بحثنا في الاتحادات الرياضية الجزائرية و البالغ عدد 43 اتحادية ، وبعدها إجمالي لأعضاء هذه الاتحادات بـ430 عضوا.

1.2.4 عينة البحث :تشتمل عينة الدراسة على 60عضوا يمثلون 18 اتحادية رياضية. سواء اتحادات الرياضات الجماعية و الفردية.

5.أداة البحث:لجمع البيانات و المعلومات حول موضوع الدراسة ثم الاعتماد على أداة الاستبيان وهي مقسمة إلى ثلاثة محاور. وذلك حسب الفرضيات المطروحة .

6.الأدوات الإحصائية المستعملة :

تحليل معطيات ونتائج الدراسة تم بالاعتماد على الأدوات الإحصائية التالية :

✓ النسبة المئوية: اعتمدنا في استخراج النسب المئوية وتحليل المعطيات

العددية على القاعدة الثلاثية:النسبة المئوية = $\frac{\text{عدد التكرارات} \times 100}{\text{عدد العينة}}$

عدد العينة .

✓ كا²(KHI-DEUX) وهذا لمعرفة ماهي البيانات التي لها دلالة إحصائية وماهي البيانات التي ليست لها دلالة إحصائية.

$$\text{كا}^2 = \frac{\text{مج (ك ش - ك م)}}{2}$$

ك م

ك ش: التكرار المشاهد

ك م: التكرار المتوقع

7. عرض ومناقشة النتائج :

1.7 عرض و مناقشة نتائج الفرضية الأولى

الجدول رقم (1) يمثل إجابات أفراد عينة الدراسة على المحور الأول

ر قم	العبارات	النسبة المئوية				كا ²
		نعم	%	لا	%	
1	هل الإستراتيجية الرياضية المتبعة في الاتحادية حاليا تعمل على تحقيق أهدافها في الواقع ؟	45	75	15	25	15
2	هل الإستراتيجية الرياضية المتبعة في الاتحادية تخضع لعملية التعديل؟	55	92	05	08	41.66
3	هل هناك متابعة من طرف	45	75	15	25	15

					الاتحادية أثناء تطبيق إستراتيجيتها في الميدان ؟	
6.66	33	20	67	40	هل الأهداف المسطرة داخل الاتحادية واضحة لكل أعضاء الاتحادية ؟	4
0.26	47	28	53	32	هل الإستراتيجية الرياضية المتبعة من طرف الاتحادية مرنة وسهلة التطبيق ؟	5
17.06	23	14	77	46	هل الإستراتيجية الرياضية المتبعة داخلا الاتحادية تعتمد على تخطيط مسبق لها ؟	6
15	25	15	75	45	هل الإستراتيجية الرياضية المتبعة داخل الاتحادية واضحة ؟	7

كأ الجدولية عند مستوى دلالة $(0.05) = 3.84$

يتضح لنا في الجدول رقم (1) والمتعلق بالمحور الأول للفرضية الأولى أن إجابات أعضاء الاتحادات الرياضية كانت ذات دلالة إحصائية في مجمل الأسئلة ماعدا السؤال رقم (5)،

وهذا يبين أن هذه الاتحادات تعتمد على إستراتيجية رياضية وتعمل على تحقيق الأهداف المسطرة في الميدان، وهذا مائتين في الإجابة على العبارات رقم (1،2،6)، بحيث أجمعت نسبة 75 % من أفراد عينة الدراسة في السؤال رقم (1) على أن الإستراتيجية المتبعة الاتحادية تعمل على تحقيق أهدافها في الواقع وذلك رغم الصعوبة و عدم المرونة في التطبيق وهذا ما نلاحظه في السؤال رقم (5). كما أنه أيضا في السؤال رقم (6) يبين أن الاتحادات الرياضية تعتمد على تخطيط مسبق لإستراتيجيتها، بحيث بلغت نسبة الإجابة على هذا السؤال 77% من أفراد عينة الدراسة. و هذا ما يوكده (عبد الحميد شرف، 1997) أنه يجب أن نضع في الاعتبار أن الهدف أولا و أخيرا المعيار الأمثل الذي يستخدم في عمليات المتابعة و التقويم، لذلك يجب أن يكون هدفا واقعيًا واضحًا و محددًا، حيث أنه في حالة عدم وجود وضوح الهدف أو واقعيته ينتج عن ذلك فشل في التخطيط بالكامل⁽¹³⁾.

2.7 عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية

الجدول رقم (2) يمثل إجابات أفراد عينة الدراسة على المحور الثاني

رقم	العبارات	النسبة المئوية			نعم	لا	%	كا ²
		%	%	%				
8	هل الموارد البشرية المتوفرة في تسيير الاتحادية مؤهلة؟	42	70	18	30	9.6		
9	هل هناك توافق بين أعضاء الاتحادية في تحقيق أهدافها؟	42	70	18	30	9.6		

24.06	82	49	18	11	هل الموارد البشرية المتوفرة حاليا كافية لتحقيق أهداف الاتحادية؟	10
19.26	22	13	78	47	هل هناك تعاون بين أعضاء الاتحادية لتحقيق الأهداف المسطرة؟	11
1.06	57	34	43	26	هل تعتمد الاتحادية على المتخصصين في الإدارة الرياضية لتسيير الاتحادية؟	12
6.66	67	40	33	20	هل هناك عملية رسكلة لأعضاء الاتحادية من اجل رفع مستواهم؟	13
0.26	47	28	53	32	هل تستعينون بالكفاءات الخارجية في تسيير الاتحادية؟	14
2.4	40	24	60	36	هل هناك تحكم لأعضاء الاتحادية في استعمال الوسائل التكنولوجية؟	15

ك² الجدولية عند مستوى دلالة (0.05)=3.84.

أما فيما يخص تحليل إجابات أفراد عينة الدراسة حول المحور الثاني و المتعلق بالفرضية الثانية نجد أن أهم ما يميز نتائج هذا المحور هو عدم كفاية الموارد البشرية المتوفرة حاليا في تسيير الاتحادات الرياضية وهذا ما نلاحظه في إجابات أفراد عينة الدراسة حول السؤال رقم (10) بحيث أجمعت نسبة 82% على عدم كفاية الموارد البشرية و بالتالي العمل على زيادتها، إلا أن الموارد البشرية المتوفرة

مؤهلة وهذا ما نلاحظه في الإجابة على السؤال رقم (8) بحيث أجمعت نسبة 70% من أفراد عينة الدراسة على أنها مؤهلة في تسيير شؤون هذه الاتحادات الرياضية . وهذا عكس ما توصلت إليه دراسة (عمر نصر الله قشطة، 2004) أن الموارد البشرية ضعيفة و بالتالي عدم قدرة الاتحادات الرياضية على تحقيق أهدافها⁽¹⁴⁾.

3.7 عرض و مناقشة نتائج المحور الثالث

الجدول رقم (3): يمثل إجابات أفراد عينة الدراسة على المحور الثالث .

رقم	العبارات	النسبة المئوية			
		نعم	%	لا	%
16	هل الموارد المالية المتوفرة حاليا كافية لتحقيق أهداف الاتحادية ؟	10	17	50	83
17	هل هناك زيادة في ميزانية الاتحادية من سنة إلى أخرى ؟	43	72	17	28
18	هل تقترحون ميزانية محددة لأنشطة الاتحادية؟	52	87	08	13
19	هل تقومون بإعداد ميزانيات على المدى الطويل؟	25	42	35	58

26.66	83	50	17	10	هل الموارد المالية المخصصة للاتحادية كفيلة لتحقيق الإستراتيجية الموضوعية في الميدان ؟	20
-------	----	----	----	----	---	----

كالتجدرولية عند مستوى دلالة (0.05)=3.84

وفيما يتعلق بالمحور الثالث والخاص بالفرضية الثالثة نجد أن أهم ما يميز نتائج هذا المحور هو عدم كفاية الموارد المالية المتوفرة والمخصصة لهذه الاتحادات الرياضية، وهذا ما نلاحظه في الإجابة على السؤالين رقم (16) و(20)، بحيث أجمعت نسبة 83% من أفراد عينة الدراسة في السؤال رقم (16) على عدم كفاية الموارد المالية لهذه الاتحادات لتحقيق أهدافها ، وكذلك في السؤال رقم (20) أين بلغت نسبة 83% كذلك من أفراد عينة الدراسة أجمعت على أن الموارد المالية المخصصة لهذه الاتحادات الرياضية ليست كفيلة لتحقيق الإستراتيجية الموضوعية في الميدان وهذا رغم الزيادة في الميزانية من سنة إلى أخرى، حيث يبين السؤال رقم (17) ذلك بنسبة 72%. إذن فالمورد المالي يعد أساسي وضروري لأي مؤسسة أو منظمة لتحقيق أهدافها وإستراتيجيتها في الميدان. وهذا ما يشير إليه (أحمد ماهر، 1995) أن: الإمكانيات هي خطوة تحديد الأعمال المطلوبة، وتعتبر نقطة حاسمة في عملية التخطيط، لأنه يترتب عليها تحديد الموارد والمستلزمات المختلفة اللازمة لوضع تلك الأعمال موضع التنفيذ، و ذلك بالمقارنة بين الإمكانيات المطلوبة و الإمكانيات المتاحة يمكن تحديد النتائج الواجب الحصول عليها أثناء فترة الخطة⁽¹⁵⁾.

الخاتمة :

تبين لنا من خلال نتائج هذه الدراسة على أن الاتحادات الرياضية تعتمد على تخطيط استراتيجي مسبق يتمثل في التسطير الجيد للأهداف و العمل على تحقيقها في الواقع وذلك رغم الصعوبات التي تتلقاها هذه الاتحادات في تطبيق إستراتيجيتها في الميدان. كما أن العنصر البشري المتوفر داخل هذه الاتحادات الرياضية يتميز بالكفاءة في التسيير والتعاون مع مختلف الأعضاء على تحقيق أهداف هذه الاتحادات وذلك رغم قلة هذه الموارد البشرية وكذلك نقص الموارد المالية التي تعتبر ركيزة أساسية في أي منظمة أو مؤسسة من أجل بلوغ أهدافها المسطرة .

❖ هوامش البحث

- (1) مروان عبد المجيد إبراهيم: إستراتيجية الرياضة، دار العراق، الأردن، 2009، ص 21.
- (2) le Petit Larousse, Ed, 2001.
- (3) مروان عبد المجيد إبراهيم: مرجع سبق ذكره. ص 20.
- (4) حسن أحمد الشافعي: عبد الرحمان أحمد سيار، إستراتيجية للإحراق الرياضي بالمؤسسات الرياضية، ط 1 دار الوفاء، الإسكندرية، 2009، ص 10.
- (5) عبد العزيز صالح بن حبتور: الإدارة الإستراتيجية، ط 2، دار المسيرة، عمان، 2007، ص 30.
- (6) سيد هواري: الإدارة، مكتبة عين شمس، مصر، 2001، ص 35.
- (7) مروان عبد المجيد إبراهيم: مرجع سبق ذكره ص 160.
- (8) رضوان علي إسماعيل محمد: التخطيط الاستراتيجي ومعوقاته في الاتحادات الرياضية (دراسة مقارنة بين الأردن واليمن)، أطروحة لدكتوراه الجامعة الأردنية، 2009، ص 9.
- (9) [www. wajst 26.123/news articles/20 le structure milieu jeune. html](http://www.wajst 26.123/news articles/20 le structure milieu jeune. html)
- (10) حسن أحمد الشافعي: التخطيط للقوة العاملة الموارد البشرية، في المؤسسات الرياضية، دار الوفاء، الإسكندرية، 2003، ص 11.
- (11) روسيل هوبي، آرون سميث وآخرون ، إعداد قسم الترجمة بدا الفاروق :إدارة الرياضة مبادئ تطبيقات، دار الفاروق، 2010، ص 153.
- (12) حسن أحمد الشافعي، مرجع سبق ذكره، ص 11.
- (13) عمر نصر الله قشطة: التخطيط الاستراتيجي للاتحادات الرياضية الفلسطينية لقطاع البطولة، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2004، ص 100.
- (14) عمر نصر الله قشطة، مرجع سبق ذكره، ص 110.
- (15) أحمد ماهر: الإدارة بناء المهارات، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 1995، ص 102.

النشاط الرياضي والبدني المكيف لذوي الإعاقة البدنية

الأستاذة: نجاة ساسي هادف

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر

الملخص:

ذوي الاحتياجات الخاصة بما فيهم أصحاب الإعاقة البدنية، بحاجة إلى النشاطات الرياضية والبدنية لما لها من دور فعال في تنمية قدراتهم والمساهمة في علاجهم من مختلف النواحي وبالأخص الجسمية، لذا يجدر الاهتمام بهذا الجانب وتدعيمه بكل الإمكانيات المتاحة.

Résumé :

Avec des besoins specious, y compris les personnes handicapées physiques dans le besoin d'activités sportives et physiques en raison de leur rôle actif dans le développement de leurs capacités et contribuer au traitement de divers aspects, en particulier les physiques, il devrait donc être d'intérêt pour cet aspect et de renforcer toutes les possibilités disponibles

الحياة الطبيعية حق لكل فرد مهما كانت حالته ، وإن كل فرد ميسر لما خلق من أجله ، ولكل إنسان الحق في أن يتمتع بإنسانيته ، وأن يجيى حياة كريمة ، فالفرد المعاق هو قبل أن يكون معاقا هو إنسان ، له حقوق وعليه واجبات ، شأنه في ذلك شأن أي فرد عادي يعيش في مجتمع ويتمتع بجزية إجتماعية ، ويحترم القيم الإنسانية والإجتماعية لأفراده ، وأن الإهتمام بالأفراد المعاقين يعتبر من المؤشرات الأساسية التي تعبر عن تطور المجتمع الإنساني.

إن الأغلبية من المجتمع مازالوا يعتقدون أن الإعاقة مشكلة فردية أحادية الجانب تخص المعاق وأسرتة فقط ، وأنهم ينظرون إليهم نظرة دونية ، في نظرهم هم ليسوا سوى أفراد لهم خصائص سلبية ولا يستحقون بذل الجهد لمساعدتهم لأنه لا فائدة من ذلك، فالواقع المعاش يجسد لنا صور قاسية وظالمة في حق المعاق الذي يرفض التعامل معه بحجة أنه في نظرهم مذنب وكأنه ارتكب جرما ما.

لذلك تأخذ الرياضة في حياة المعاق جزء هاما لما لها من تأثير نفسي إيجابي ، من خلالها يمكن أن يتغلب على الشعور بالنقص ، ويكشف من خلالها على القدرات الخفية لديه، مما يزيد لديه من همة وإرادة يندھش لها حتى الأسوياء، نخص الحديث عن ذوي الإعاقة البدنية الذين يحتاجون لمتطلبات تخصهم دون غيرهم من الأفراد العاديين، فهم بحاجة إلى رعاية في مختلف المجالات لأنهم يعانون من نقائص تختلف من فرد إلى آخر، فهذه الرعاية يمكن تعويض البعض من هذه النقائص لا نقول جميعها، فلهؤلاء الأفراد حقوق على المجتمعات،الذي يتحتم عليه الاهتمام بهم وتوفير لهم الظروف المناسبة لحالاتهم وإلا كان ذلك خيانة منهم، وتقديم المساعدة لهم من خلال فتح المجال لهم للدخول في مجال النشاط البدني والرياضي لأنه بالفعل يترك نتائج إيجابية على هذا الفرد وفي مختلف المجالات، وعلى ضوء ما تقدم يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤل الرئيسي التالي:

هل للنشاط البدني والرياضي المكيف دور لدى ذوي الإعاقة البدنية؟
ويندرج تحت هذا التساؤل التساؤلات الفرعية التالية:

1. هل يساهم النشاط البدني والرياضي المكيف في رفع الروح المعنوية لذوي الإعاقة البدنية؟

2. هل يساهم النشاط البدني والرياضي المكيف في تنمية القدرات البدنية لذوي الإعاقة البدنية؟

3. هل يساهم النشاط البدني والرياضي المكيف في تهيئة ذوي الإعاقة البدنية للعمل المناسب؟.

انطلاقاً من تحديد الإشكالية التي تم التعرض إليها تنطلق الدراسة الراهنة من الفرضيات التالية:

لنشاط البدني والرياضي المكيف دور لدى ذوي الإعاقة البدنية؟
ويندرج تحت الفرضية الفرضيات الفرعية التالية:

1. يساهم النشاط البدني والرياضي في رفع الروح المعنوية لذوي الإعاقة البدنية.

2. يساهم النشاط البدني والرياضي المكيف في تنمية القدرات البدنية لذوي الإعاقة البدنية.

3. يساهم النشاط البدني والرياضي المكيف في تهيئة ذوي الإعاقة البدنية للعمل المناسب.

انطلاقاً من هذا يمكن تحديد مايلي:

✓ معنى كل من النشاط البدني والرياضي المكيف والإعاقة البدنية.

✓ تصنيفات ذوي الإعاقة البدنية مع تعداد احتياجاتها الأساسية.

✓ أنواع النشاط الرياضي والبدني المكيف لذوي الإعاقة البدنية.

✓ دوافع النشاط الرياضي والبدني المكيف.

أولاً: المفاهيم الأساسية:

1. النشاط البدني والرياضي:

أ. النشاط: هو وسيلة تربوية تتضمن ممارسات موجهة يتم من خلالها إشباع حاجات الفرد ودوافعه وذلك من خلال تهيئة المرافق التي يقابلها الفرد في حياته اليومية⁽¹⁾.

ب. النشاط البدني:

- تعريفه أدبيا: تستخدم كلمة النشاط البدني كتعبير يقصد به المجال الكلي والإجمالي لحركة الإنسان وكذلك عملية التدريب والتنشيط والتربص في مقابل الكسل والوهن والخمول.

- تعريفه الأنثربولوجي: وفي الواقع فإن النشاط البدني بمفهومه العريض هو تعبير شامل لكل ألوان النشاطات البدنية التي يقوم بها الإنسان، والتي يستخدم فيها بدنه بشكل عام، وهو مفهوم أنثربولوجي أكثر منه اجتماعي، لأنه جزء مكمل ومطهر رئيسي لمختلف الجوانب الثقافية والنفسية والاجتماعية لبني الإنسان.

- تعريف لارسون: ولقد استخدم بعض العلماء تعبير النشاط البدني على اعتبار أنه النشاط الرئيسي المشتغل على ألوان وأشكال وأثر الثقافة البدنية للإنسان، ومن بين هؤلاء العلماء يبرز لارسون الذي اعتبر النشاط البدني بمنزله على الإطلاق في مؤلفاته واعتبر المجال البدني التعبير المتطور تاريخيا، ومن التغيرات الأخرى كالتدريب البدني الثقافة البدنية، وهي تعبيرات مازالت تستخدم حتى الآن ولكن المضامين مختلفة⁽²⁾.

من خلال هذا التعريف يتضح لنا أن النشاط البدني عبارة عن مجموعة من الأنشطة والحركات البدنية التي يقوم بها الإنسان في حياته اليومية وهو عبارة عن مفهوم أنثربولوجي أكثر منه اجتماعي، ومن هذا المفهوم الواسع للنشاط البدني وعبر العصور انبثقت منه مختلف التنظيمات الفرعية الأخرى وأهمها الثقافة البدنية والتدريب البدني وغيرها.

ومنه نستنتج أن النشاط البدني هو تعبير لمجموع الحركات والأنشطة البدنية التي يقوم بها الإنسان منذ القدم.

ج. النشاط البدني والرياضي:

يعتبر النشاط البدني أحد الأشكال الراقية الظاهرة الحركة لدى الإنسان، وهو الأكثر مهارة من الأشكال الأخرى للنشاط البدني، ويعرفه ماتيفيف matfif أنه: نشاط شكل خاص جوهره المنافسة المنظمة من أجل قياس القدرات وضمان أقصى تحديد لها وبذلك فلأن ما يميز النشاط البدني الرياضي بأنه التدريب البدني بهدف تحقيق أفضل نتيجة ممكنة في المنافسة ليس من أجل الفرد الرياضي فقط وإنما من أجل النشاط الرياضي في حد ذاته وتضيف طابعا اجتماعيا ضروريا وذلك لأن النشاط البدني نتاج ثقافي للطبيعة التنافسية للإنسان من حيث أنه كائن إجماعي ثقافي.

د. النشاط البدني والرياضي المكيف كمفهوم جديد في طريق التطور و يعرف فقط لدى بعض المؤسسات المتخصصة بالإعاقة. يعرف كذلك عند الآخرين ببعض التسميات و أهمها: "الرياضة"، "التربية البدنية"، "التعبير الحركي أو الجسدي"، "الحركية أو التربية الحركية"، "الترفيه"، "اللعب التربوي"، "التربية النفسية الحركية"، "التربية الحسية"، الخ. كل هذه التسميات تعنى بالنسبة للمتدخلين بالقطاع المتخصص، أنها مجرد نشاطات ترفيهية أو انشغالية و هذا بعيد كل البعد عن الواقع مما يسمح بخلط للمفاهيم. يجب أن نتفق على مفهوم مشترك واحد و هو النشاط البدني المكيف.

النشاط البدني هو مفهوم شامل و تتفرع منه مفاهيم جزئية موجهة إلى الفئات المستفيدة في الإطار المناسب⁽³⁾.

2. الإعاقة البدنية:

أ. الإعاقة:

"يقصد بها الضرر الذي يصيب أحد الأشخاص بفعل المرض أو بفعل حادث مادي ينتج عنه اعتلال بأحد الأعضاء أو عجز كلي أو جزئي يحول دون قيام المعاق أو المعوق بأداء دوره الطبيعي⁽⁴⁾.

الإعاقة عند عبد المنصب حسن رشوان" ذلك النقص أو القصور أو العلة المزمنة التي تؤثر على قدرات الشخص فيصير المعوقين سواء كانت الإعاقة جسمية أو حسية أو عقلية أو اجتماعية، الأمر الذي يحول بين الفرد والاستفادة الكاملة من الخبرات التعليمية أو المهنية التي يستطيع الفرد العادي الاستفادة منها⁽⁵⁾.

فالإعاقة في هذا التعريف تعني ذلك النقص الذي يصيب الشخص بسبب له إعاقة وهناك أنواع للإعاقات هناك الجسمية أو الحسية أو العقلية وغيرها، مما يجد من قدرات الشخص في الاستفادة من الخبرات التعليمية بصفة كاملة.

والإعاقة تشير "بأنها السبب الرئيسي في قلة الحركة وتدني مستوى اللياقة البدنية والوظيفية لذوي الاحتياجات الخاصة⁽⁶⁾.

ب. الإعاقة البدنية:

"هي كل ما يتصل بالعجز في وظيفة أعضاء الجسم سواء كانت أعضاء متصلة بالحركة، كالأطراف أو أعضاء متصلة بعملية الحياة البيولوجية، كالقلب والرئتين وما أشبه، والمقصود بالإعاقة الحسية ليس حالات الأمراض العارضة التي لا يترتب عليها عجزا حقيقيا في قدرة الفرد الطبيعية علي أداء دوره الاجتماعي، ولكن المقصود بها الإصابة الجسمية التي لها صفة الدوام والتي تؤثر تأثيرا حيويا علي ممارسة الفرد لحياته الطبيعية سواء كان تأثيرا تاما أو نسبيا⁽⁷⁾.

من خلال هذا التعريف نلاحظ بأن الإعاقة البدنية عبارة عن عجز بنوعيه، أوله عجز في وظيفة أعضاء الجسم كالرجلين أو اليدين ، وهي المسؤولة عن الحركة وأداء وظائف الحياة اليومية وثانيه عجز خاص بالحياة البيولوجية كالقلب والرئتين هذه الأخيرة تعرقل الفرد عن أداء دوره الاجتماعي.

ثانيا: تصنيفات الإعاقة البدنية واحتياجاتها الأساسية:

هناك تصنيفات للإعاقة البدنية تتمثل في أربعة أنواع هي:

1. المكفوفون وضعاف البصر.
2. الصم وضعاف السمع.
3. المصابون بالصرع.
4. المقعدون ويقل عمرهم عن 20 سنة: وهي إعاقة ناتجة عن عيوب خلقية أو مكتسبة وهذه الأخيرة التي تؤثر علي اندماج وتفاعل الفرد مع بقية الأفراد، وهناك حالات الشذوذ الخلقية أولها هي الشلل المخي وعيوب الهيئة كحتف القدمين والتواء العنق والعيوب الفقارية وبالمقابل هناك حالات ترجع إلي الإصابة بالأمراض كشلل الأطفال وهناك حالات ترجع إلي الاضطرابات الأيضية⁽⁸⁾.

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن القول بأن هذا التقسيم يعتبر ضعاف البصر وضعاف السمع ضمن فئات الإعاقة البدنية، غير أن هاتين الفئتين تدخل ضمن فئات الإعاقة الحسية إذ يمكن لهذه الفئة التفاعل مع العالم الخارجي ضمن إطار توفير الأجهزة الخاصة لكل إعاقة حسية كالسمع والبصر كأجهزة السمع، والنظارات.

وبالمقابل هناك تقسيم آخر لأطفال الإعاقة الجسمية يتمثل في:

1. أطفال ذوو عاهات تتصل بجاسة البصر.

2. أطفال ذوو عاهات تتصل بجاسة السمع.

3. أطفال ذوو عاهات تتصل بالنطق.

4. أطفال ذوو عاهات عظمية أو عصبية.

وتدخل المجموعة الأخيرة ضمن فئة الأطفال المصابين بالكساح، هذه الكلمة تستخدم لتشير إلى مشكلات إكلينيكية كحالات شلل الجهاز العصبي والتهاب النخاع الشوكي فهي تسبب للأطفال صعوبة في الحركة، وتختلف هذه الحالة من طفل لآخر لذلك يتحتم التعامل مع كل حالة حسب نوعية المشكلة التي تواجهه والتي تدخل ضمن جوانب جسمية وعقلية وانفعالية⁽⁹⁾.

فتنمية القدرات تتطلب توفير احتياجات لازمة لإشباعها هذا بصفة عامة، في حين إذا خصصنا أكثر وتحديثنا عن ذوي الإعاقة البدنية نجد لها حاجات ضرورية يتحتم توفيرها وذلك لتكوينهم و تأهيلهم وجعلهم يشعرون بقيمة وجودهم مع غيرهم من الأفراد، توجد احتياجات عدة يحتاج إليها الفرد المعوق ويريد إشباعها كغيره من البشر وله حاجات خاصة به والتي أحدثتها ظروف الإعاقة.

وبذلك يمكن توضيح الحاجات الإنسانية بصفة عامة تم التفصيل في ذكر احتياجات ذوي الإعاقة البدنية ، بالنسبة للحاجات العامة تتمثل في⁽¹⁰⁾:

1. احتياجات النمو البدني: حتى ينمو الجسم لابد من توفر عناصر أساسية تظهر في الغذاء، الماء، الصحة والعافية، السكن ،حماية الجسم من المخاطر وغيرها.

2. احتياجات النمو المعرفي والثقافي: تتمحور في مختلف المعارف والمعلومات اللازمة لتزويد الفرد برصيد ثقافي ومعرفي مناسب عن طريق التعليم واكتساب المعرفة، الثقافة المشتركة بين الأفراد، اكتساب المهارات، نمو المواهب والقدرات الخاصة، التعليم الذاتي، التذوق الفني والجمالي، إنتاج المعرفة وتجديدها.

3. احتياجات النمو الاجتماعي: لتحقيق توافق اجتماعي ينبغي توفير عملية التواصل الاجتماعي من خلال اللغة وإتاحة المعلومات فإذا كانت هناك صعوبة في اللغة والتواصل يظهر سوء فهم بين الطرفين إلى جانب المشاركة والتأثير في صناعة الحاضر والمستقبل، تأمين العمل المفيد، تحقيق الطمأنينة للإنسان في نشاط حياته اليومية، وعلى عمله، وعلى أسرته، القدرة على التنقل والذهاب والإياب إلى الأماكن التي يريدها، الترويج والاستمتاع بأوقات الفراغ.

4. احتياجات النمو النفسي (السيكولوجي): تظهر هذه الاحتياجات النفسية في توفير الطمأنينة النفسية، وإبعاد عوامل الخوف والقلق، توفير المحبة والتحاب بين الأفراد، تقدير الإنسان لذاته، الاعتراف بقيمته، حب الاستطلاع والمغامرة والمبادرة، الانتماء والوعي بالهوية، وإدراك دوره وعلاقاته بالآخرين.

5. احتياجات النمو الروحي والحيوي: وتشمل عوامل تتمثل في حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية، احترام عقائد الغير وممارساتهم، حرية التعبير، التنظيم، المساواة أمام القانون وتكافؤ الفرص في حقوق المواطنة وواجباتها وغيرها.

هذه الحاجات العامة التي يجب أن تتوفر لكل إنسان فلا غنى عنها بواسطتها يستطيع العيش بسلام ويحقق ما يريده من أمني وطموحات ، لذا يجدر الحفاظ عليها ومحاولة تنمية وسائلها وبالتالي تحقيق ما يعرف بالتنمية الخاصة بالإنسان.

فيما يلي نقدم احتياجات ذوي الإعاقة البدنية فيما يلي⁽¹¹⁾:

1. احتياجات بدنية: يجب تلبيتها وتوفيرها لتحقيق اللياقة البدنية وذلك من خلال توفير الأجهزة التعويضية المناسبة.

2. احتياجات إرشادية⁽¹²⁾: حتى يتكيف الفرد مع بقية الأفراد يتم إرشاده لحصول عملية تنمية شخصيته من جانب آخر.

3. احتياجات تعليمية: من خلال توفير فرص التعليم المكافئ لمن هم في سن التعليم مع الاهتمام بتعليم الكبار أيضا وذلك عن طريق فصول خاصة.

4. احتياجات تدريبية: يشجع بتوفير فرص ومؤسسات التأهيل المهني لتأهيل الفرد المعوق وتدريبه ومن تم تشغيله وفقا لما يتماشى مع قدراته وظروفه المناسبة.

5. احتياجات مهنية: من خلال تهيئة سبيل التوجيه المهني المبكر ومواصلة ذلك بعد الانتهاء من العملية التأهيلية وإصدار التشريعات في محيط تشغيل المعوقين وتوفير فرص العمل التي تناسب قدراتهم.

6. احتياج الأبحاث والخدمات الاجتماعية: يحتاج المعوقون إلى أبحاث اجتماعية ونفسية للتعرف على الأسباب الخاصة بهم والعمل على التغلب على المشكلات النفسية والأسرية التي يتعرضون لها وتحديد الخدمات الترويجية والترفيهية التي يحتاجونها في أوقات الفراغ، لذلك من الضروري جمع المعلومات عن المعوقين وتعريف كافة أفراد المجتمع بأنواع الإعاقات الجسدية وأسبابها وكيفية الوقاية منها ووضع البرامج التي تؤهل من لديهم الإعاقات ليكونوا أكثر تكيف مع المجتمع والبيئة.

7. احتياجات اجتماعية: بتوفير هذه الاحتياجات لتوثيق صلات المعوق بمجتمعه وتعديل نظرة المجتمع إليه من ناحية أخرى لتوفير فرص الاحتكاك والتفاعل المناسب مع بقية الأفراد والعمل على إدماجه في المجتمع وأيضا تمكين المعوق من إقامة علاقات أسرية سوية.

ثالثا: أنواع النشاط البدني الرياضي المكيف لذوي الإعاقة البدنية:

من الناحية الاجتماعية: ويقسم إلى:

1. فردي: هو ذلك النشاط الذي يمارسه دون الاستهانة بالآخرين في تأديته ومن بين أنواع هذا النشاط الملاكمة، ركوب الخيل، المصارعة، المبارزة، ألعاب القوى السباحة وغيرها.

2. الجماعي: وهو النشاط الذي يمارسه الفرد داخل الجماعة وهو ما يسمى "بنشيط الفرق" مثل كرة القدم، كرة السلة، كرة اليد وغيرها. - حسب طريقة الأداء:

أ- ألعاب هادئة: لا تحتاج إلى المجهود جسماني يقوم به الفرد وحده أو مع أقرانه في جو هادئ ومكانه محدود كقاعة الألعاب الداخلية أو إحدى الفرق وأغلب ما تكون هذه الألعاب للراحة بعد الجهد المبذول طوال اليوم" تنس الطاولة".

ب- الألعاب البسيطة: ترجع بساطتها إلى خلوها من التفاصيل وكثرة القواعد وتتمثل في شكل أناشيد وقصص مقرونة ببعض الحركات البسيطة التي تتناسب مع الأطفال.

ج- ألعاب المنافسة: تحتاج إلى مهارة وتوافق عضلي عصبي ومجهود جسماني يتناسب ونوع هذه الألعاب يتنافس فيها الأفراد فردي أو جماعي⁽¹³⁾.

وفيما يخص النشاط الرياضي، المرتبط بالمدرسة والذي يدعى بالنشاط للتربية البدنية فإنه يعتبر أحد الأجزاء المكملة لبرنامج التربية البدنية ويحقق نفس أهدافها.

رابعاً: الدوافع المرتبطة بالنشاط البدني الرياضي المكيف:

يقسم روديك الدوافع المرتبطة بالنشاط الرياضي إلى:

- الدوافع المباشرة. - الدوافع غير مباشرة.

1- الدوافع المباشرة: هناك دوافع وأسباب تدفع الفرد للقيام بنشاط رياضي يمكن تلخيص أهم الدوافع المباشرة فيما يلي:

✓ الإحساس بالرضا للإشباع كنتيجة للنشاط البدني، بمعنى الشعور بالرضا والارتياح.

✓ المتعة الجمالية بسبب رشاقة وجمال ومهارة الحركات الذاتية للفرد.

- ✓ الشعور بالارتياح كنتيجة للتغلب على التدريبات البدنية التي تتميز بصعوبتها أو التي تتطلب المزيد من الشجاعة والجرأة وقوة الإرادة.
- ✓ الاشتراك في المنافسات الرياضية التي تعتبر ركنا هاما من أركان النشاط الرياضي وما يرتبط بها من خيارات انفعالية متعددة.
- ✓ تسجيل الأرقام والبطولات وإثبات التفوق وإحراز الفوز⁽¹⁴⁾.
- الدوافع غير المباشرة: من أهم الدوافع غير المباشرة ما يلي:
 - ✓ محاولة اكتساب الصحة واللياقة البدنية عن طريق ممارسة النشاط الرياضي.
 - ✓ ممارسة نشاط رياضي لإسهامه في رفع مستوى قدرة الفرد على العمل والإنتاج.
 - ✓ الإحساس بضرورة ممارسة النشاط الرياضي.
 - ✓ الوعي بالدور الاجتماعي الذي تقوم به الرياضة، حيث يرى الفرد أنه يريد أن يكون رياضيا يشترك في الأندية والفرق الرياضية ويسعى للانتماء إلى جماعة معينة وتمثيلها رياضيا⁽¹⁵⁾.
- مما سبق يمكن التطرق إلى واجبات النشاط الرياضي فيما يلي:
 - ✓ تنمية الكفاءة الرياضية.
 - ✓ تنمية المهارات البدنية النافعة في الحياة.
 - ✓ تنمية الكفاءة الذهنية والعقلية.
 - ✓ النمو الاجتماعي.
 - ✓ التمتع بالنشاط البدني الترويحي واستثمار أوقات الفراغ بممارسة الأنشطة المختلفة.

- ✓ ممارسة الحياة الصحية السليمة.
- ✓ تنمية صفات القيادة الصالحة والتبعية السليمة بين الأفراد.
- ✓ إقامة وإتاحة الفرص للناخبين للوصول إلى مرتبة البطولة .
- ✓ تحسين الحالة الصحية للأفراد.
- ✓ النمو الكامل للناحية البدنية كأساس من أجل زيادة الإنتاج.
- ✓ النمو الكامل للناحية البدنية بمعنى الحصول على صحة بدنية.
- ✓ التقدم بالمستويات العالية⁽¹⁶⁾.

ما يلاحظ من خلال الواقع المعاش بأن بعض الإعاقات البدنية تفوقت في المجال الرياضي وصلت إلى أعلى المستويات عبرت من خلالها عن دورها ووجودها وذاتها وإبداعاتها، فالمجال الرياضي المكيف يساهم بدرجة كبيرة في تنمية القدرات والكفاءات وبالتالي التمتع بصحة بدنية جيدة وثقة نفسية عالية. فالنشاط البدني المكيف يهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف ذات أولوية و هي تربية و اجتماعية، و لا تبدل بالفريق المختص (ليس بتقنية علاجية) بل تساهم بإعطائها بعداً تربياً و اجتماعياً أكثر دلالة و يشارك في التكفل العلاجي و الاجتماعي للأشخاص المعوقين.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يتضح أن النشاط الرياضي وبالأخص المكيف له تأثير إيجابي واضح على نفسية فرد ذوي الإعاقة البدنية وكلما تعددت الأنشطة الرياضية كلما كان ذلك أفضل في بناء شخصية متزنة هادئة ورزينة تثب وجودها وذاتها في الواقع المعاش، كما يعتبر من أنسب الطرق التي تساهم في تزويده بنوع من العلاج لحالته، لذا تكتسب الرياضة دورا هاما في تعديل سلوك الفرد، أي أن التربية الرياضية والتربية المكيفة مقرونتان من أجل العمل نحو الفرد لعلاج من الناحية الاجتماعية والعقلية والنفسية وبالأخص البدنية، هذا الأخير الذي يحتاج إلى يد المساعدة من طرف المجتمع.

فالدور الذي يمارسه النشاط البدني والرياضي جعلها من أهم المجالات الداعمة لتعزيز دور ذو الإعاقة البدنية في المجتمع، فهي تساعده على استعادة توازنه الجسدي والتدريب على اللياقة البدنية، وكذلك ترفع من الروح المعنوية عنده، كما تعزز ثقته بنفسه وتحقق له اتصالا أفضل بالمجتمع المحيط به، فالجانب الرياضي أمر ضروري وفعال لا بد منه في حياة الفرد المعوق فهو من الحاجات الأساسية المساعدة لحالته، إضافة إلى الحاجات الأخرى من الحاجات الهامة منها الاجتماعية والمهنية والتأهيلية والاقتصادية وغيرها، فكل منا لا بد أن يضع نصب عينيه بأن الفرد المعوق بحاجة لكل واحد منا من أسرة، مجتمع، مدرسة أي كل المحيطين به، فهو بشر مثلنا له حقوق وواجبات لا بد من دعمه ومساعدته قدر الإمكان حتى لا ينطفئ ويضمحل نتيجة أمراض نفسية سببها الغير.

❖ هوامش البحث

- (1) محمد الحماحي وأمين أنور الخولي: أسس بناء برنامج التربية البدنية والرياضية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990، ص 29.
- (2) أمين أنور الخولي: الرياضة والمجتمع، المجلس الوطني الثقافي، الأدب والفنون، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص 22.
- (3) www.bahrainonline.org/showread-vu-22/06/2012.19:57
- (4) جرجس ميشال جرجس: معجم مصطلحات التربية والتعليم (عربي، فرنسي، إنجليزي)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2005، ص 81.
- (5) عبد المنصب حسن رشوان: ممارسة الخدمة الاجتماعية مع الفئات الخاصة، ذوي الاحتياجات الخاصة والموهوبين، المكتب الجامعي الحديث، أسوان، 2006، ص 02.
- (6) عباس جمال: رهانات رياضية ذوي الاحتياجات الخاصة والأهداف المستقبلية، أعمال الملتقى الوطني الثالث، نظرة المجتمع لرياضة ذوي الاحتياجات الخاصة، العدد السادس، جانفي، 2010، ص 88.
- (7) عبد الرحمان سيد سليمان: الإعاقات البدنية، المفهوم، التصنيفات، الأساليب العلاجية، مكتبة زهراء للشرق، القاهرة، 2001، ص 17.
- (8) المرجع نفسه، ص 46.
- (9) عبد الرحمان سيد سليمان: مرجع سبق ذكره، ص 47.
- (10) أسعد خطاب: اقتصاديات تنمية الموارد البشرية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2008 ص 39-40.
- (11) عبد المجيد حسن الطائي: طرق التعامل مع المعوقين، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص 33-32.
- (12) في هذا الصدد نركز حديثنا على الإرشاد النفسي الإرشاد جزء من التوجيه وهما يلتقيان في الأهداف من حيث تحقيق الذات والتوافق والصحة النفسية للفرد وتحقيق

- مهارات التواصل الاجتماعي". (ناصر الدين أبو حمادة: الإرشاد النفسي والتوجيه المهني، عالم الكتب العربية، عمان، الأردن، 2008، ص 7.
- (13) محمد عادل خطاب، كمال الدين زكي: التربية الرياضية للخدمة الاجتماعية، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1965، ص 70.
- (14) عبد الرحمن العيسوي: علم النفس بين النظرية والتطبيق، بيروت، 1984، ص 230.
- (15) محمد حسن علاوي، سعد جلال: علم النفس التربوي الرياضي، ط 6، دار المعارف، مصر، 1987، ص 183.
- (16) محم عصام عبد الخالق: التدريب الرياضي نظريات وتطبيقات، ط 02 دار الكتب الجامعية، مصر، 1972، ص 11.

الدراسات التاريخية

تاريخ الأنساب في الأندلس خلال القرن 5هـ/11م

(ابن حزم وكتابه الجمهرة أنموذجا)

الأستاذ : علي زيان

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية / جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز نمط من أنماط الكتابة التاريخية وهو موضوع الأنساب الذي اهتمت به الثقافة العربية الإسلامية منذ عهدها الأولى واستمر ذلك في باقي فترات التاريخ. وفي الأندلس وجدت الكتابة في الأنساب مجالا خصبا لها وهذا لعزلة هذه الجزيرة وتميزها الجغرافي، بالإضافة إلى تعدد عناصرها الاجتماعية نتج عنه اهتمام المؤلفين بالكتابة في الأنساب فظهرت كتب في هذا المجال. ومن أهمها ما كُتب خلال القرن 5هـ/11م، وفي هذا المقال اخترت ابن حزم كأبرز المؤرخين في هذا الحقل من المعرفة التاريخية وهذا بالتعريف به ودراسة كتابه "جمهرة أنساب العرب" من حيث محتواه، ومصادره التي اعتمد عليها، والمنهج الذي اتبعه في هذا المصنف.

Résumé:

Cette étude vise à mettre en évidence le motif de l'écriture historique, un sujet de la généalogie, qui a porté sur sa culture arabe et islamique depuis les premières conventions et a continué dans le reste des termes historiques de ceux-ci.

En Andalousie et de l'écriture dans les lignées trouvé un terrain fertile pour elle et cet isolement de l'île et de distinction géographique, en plus de la multiplicité des éléments sociaux a entraîné dans l'intérêt des auteurs à écrire des livres est apparu dans la généalogie dans ce domaine. Le plus important de ce qui a été écrit pendant du 5^{ème} siècle /11m, Dans cet article, j'ai choisi Ibn Hazm que les historiens de premier plan dans ce domaine de la connaissance historique et la définition de celui-ci et d'étudier son livre "La population lignées Arabe" en termes de son contenu, et des sources invoquées, et la méthodologie utilisée dans ce livre.

مقدمة:

عني العرب بأنسابهم في الجاهلية، وتجددت عنايتهم بالأنساب عقب الفتوحات الإسلامية الأولى عندما أنشأ عمر بن الخطاب الديوان الذي يهتم بتنظيم قضية العطاء وضبطه وتوزيعه وما يلحق به من غنائم وفيء وخراج... الخ، وراعى عمر في هذا النظام القرابة من النبي-صلى الله عليه وسلم- فبدأ بالعباس عمّ النبي، ثم قدّم بني هاشم على غيرهم من العشائر القرشية، وقدّم قريشا على غيرها من القبائل⁽¹⁾، ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة، مُراعيا في ذلك الاعتبار الديني والقبلي في آن واحد⁽²⁾.

وفي العهد الأموي ازداد الاهتمام بالأنساب ووضعت لهذا الغرض سجلات خاصة بها، وكان الاهتمام السياسي بالقرشيين والطائفي بآل علي، والاهتمام القديم بالقبائل العربية، واعتزاز الحكام والأشراف بأحسابهم وأنسابهم عندما قامت الخصومات القبلية، ونشأت الشعوبية في أواخر العصر الأموي التي أخذت تفتش عن مثالب العرب، كان كل ذلك من العوامل التي ساعدت على الكتابة في الأنساب⁽³⁾، والتي استمر الاهتمام بها في القرون التي تلت تلك الفترة.

وفي الأندلس وجدت الكتابة في الأنساب مجالا خصبا لها لغلبة الصفة الإقليمية لهذه الرقعة الجغرافية المتميزة، بالإضافة إلى اصطدام العناصر العربية هناك بعناصر أخرى كالبربر والصقالبة فضلا عن العنصر المحلي نتج عنه اهتمام المؤلفين بالكتابة في الأنساب فظهرت كتب في هذا المجال، حيث ألف قاسم بن أصبغ في الأنساب كتابا في غاية الحسن والاياعاب والإيجاز⁽⁴⁾، وألف أحمد بن محمد الرازي (ت 344هـ/952م) كتاب الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس⁽⁵⁾، وكذلك معاصره عبد الله بن عبيد الله بن الحكيم (ت 341هـ/952م) الذي ألف كتابا ذكر فيه الخلفاء ومن تناسل منهم في الأندلس، ومن سائر قريش ومواليهم، وأهل الخدمة منهم والتصرف لهم، ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق من غير قريش ومواليهم، ومشاهير قبائل البربر الذين سكنوا الأندلس، رفعه للناصر أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد سنة ثلاثين وثلاثمائة⁽⁶⁾،

وألف كذلك مطرف بن عيس الغساني (ت 357هـ/967م) كتابا في أنساب العرب النازلين في البيرة وأخبارهم⁽⁷⁾، وألف معاوية بن هشام الشميصي (ت بعد 350هـ/961م) كتابا في نسب العلوية وغيرهم من قريش، سمّاه ألتاج السني من نسب آل علي⁽⁸⁾.

وفي القرن 5هـ/11م ازدهرت الكتابة في الأنساب وأسهم ابن عبد البر، وابن حزم بمؤلفات أعطت لهذا الحقل من المعرفة التاريخية دفعا جديدا.

فابن عبد البر صنف كتابين، الأول عنوانه "الإنباه على قبائل الرواة" تكلم فيه عن القبائل التي روت عن الرسول -عليه الصلاة والسلام- من قريش، ومن الأنصار، ومن غيرهما، وفي مقدّمة هذا الكتاب ذكر أهمية علم الأنساب وقال: "فلو كان لا منفعة له لما أشتغل العلماء به لأن معرفة الأنساب علم لا يليق جهله بذوي الهمم والآداب"⁽⁹⁾.

والكتاب الثاني عنوانه "القصص والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم" وهو عبارة عن رسالة صغيرة مختصرة ألفها بهدف إعطاء فكرة عامة عن الأجناس البشرية وأصولها من لدن آدم ونوح عليهما السلام ومن ثم أولاد نوح الذين تفرعت عنهم سائر الأمم "وما تداخل من بعضهم في بعض على تباعد البلدان ومر الدهور والأزمان إذ لا يحصى فروعهم وجماعتهم إلا الله خالقهم"⁽¹⁰⁾.

أما ابن حزم فقد عُرف بالأنساب، وقد ذهب كثير من المؤرخين، ومنهم ابن خلدون إلى أن ابن حزم إمام النسابين ولا ريب⁽¹¹⁾، ويتجلى ذلك في مصنفه "جمهرة أنساب العرب" الذي سنخّصه في هذا المقال بدراسة تُعرّف من خلالها بابن حزم وأسلوبه ومنهجه في هذا الكتاب.

➤ التعريف بشخصية ابن حزم

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد⁽¹²⁾، وهو أحد رجالات الفرس الكبار⁽¹³⁾،

فكان على دين النصرانية ثم أسلم فأصبح مولى ليزيد بن أبي سفيان بن حرب أخو معاوية الذي ولاه أبو بكر إمرة الجيش الأول الذي ذهب لفتح الشام، وإلى هذا النسب ربما يكمن السر في ولاء ابن حزم للأمويين⁽¹⁴⁾، وجده خلف أول من دخل الأندلس من أبائه⁽¹⁵⁾.

وقد استوطنوا قرية "منت ليشم" من إقليم الزاوية من عمل "أونية" من كورة لبلبة⁽¹⁶⁾. غربي الأندلس ثم انتقل أبوه إلى قرطبة وأستقر بها⁽¹⁷⁾، هذا ما ذكره معظم المؤرخين حول نسب ابن حزم، وقد نقل أكثرهم في ذلك عن القاضي صاعد بن أحمد الطليطلي (ت 462هـ/1069م)، الذي كان أحد تلامذته.

ولم يعارضه في ذلك، إلا ما شكك فيه ابن حيان (ت 469هـ/1070م) الذي أرجع أصله إلى جذور إسبانية مبعدا عنه النسب الفارسي⁽¹⁸⁾.

وقد ولد بقرطبة سنة 384هـ/994م، ونشأ في أسرة غنية تشتهر بالعلم، حيث كان أبوه عالما ووزيرا من وزراء المنصور بن أبي عامر وابنه من بعده عبد الملك المظفر⁽¹⁹⁾. حيث تلقى دروسه الأولى على أيدي نساء عالمات كن يعشن في قصر والده، فلحن مبادئ العلوم، وروين له الأشعار وحفظنه القرآن⁽²⁰⁾. وقد عنى والده بتربيته وأشرف على تعليمه منذ حداثة سنه، وقد بقي ابن حزم متأثرا بشخصية والده الوزير طيلة حياته، فقد كان أحد مصادر الشفوية في التاريخ، لأنه كان يقصّ عليه بعض الأحداث التي شهدها في وزارته للمنصور بن أبي عامر⁽²¹⁾.

ومن أساتذته بعد والده في التاريخ ابن الجسور (ت 401هـ/1011م) وقد كان أيضا أستاذه في الحديث، وأول سماعه كان منه قبل الأربعمئة كما في الصلة لابن بشكوال⁽²²⁾. وفي بغية الملتمس للضبي الذي ذكر أن ابن حزم قرأ على ابن الجسور كتاب التاريخ للطبري⁽²³⁾، وهو من الكتب التي عرف ابن الجسور بإقراءها، هذه الدراسة التي أعطته إدراكا وفهما لتاريخ البشر والأديان. كما أخذ عن القاضي ابن الفرضي، وهو من المذكورين في رسالة ابن حزم في فضائل علماء الأندلس⁽²⁴⁾، وابن الدلائي العذري (ت 478هـ/1085م)، وابن المسور أحمد بن

محمد بن أحمد بن سعيد أبي عمر الأموي (ت 401هـ / 1011م)، وهو محدث كالعذري ومكثري، وسمع من أبي بكر أحمد بن الفضل بن العباس الدينوري (ت 349هـ / 960م)، حدث عنه بكتاب التاريخ لابن جرير الطبري.

كما سمع الحديث أيضا على أبي عمر الطلمنكي (ت 420هـ / 1029م)، ويحيى بن مسعود ابن وجه الجنة (ت 402هـ / 1012م)، وأبي بكر ابن حمام بن أحمد القاضي، وتعلم الفلسفة والمنطق وعلوم الأوائل على يد أستاذه محمد بن الحسن المدحجي المعروف بابن الكتاني (ت بعد 400هـ / 1009م)، وكان أدبيا شاعرا طبيبا من مدرسة المجريطي.

ولابن حزم غير هؤلاء شيوخ كثيرون في الحديث والأدب والفقہ لا يمكن حصرهم تلقى عليهم مباشرة، كما يوجد العديد ممن أخذ عنهم، دون أن يقابلهم أو يراهم، وإنما أخذ عن كتبهم، حيث أنه كان شغوفًا بالقراءة فجمع من الكتب شيئا كثيرا، فأطلع على العديد من مؤلفات المشاركة والمغاربة، وحتى كتب الأندلسيين، كما أنه كان له إطلاع على الكتب المترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية⁽²⁵⁾.

مما جعله يحظى بكثير من الصفات والعديد من المواهب التي مكنته من بلوغ مكانة عالية في مجالات العلوم المتنوعة والمعارف المختلفة، والذي يهمننا في هذا الإطار هو ما قدمه في مجال المعرفة التاريخية وذلك من خلال استفادته من الروافد الثقافية المتنوعة وخبرته الإنسانية فقد كان واسع الإطلاع على مختلف المؤلفات التاريخية الموجودة في عصره، فأدرك مناهجها ونزعاتها المتعددة، فكان راصدا للتاريخ المعاصر له، وكان أحيانا مشاركا في صنعه، أو قريبا من صنّاعه بحكم مركزه الاجتماعي، مما أهله أن يكون عارفا بما يجري حوله من دقائق الأمور، كما اعتمد بالإضافة إلى المؤلفات والمشاهدات، على الروايات الشفوية، ولقاء الشيوخ، ومحاوره الأقران وفي هذا يقول: "وقد شاهدنا الناس، وبلغتنا أخبار أهل البلاد البعيدة، وكثر بحثنا عما غاب عنا منها، ووصلت إلينا التواريخ الكثيرة

المجموعة في أخبار من سلف من عرب وعجم في كثير من الأمم⁽²⁶⁾، فتولد لديه - عن هذا كله- فهم عميق للتاريخ، وتصور صحيح لأحداثه ووقائعه، فكان منهجه في نقد الأخبار دقيقا يتعد عن الخرافة والمبالغة والتهويل.

أما حياة ابن حزم السياسية فقد مرّ بنا أن أباه كان وزيرا للحاجب المنصور بن أبي عامر، ثم لابنه المظفر. وقد أمضى طفولته في قصور والده يعيش بين النساء والحريم حتى بلغ سن الشباب⁽²⁷⁾، لكن بعد ذلك يتنكر الزمان له ولأسرته، خاصة بعد ذهاب العامريين وقيام الحرب الأهلية بقرطبة في مطلع القرن 5هـ/11م، ووفاة أبيه بعد ذلك بقليل سنة 402هـ/1011م⁽²⁸⁾.

وكان ابن حزم في ذلك الوقت قد بلغ الثامنة عشر من عمره، فيضطر للخروج مع أسرته سنة 404هـ/1013م من قرطبة قاصدا المرية فاختلف مع حاكمها خيران العامري مما اضطره لسجنه فترك المرية بعد ذلك إلى بلنسية، والتقى بالمرتضي الأموي وانضم إليه، وتوجه معه إلى قرطبة لاستعادة الخلافة من الحمّوديين، ولكنه أسر في غرناطة سنة 408هـ/1017م، ولم يتمكن ابن حزم من العودة إلى قرطبة إلا سنة 409هـ/1018م، وبقي فيها، ولما تولى الخلافة عبد الرحمن المستظهر سنة 414هـ / 1023م، استوزره. ولم يمر إلا شهر ونصف حتى قُتل المستظهر وسُجن ابن حزم ثم عفي عنه، ولما تولى هشام المعتد الخلافة (417-422هـ/ 1027-1031)⁽²⁹⁾. وُلّي ابن حزم الوزارة كذلك⁽³⁰⁾.

وبعد خلع هشام المعتد وانتهاء أمر الدولة الأموية نهائيا سنة 422هـ/1031م، ترك ابن حزم السياسة، وانصرف بعد ذلك للعلم والتأليف⁽³¹⁾. ونشر مذهبه متنقلا بين الحواضر الأندلسية منتقدا ما آل إليه حال الأندلس وانقسامها إلى ممالك متناحرة، حيث هاجم العديد من حكامها وعلى رأسهم المعتضد بن عباد (433-469هـ/ 1042-1069م) الذي لم يتوان في اضطهاده وإحراق كتبه نتيجة تحريض فقهاء المالكية عليه.

وعندما فشل ابن حزم في نشر مذهبه اعتزل الناس في بيته الريفي بضواحي لبلبة بالقرب من اشبيلية في غرب الأندلس، وهناك ألف عدة كتب لم تتخط عتبة داره كما يقول معاصره ابن حيان⁽³²⁾.

وتوفي ابن حزم سنة 456هـ/1064م عن عمر يناهز واحد وسبعين عاما تاركا وراءه مؤلفات وتصانيف كثيرة تميزت بثقافته الواسعة وعلمه الغزير وهذا باعتراف الكثير من معاصريه أو الذين جاءوا بعده.

والذي يهمنا في هذا الصدد هو مؤلفاته التاريخية التي نذكر منها:

نقط العروس في تواريخ الخلفاء، أسماء الخلفاء ومددهم، رسالة في فضل أهل الأندلس وذكر رجالها، رسالة حجة الوداع، جمهرة أنساب العرب، كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، رسالة في أمهات الخلفاء كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف، وغيرها.

كتابه "الجمهرة" نموذج لتاريخ الأنساب

ألف ابن حزم في حقل الأنساب الذي يحتل مكانة معتبرة عند العرب، فهو باب من أبواب التاريخ الإسلامي، وعند ابن حزم هو جزء من علم الخبر أي التاريخ.

ويعد كتابه "جمهرة أنساب العرب" من أهم المؤلفات التي عاجلت موضوع الأنساب خلال القرن 5هـ/11م، ويذكر محمد هارون محقق "الجمهرة" منطلقا من إشادة ابن خلدون به من امتياز ابن حزم في هذا الباب بالخصوصية والتوسع، وذلك بالإشارة -على حد قوله- إلى أهم الأحداث التاريخية والقبلية والأدبية، وأيام العرب والمشهور من أمثالها وأنبائها مع التحقيق في ذلك، وبيان الخلاف فيه، مع الحكم الصادق، ثم بما حاوله بدقة والتزام بعقد الصلة بين القبائل العربية النازحة إلى الأندلس والمغرب، وبيوتات الحكم والولاية والسلطان منهم، وبيّن أجزامها وأصولها الشرقية التي انحدرت منها وانسابت متشعبة في بلادها الجديدة⁽³³⁾.

ولم يغفل مع ذلك عن بيان المدن والمساكن التي تجمهرت فيها تلك الجاليات وتكاثرت، وحفظ لنا بذلك أسماء تلك البلدان وتعليل تسمياتها أحيانا⁽³⁴⁾. فهو يعد وثيقة هامة في هذه الناحية.

كما يمدنا الكتاب بأخبار عن الحركات والفرق المختلفة، كحركة الزنج⁽³⁵⁾. والقرامطة⁽³⁶⁾. والشيعنة⁽³⁷⁾. والزنادقة⁽³⁸⁾. مفندا لدعواهم التي اعتمدوا فيها على النسب، وخاصة العبيد يون حيث أبطل دعوتهم بانتمائهم إلى فاطمة.

كما أن هذه المعارف الكثيرة المبثوثة المضافة إلى أصحابها تمدنا بقدر كبير من التراجم الوجيزة التي تضم إلى جهود ابن حزم في باب التراجم والطبقات⁽³⁹⁾. الملاحظ أن معظم النسابة اعتادوا على ذكر الأصول والفروع الكبرى فقط، على أساس أن ذلك من شأن كتب التاريخ العام، لكن ابن حزم كان يلجأ إلى التفريع، ويذكر الفروع بالتفصيل، ويورد الأمهات، ويبين هل هن حرائر، أم أمهات أولاد، بل أنه كان مغرما بتتبع سيرة هؤلاء الأمهات وبيان عدد الأزواج الذين تتابعوا عليهن⁽⁴⁰⁾.

وبذلك نرى في أنساب ابن حزم من التفصيلات الدقيقة لحياة المرأة العربية، والأبناء والأحفاد وأنسابهم ما لا نكاد نجد عند غيره. وفي تناوله لهذه الأنساب كان يركّز على المشهورين منهم⁽⁴¹⁾. وهو يوضح ذلك في مقدمته بقوله: "فجمعنا في كتابنا هذا تواشيع أرحام قبائل العرب، وتفرع بعضها من بعض، وذكرنا من أعيان كل قبيلة مقدارا يكون من وقف عليه خارجا من الجهل بالأنساب ومشرفا على جمهرتها"⁽⁴²⁾.

ثم رأى ابن حزم أن هذه الأنساب المبسوطة محتاجة إلى تجميع مختصر، فعمد إلى تلخيصها ليسهل الوقوف على اتصال بعضها ببعض، وتشعب بعضها مع بعض ليقرب حفظ ذلك على من أراده، وعقب بعده بالكلام عن مفاخرة عدنان وقحطان، وهما الجذمان الكبيران لجميع قبائل العرب. وفي خاتمة هذا الفصل ينتهي ابن حزم بإظهار فضل العدنانيين على القحطانيين⁽⁴³⁾. ونجد بعد هذا

الفصل فصلا آخر في ديانات العرب وأصنامها⁽⁴⁴⁾. ثم يتصل الكلام بوثيقة هامة لابن حزم في نسب البربر، وما من شك في أنه الأصل الأصيل لكل ما عرف علماء النسب من العرب عن أنساب هؤلاء القوم، وهو المرجع الذي اعتمده ابن خلدون في تاريخه "العبر"، كما اعترف بذلك عن الأخذ من كتابه⁽⁴⁵⁾. ثم يعرض ابن حزم لبيان أسرة بني قسي المولدة التي تنتمي إلى أصل اسباني⁽⁴⁶⁾، وهذا مما يمتاز به هذا الكتاب أيضا.

وميزة أخرى تتجلى بعد ذلك في ذكر ابن حزم لنسب بني إسرائيل، وقد أفادته خبرته الواسعة، ودراسته الدقيقة للتوراة في تلخيص هذا النسب⁽⁴⁷⁾، ولم يفته في ختام تأليفه أن يذكر ملخصا لأنساب ملوك الفرس هو الغاية في الاختصار والاستيعاب⁽⁴⁸⁾. وبذلك يكون هذا الكتاب وثيقة جامعة لأنساب العرب ومن لاذ بالعرب واتصل بهم في هذه الفترة من تاريخهم⁽⁴⁹⁾، ويلاحظ أن نزعة ابن حزم التاريخية الواضحة في موضوع الأنساب تدفع به إلى الاستيعاب فهو يعني بالجوانب الحضارية الراجعة إلى أصحاب النسب كالكتب المؤلفة للمتحدث عنهم، وعن مذاهبهم، وأعمالهم والنوادير المتصلة بهم، وتاريخ وفاتهم⁽⁵⁰⁾. منهجه في الكتاب

وما يمكن ملاحظته حول منهج ابن حزم:

- فالكتاب عنوانه أضيق من مضمونه فهو لم يؤرخ للعرب فقط، بل أرّخ فيه أيضا لعناصر أخرى استوطنت الأندلس كالبربر والفرس والمولدين واليهود⁽⁵¹⁾. كما أنه لم يقتصر على موضوع النسب فحسب بل يذهب إلى عرض معتقدات تلك العناصر وأخبارهم السياسية. والكتاب ليس فيه كل أنساب العرب وإنما بعض من اشتهر منهم ومن استقر بالأندلس.

في الكتاب تصحيح لأخطاء كتب الأنساب، ولكنه من ناحية أخرى لم يسلم من بعض الهفوات التي وقع فيها، من بينها قوله في عبارة متناقضة من ناحية تركيبها ودلالاتها: أما أبو العباس أمير المؤمنين فأعقب بنين، أكبرهم محمد ولي البصرة، ومات عن غير عقب، ولا عقب لأبي العباس السفاح⁽⁵²⁾.

إلا أن هذه الهفوة لا تنقص من جهود ابن حزم في حقل الأنساب الذي يعدّ من أبرز وأجدر مؤرخيه.

ويبرز تمسك ابن حزم برؤيته السننية لقضية الخلافة، وهذا بإصراره على أن الإمامة في قريش دون سواها حسب معتقد أهل السنة حيث يقول: "ومن الفرض في علم النسب أنه يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهد بن مالك بن النصر بن كنانة، ولو وسع جهل هذا لأنكر أدعاء الخلافة لمن لا تحل له⁽⁵³⁾ .

❖ هوامش البحث

- (1) خليفة بن خياط: كتاب الطبقات، تحقيق أكرم العمري، مطبعة العاني، بغداد، 1967، مقدمة المحقق، ص 33.
- (2) عبد العزيز الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت، 1983، ص 40.
- (3) أنظر فرانز روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، نشر مكتبة المثني، بغداد، 1963، ص 14.
- (4) المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (رسالة في فضل الأندلس لابن حزم)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1988، ج 3، ص 173. الحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن الريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 298. الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن الريفي، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1997، ص 391. ياقوت الحموي: معجم الأدياء، تحقيق أحمد فريد الرفاعي، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1936، ج 16، ص 237، الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ج 15، ص 472.
- (5) الحميدي: المصدر السابق، ص 332، الضبي: المصدر السابق، ص 130. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ج 2، ص 133. الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار الإحياء والتراث العربي، بيروت، 2000، ج 8، ص 131.
- (6) عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول و الصلة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ج 2، ق 1، ص 213.
- (7) ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن الريفي، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1997، ص 399-400.

- (8) أنظر ابن حيان: **المقتبس في رجال الأندلس**، تحقيق ملشور أنطونيا، باريس، 1838، ص 37-41، **والمقتبس**، (الجزء الخامس)، تحقيق بدرو شالميتا وآخرون، المعهد الاسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979، ص 40، 102-104، 138-139، ابن الأبار: **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج 2، ص 183.
- (9) ابن عبد البر: **الإنباء على قبائل الرواة**، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1940، ص 42.
- (10) ابن عبد البر: **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم وأول من تكلم العربية من الأمم**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص 8.
- (11) ابن خلدون: **المقدمة**، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط 2، مكتبة نهضة مصر، 1981، ص 75.
- (12) الحميدي: **المصدر السابق**، ص 302، صاعد الطليطلي: **طبقات الأمم**، تحقيق حياة علوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 181، الضبي: **المصدر السابق**، ص 364. **الذهبي: العبر في خبر من غير**، سلسلة التراث العربي، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، 1960-1966، ج 2، ص 306، الفيروز أبادي أبو طاهر: **البلغة في تاريخ أئمة اللغة**، تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972، ص 146.
- (13) ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج 12، ص 235-236.
- (14) يقول القلقشندى: "بنو أمية كان له عشرة أولاد يسمون الأعياض، وستة يسمون العنابس، وكان من العنابس أبو سفيان الجدل الأعلى لابن حزم وهم أبناء أمية بن عبد شمس القرشي كما سبق أن جاء في السلسلة الكاملة لاسمه. ومن العنابس كان أبو سفيان كان أبو سفيان الذي صرحت التراجم بأنه جد ابن حزم الأعلى يزيد مولى ليزيد ابن أبي سفيان، أنظر القلقشندى: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق ابراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959، ص 83.

- (15) ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968، ج3، ص 322، وأنظر أحمد شليبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ط10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1975، ج1، ص 402.
- (16) لبلبة: **كورة كبيرة بالأندلس**، تتصل بعمل أكشونبة، وهي شرق أكشونبة وغرب قرطبة، وهي بركة بحرية تقع على نهر طنتس. أنظر ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1986، ج5، ص 10، 301.
- (17) ابن بشكوال: **كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تحقيق صلاح الدين الهوازي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 2003، مج2، ص 333.
- (18) ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1975، مج1، ق1، ص 142.
- (19) أنظر الحميدي: **المصدر السابق**، ص 112، صاعد: **المصدر السابق**، ص 184.
- (20) ابن حزم: **طوق الحمامة في الألفة والآلاف**، تحقيق فاروق سعد، مكتبة الحياة، بيروت، 1982، ص 140.
- (21) أنظر إحسان عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي**، عصر سيادة قرطبة، ط5، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1978، ص 248-249.
- (22) ابن بشكوال: **المصدر السابق**، مج2، ص 334.
- (23) أنظر الضبي: **المصدر السابق**، ص 365. وأنظر بالنشأ: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، 1955، ص 174، 213.
- (24) المقرئ: **المصدر السابق**، مج3، ص 169.
- (25) ابن حزم: **رسائل ابن حزم**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981، مقدمة المحقق، ج2، ص 11.
- (26) ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق يوسف البقاعي، دار التراث العربي، بيروت، 2002، ص 173.

- (27) المصدر نفسه، ص 140.
- (28) المصدر نفسه، ص 251.
- (29) صاعد: المصدر السابق، ص 181.
- (30) المصدر نفسه، 262.
- (31) محمد أبو زهرة: **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة (د، ت)، 40.
- (32) ابن بسام: المصدر السابق، مج 2، ق1، ص 70
- (33) أنظر ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، ط4، دار المعارف القاهرة، 1977، مقدمة المحقق، ص 12.
- (34) المصدر نفسه، أنظر مثلا: ص 6، 47، 48، 50، 51، 52، 59، 122، 321 وغيرها.
- (35) المصدر نفسه، ص 57، 58.
- (36) المصدر نفسه، ص 55، 60.
- (37) ابن حزم: **الجمهرة**، ص 58، 61، 63.
- (38) المصدر نفسه، ص 71.
- (39) عبد الحلیم عویس: **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي**، مؤسسة الزهراء للإعلام العربي، ط2، القاهرة، 1988، ص 211.
- (40) ابن حزم: **الجمهرة**، أنظر مثلا: تفریعه لأولاد علي بن عبد الله بن العباس ص 12، وتفریعه الأمويين والعباسيين وغيرهم، وأبناء علي بن أبي طالب (من ص 37 إلى 38)، وأنظر مثلا تتبعه لزيجات الزعوم بنت أياس التي تتابع عليها خمسة (ص 224)، وأنظر اهتمامه بالأمهات ص 14، 15 وغيرها كثير.
- (41) المصدر نفسه، ص 36.
- (42) المصدر نفسه، ص 6.
- (43) ابن حزم: المصدر السابق، ص 495، 498، وأنظر مقدمة المحقق، ص 14.
- (44) المصدر نفسه، ص 487 - 490.

- (45) أنظر ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1956-1961، ج9، ص 70-150.
- (46) ابن حزم: الجمهرة، ص 506.
- (47) ابن حزم: الجمهرة، ص 511.
- (48) المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص 14، 15.
- (49) عبد الحلیم عویس: المرجع السابق، ص 212.
- (50) ابن حزم: الجمهرة، ص 26، 32، 33، 63، 88، 118، 124، 398 وغيرها.
- (51) أنظر محمود إسماعيل: الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الرباط، 2001، ص 90.
- (52) ابن حزم: الجمهرة، ص 85. عبد الحلیم عویس: المرجع السابق، ص 214.
- (53) ابن حزم: الجمهرة، ص 85. عبد الحلیم عویس: المرجع السابق، ص 214.
- (54) ابن حزم: الجمهرة، ص 66، وأنظر محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 90.